د/ عائض القرني

السفينة

العبيكان
Obeikan

© مكتبة العبيكان، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القرني، عائض بن عبدالله

السفينة./ عائض بن عبدالله القرني.- ط٣ .- الرياض، ١٤٣٠هـ.

٣٤٠ ص؛ ١٦,٥× ٢٤ سم.

ردمك: ٦ - ٧٨٨ - ٥٤ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

١ ـ الإسلام - مجموعات ٢ - الوعظ والإرشاد أ ـ العنوان

ديوي ٢١٠,٨ ٤٦٨٣ / ١٤٣٠

رقم الإيداع: ٤٦٨٣ / ١٤٣٠

ردمك: ٦ - ٧٨٨ - ٥٤ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

الطبعة الثالثة

١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر: العبيكان Obeikan للنشر

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ /٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمـز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان Obeikan

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ /٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمـز ١١٥٩٥

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٧
جواهر الكلام	١١
من الذاكرة	٣١
الضحك على الذقون	٤١
الشمس	١٠٥
الأحاديث الواهية	١١٥
من أحسن القصص وأعذب الشعر	١٧١
أسباب الفتن وكيفية الخروج منها	٢٥١
كيفية الخروج من الفتنة	٢٧٧
سفينة النجاة	٢٩٣
رسالة إلى الرئيس	٣٣٥

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فهذا كتاب (السفينة) يشبه سفينة نوح ﴿فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ وهذا الكتاب فيه عبرة ومَثَل، وقصة وشاهد، وآية وحديث، وبيت وموعظة، ولطيفة ونكتة، ومعقول ومنقول، وآثار وأخبار، يصلح سميراً وأنيساً، ويرشح رفيقاً وجليساً، فهو كالروض مختلف الأذواق والألوان ما بين جدول وخميلة، وطلٍّ وظل، وأطيار وأشجار، فسرّح فيه الطرف في أوقات الانتظار وسويعات الراحة، فربَّ سطر خيرٌ من عقد درّ، وعسى أن يحمل هذا الكتاب في طيّاته شوارد وفرائد، وقلائد وفوائد، أسعدك الله بقراءته، وآنسك بمطالعته، ولا تنسانا من دعوةٍ صالحة بظهر غيب ليؤمِّن على دعائك الملك في السماء بقوله: "ولك بمثل ذلك"، ولك مني الشكر على أن منحتني من وقتك الثمين وزمنك الغالي دقائق للتعارف، تقبّل الله منّا ومنك وجمعنا بك في الفردوس الأعلى.

د. عائض بن عبدالله القرني

المقدمة

اعلم أن كتابي هذا جاء وقد أنهيتُ الثامنة والأربعين من عمري، فهو ثمرة مطالعة أكثر من مليوني صفحة بلا مبالغة من كتب العلم كتاباً وسنة وتفسيراً وفقهاً وأصول فقه ونحواً وتاريخاً وثقافة وسياسة وأدباً ومعارف عامة مع الدوريات والمجلات والصحف والسماعات والمطارحات واللقاءات والحوارات والمساجلات، وجاء هذا الكتاب بعد أن أعان الله - وله وحده الفضل والمنّة - بتأليف أكثر من ثمانين مصنّفاً منها (لا تحزن) الذي زادت مبيعاته - والحمد لله - على مليوني نسخة (وخاب من افترى).

فالآن آن لك أن تصغي لي ساعة من عمرك في كتابي هذا وسوف أكون صريحاً فيه وقريباً منك (لدى الباب.... المتفضل) ولا يصدنك عنه أنك أعلم مني أو أفهم، فإن سليمان أنصت للهدهد لما جاءه من سبأ بنبأ، والبحر سيمطر السحاب (وما له فضل عليه لأنه من مائه) وهذا صيّب نافع طالما حجبته سحب التسويف، والسماء ترجى حين تحتجب، فآمل منك أن تشد عليه باليدين وتعض عليه بالنواجذ وكن كالسيارة لما رأوا يوسف الحسن فقالوا: يا بشرى هذا غلام، وهذا الكتاب أبواب متفرقة، فلا تدخله من باب واحد، وهو أشكال وألوان، صنوان وغير صنوان، أخرته حتى قاربت الخمسين وقد خطني الشيب وأخذ مني الزمان بنصيب، وكلما انهد الجسم زاد الفهم، وما أردت أن أستأثر به دونك فهذا من البخل ﴿**وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ**﴾ (آل عمران: ١٦١) وقد سطرته لك........ كباقي الوشم في ظاهر اليد، فلا تقابل الحسنات بالصد والرد، ولكن غض الطرف عن الحيف، ولا تعرض درر هذا الكتاب على الأعمى بل أبقها في صدفها فهذا أسمى ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾ (الأحزاب: ٣٣)، ولعل من حسن طالع هذا الكتاب أنه روضة غناء، صدحت أطيارها، وفاحت أزهارها، وتمايلت أشجارها واطردت أنهارها، فهو علم من القديم والحديث والمسلم وغيره، وهو نقل عن أهل الشرق والغرب والأذكياء والأغبياء والبررة والفجرة والملوك والعامة. هذا الكتاب أسطورة في الأدب ولك أن تسميه خرافة أو صيحة أو صاعقة ﴿**وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ**﴾ (الرعد: ١٣) هذا الكتاب هو ثمرة قراءة أربعين سنة وعصارة ثقافة أربعين سنة وزبدة معاناة

أربعين سنة، قطفتُ لك فيه ألذ الثمار وأجمل الأزهار ودبّجتُ لك فيه أروع الأشعار وأفضل الأخبار، هذا الكتاب هو إبداع أكثر من ألف عالم وشاعر وكاتب وحكيم، وهو مأخوذ من أكثر من ألف كتاب، وهو علم وأدب وشعر ونثر وجِدٌّ وهزل وضحك مبكٍ، وهو أنيسك في السفر وسميرك في الحضر، كأنه علم على رأسه نار، يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار، أمهرته نومي وتصدقتُ عليه براحتي ونقّبت من أجله في بطون الأسفار وقلّبتُ لأجله صفحات الأخبار واصطفيت له أبكار الأشعار، فلله كم من حِكمة فيه باهرة ومَثل سابر وبيت شرود، آية فحكمة وحديث شريف ونكتة لطيفة ومزحة خفيفة وعبرة موحية ونصيحة صادقة وحجة قائمة وبيّنة عادلة وقصة مؤثرة وحكاية مليحة، وفيه دقة الاستنباط وعمق الفقه وسلامة الذوق، هذا الكتاب أسطورة صدّق أو لا تصدق، فيه ما يخلب اللّب، ويأسر القلب ويثير المكنون ويبعث الشجون، والجنون فنون فما لهم لا يؤمنون، هنا الحرف الساحر يناديك **﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾**، هنا البيت الشارد يصيح بك: أقبل ولا تخف: شعراء الضلال سحّار فرعون وأنت العصا وأنت الكلام.

هنا يؤسر القلب فإما مَنّاً بعد وإما فداء، هنا يضحي الروح فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها، هنا عين البيان العذب: **﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾**، اخترت لك أبدع ما نظم وأرقى ما قيل وأروع ما كتب وأجمل ما حفظ وأحسن ما نقل، بهّرته لك بزنجبيل فاتر مع شهد مصفى بارد وماء غمامة زلال في رائحة فل وشذا مسك ونكهة كافور، وقد دعوت الله وأنا في بيته العتيق في أول رمضان لعام ١٤٢٧هـ أن يفتح عليَّ بفتوحاته الربانية.

وهذا الكتاب جاء بعد ثمانين كتاباً أعان الله على تأليفها إذاً فهو بعد رؤية وتجربة وصقل ذهن وشحذ خاطر، فخذه وأنت موفور الجانب على عثاره ولك نثاره، الصواب تقطف ثماره، والخطأ يوجب لك عليَّ اعتذاره، والسحر حرام لكن هنا سحر حلال وصيّب زلال وسوف لا تصبر عن قراءته بل تصبر على محادثته وما أقبح الصبر الجميل بعاشقيك وأجملك، لقد جعلت الناس في هذا الكتاب أصدقائي كلهم إلا من عقَّ الملّة وحارب الرسالة فهو عدوي وخصمي، وأنا احتسب الأجر في سحق ملاعب الوثنية وهدم صروح الخرافة ونسف معاقل الباطل **﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾** (النحل: ٢٦).

جواهر الكلام

جواهر الكلام

- ما رفعتُ أحداً عن مرتبته إلا حطني عن مرتبتي .
- من أربعين سنة ما سألت متزوجاً إلا قال: ما رأيت خيراً.
- أظلم الظالمين من لم يتواضع لمن يكرمه وأحبَّ من لا ينفعه.
- لا يكون الملول حافظاً.
- لو أعلم أن شرب الماء يفسد مروءتي ما شربته.
- رأيت شيخاً بلغ التسعين يدور على الجواري حافياً يعلمهن الغناء ثم يصلي قاعداً.
- المروءة الحرفة والعفة.
- يكفيك من شرٍّ سماعه.
- إذا عظم المطلوب قلَّ المساعد.
- كل عزيز تحت القدرة ذليل.
- لا حكيم إلا ذو تجربة.
- لولا المشقة ساد الناس كلهم.
- من لك بأخيك كله.
- أكثر أسباب النجاح مع اليأس.
- وحسبك أن تصح وتسلما.
- العيال سوء المال.
- ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذر.
- ربّ حلم أضاعه عدم المال.
- البطنة تذهب الفطنة.
- وحاجة من عاش لا تنقضي.
- إن الشجاعة مقرون بها العطب.
- العلم نقطة كثّرها الجهال.

- قيمة كل امرئ ما يحسن.
- الرأي قبل شجاعة الشجعان.
- إن الكريم على الإخوان ذو المال.
- خاطر من استغنى برأيه.
- المودة قرابة مستفادة.
- الفراغ مفسدة.
- أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم.
- إن العلا حسن في مثلها الحسد.
- وقد يكون مع المستعجل الزلل.
- قلة العيال أحد اليسارين.
- وخير جليس في الزمان كتابُ.
- فليسعد النطق إذ لم تسعد الحال.
- والحمد لا يشترى إلا بأثمان.
- وللأرض من كأس الكرام نصيب.
- ترك الذنوب حياة القلوب.
- الغمرات ثم ينجلينا.
- إنما الأعمال بالنيات.
- احفظ الله يحفظك.
- لا تغضب.
- رأس الحكمة مخافة الله.
- لا ضرر ولا ضرار.
- إذا ضاق الأمر اتسع.
- لكل امرئ من دهره ما تعودا.
- والكفر مخبثة لنفس المنعم.
- ولا رأي في الحب للعاقل.

- من صمت نجا.
- من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.
- دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.
- أذل الحرص والطمع الرقابا.
- قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت.
- وربما صحّت الأجسام بالعلل.
- السيف أصدق أنباءً من الكتبِ.
- إذا ملكت فاسجح.
- الجود يفقر والإقدام قتّال.
- والمشقة تجلب التيسير.
- الإنسان مدني بطبعه.
- الناس في أول دولتهم شجعان.
- حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.
- وفي النفس حاجات وفيك فطانة.
- إذا أنت أكرمتَ الكريم ملكته.
- والناس أعوان من والته دولته.
- الناس أعداء ما جهلوا.
- لكل شيء إذا ما تمَّ نقصانُ.
- لكل زمان دولة ورجال.
- ما كل ما يتمنى المرء يدركه.
- أعوذ بك من جلَد الفاجر وعجز الثقة.
- رمتني بدائها وانسلت.
- كل الصيد في جوف الفرا.
- من مأمنه يؤتى الحذر.
- إن السماء ترجّى حين تحتجب.

- إن لصاحب الحق مقالاً.
- أخوك البكري ولا تأمنه.
- ما يوم حليمة بسر.
- وعند جهينة الخبر اليقين.
- البلاء موكّل بالمنطق.
- إنما العاجز من لا يستبد.
- المؤمن كيّس فطنٌ.
- من عرفك صغيراً حقرك كبيراً.
- من سره زمن ساءته أزمانُ.
- وتلك الأيام نداولها بين الناس.
- وعين الرضا عن كل عيب كليلة.
- الذباب لا يقع إلا على الجرح.
- تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها.
- من يسالم الناس يسلم من غوائلهم.
- أسْلِمْ تَسْلَمْ.
- الإسلام يجبّ ما قبله.
- التوبة تهدم ما قبلها.
- كُفَّ عليك لسانك.
- أمضى من السيف حسماً.
- كاد من شهرة اسمه لا يُسّمى.
- أوجهاً تستحق ركلاً ولطمًا.
- أعذر من أنذر.
- أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها.
- إن النفيس غريب حيثما كانا.
- أي الرجال المهذّب؟

- وهل عود يفوح بلا دخان؟
- والأذن تعشق قبل العين أحياناً.
- وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر.
- ومن يطلب الحسناء لم يغله المهر.
- لنا الصدر دون العالمين أو القبر.
- من جدّ وجد.
- من طلب العلا سهر الليالي.
- وما نيل المطالب بالتمني .
- إن الحياة عقيدة وجهاد.
- إنما أصل الفتى ما قد حصل.
- وإنما المرء حديثٌ بعده.
- ذكر الفتى عمره الثاني.
- القناعة كنز لا يفنى.
- إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه.
- فلا مجد في الدنيا لمن قلَّ ماله.
- ولا كتب إلا المشرفية عنده.
- فلما التقينا صغّر الخبرَ الخبْرُ.
- علوٌّ في الحياة وفي الممات.
- ذم المنازل بعد منزلة اللّوى.
- مرعى ولا كالسعدان.
- تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.
- حشفاً وسوء كيلة.
- تعدو الذئاب على من لا كلاب له.
- وهل يلين لفك الماضغ الحجر؟
- إذا هُمّ ألقى بين عينيه همه.

- يا أعدل الناس إلا في معاملتي.
- واحرّ قلباه ممن قلبه شبمُ.
- خير الكلام ما قلَّ ودل.
- لا بارك الله بعد العرض في المال.
- سحابة صيف عن قليل تقشّعُ.
- وزهّدني في الناس معرفتي بهم.
- ولو أن أهل العلم صانوه صانهم.
- نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح.
- كل بطّاح من الناس له يوم بطوح.
- من يفعل الخير لا يُعدم جوازيه.
- ولا يرى طارداً للحر كاليأس.
- صلِّ صلاة مودِّع.
- إياكم وما يعتذر منه.
- عيد بأية حال عدتَ يا عيدُ؟
- أحرام على بلاله الدوح؟
- لا بد من صنعا وإن طال السفر.
- فلا يدوم على الإحسان إمكان.
- مواعيد عرقوب.
- كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً.
- عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه.
- ألسنة الخلق أقلام الحق.
- وحسب المنايا أن يكن أمانيا.
- ودّ السارق أن يسرق الناس.
- قال رجل لأبي العيناء، يا قرد قال: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ**﴾.
- قال رجل لعلي: أنت خير الناس فقال: أنا فوق ما في نفسك ودون ما تقول.

- الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة.
- رأى أبو العيناء فاجراً يصلي ويطيل فقال: لكل جديد لذة.
- الورع ترك ما يخشى منه.
- الإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل.
- أنذرتكم سوف.
- الأماني رؤوس أموال المفاليس.
- قتلوا الحسين ويسألون عن دم بعوضة!!
- اتّقِ شر من أحسنت إليه.
- النفس مولعة بحب العاجل.
- اتّقِ الله حيثما كنت.
- إن في البشر خياراً.
- بعض الشر أهون من بعض.
- من يهن يسهل الهوان عليه.
- وأتبع السيئة الحسنة تمحُها.
- ما لجرح بميت إيلام.
- من وطأته العيون وطأته الأقدام.
- اشتدي أزمة تنفرجي.
- الليل أستر للويل.
- همة تنطح الثريا.
- أللبط تهددين بالشطّ؟
- ابن الوزّ عوّام.
- لا ينفع التهذيب في الذئب.
- نعيب زماننا والعيب فينا.
- وفي الناس أبدال وفي الترك راحة.
- من عزّ بزّ.

- الله عدّة لكل شدّة.
- إذا كان الله معك فمن تخاف؟
- ماذا وجد من فقد الله؟
- من وجد الله وجد كل شيء.
- إذا كان الله ضدّك فمن ترجو؟
- كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه.
- من كثر كلامه كثر سقطه.
- قيل لمجوسي: بع دارك واقضِ دين والدك قال: الوالد في النار ولو بعت الدار.
- أنزلوا الناس منازلهم.
- لست بالخب ولا الخب يخدعني .
- كثرة المزاح تذهب المروءة.
- على قدر أهل العزم تأتي العزائم.
- مصائب قوم عند قوم فوائد.
- وتأتي على قدر الكرام المكارم.
- لا تحسب الشحم في من شحمه ورم.
- أحب شيء إلى الناس ما منعا.
- ادفع بالتي هي أحسن.
- الأيام دول.
- الجار ولو جار.
- الجار قبل الدار.
- العذر عند كرام الناس مقبول.
- طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس.
- الطهور شطر الإيمان.
- الحمد لله تملأ الميزان.
- الصلاة نور.

- والصدقة برهان.
- والصبر ضياء.
- والقرآن حجة لك أو عليك.
- كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها.
- اعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك.
- إن مع العسر يسراً.
- إذا اشتدَّ الحبل انقطع.
- الوحدة خير من جليس السوء.
- خيركم من تعلم القرآن وعلمه.
- ولكم في القصاص حياة .
- من مشى هوناً مشى دهراً.
- ما عال من اقتصد.
- الظلم ظلمات.
- كن في الدنيا كأنك غريب.
- الجامعات تخرج العظماء إلا محمد ﷺ فالله أخرجه للناس.
- الكلمة الطيبة صدقة.
- وقولوا للناس حسناً.
- إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها.
- من دخل على السلطان افتتن.
- من بدا جفا.
- من تتبع الصيد غفل.
- إن العرانين تلقاها محسّدة.
- ليس التكحل في العينين كالخلل.
- خذ ما رأيت ودع شيئاً سمعت به.
- ولن ترى للئام الناس حساداً.

- في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل.
- فإنك شمس والملوك كواكب.
- تبسمك في وجه أخيك صدقة.
- من ساعة إلى ساعة فرج.
- فكّر واشكر.
- نعم المال الصالح للرجل الصالح.
- سمع عمر آية ﴿ **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ** ﴾(الصافات: ٢٤) فمرض شهراً.
- سمع ابن وهب ﴿ **وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ** ﴾ (غافر: ٤٧) فمات .
- جبلت القلوب على حب من أحسن إليها.
- المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء.
- انتصر بدر بن عمر فقرأ الخطيب ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ** ﴾ (آل عمران: ١٢٣).
- كل الموارد غير النيل آسنة.
- وما كل مصقول الترائب زينب.
- وكل مكان ينبت العز طيب.
- وكل فتى يولي الجميل محبب.
- ولكن طبع المرء للمرء قائد .
- الإعجاز مع الإيجاز.
- كلماته قضب وهن فواصل.
- العادة أخت الطبيعة.
- ومن العداوة ما ينالك نفعه.
- فاستقم كما أمرت.
- حياتك من صنع أفكارك.
- الكلاب تنبح والقافلة تسير.
- نقدي يساوي قيمتك .
- التافه لا حاسد له.

- إن البعوضة تدمي مقلة الأسد.
- ومن الصداقة ما يضر ويؤلم.
- لهوى النفوس سريرة لا تعلم.
- ذو العقل يشقى في النعيم بعقله.
- لسان الفتى نصف ونصف فؤاده.
- وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم.
- شَكوى الجَريحِ إِلى الغِربانِ وَالرَخَم
- ويبقى من المال الأحاديث والذكر.
- وأغفر عوراء الكريم ادخاره.
- الخير أبقى وإن طال الزمان به.
- وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا.
- والشر أخبث ما أوعيت من زاد.
- إخفاء العمل نجاة وإخفاء العلم هلكة.
- الفرائض علانية والنوافل سر.
- لنعظم الجوامع ونحترم الفروق.
- الحب ما منع الكلام الألسنا.
- وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه.
- وألذ شكوى عاشق ما أعلنا.
- كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد.
- إذا أصبحت فلا تنتظر المساء.
- من ترك المشي تركه المشي.
- إنما الصبر عند الصدمة الأولى.
- سبق السيف العذل.
- كم من ولي في قباء وزنديق في عباء.
- فضح الموت الدنيا.

- التواضع التكبر على الجبابرة.
- خير الأمور أوسطها.
- ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها؟
- من راقب الناس مات هماً.
- من راقب الناس لم يظفر بحاجته.
- كن أحمر العين إن المجد منتهب.
- لما هملجت الخيول ركبها الملوك.
- لم ينفع الشاة في الدنيا سكينتها.
- إنما يبكي على الحب النساء.
- عند الصباح يحمد القوم السرى.
- تكاثرت الظباء على خراش.
- الصيف ضيعت اللبن.
- ولكل شيء آفة من جنسه.
- الصاحب ساحب.
- أسْلِمْ تَسْلَمْ.
- كالموت ليس له ري ولا شبع.
- لا يُعجِبَنَّ مَضيماً حُسنُ بِزَّتِهِ.
- رب نائم مرحوم وقائم محروم.
- استغزروا الدموع بالتذكير.
- وليس يكسف إلا الشمس والقمر.
- الدنيا ماء وخبز وظل.
- لا يدرك المجد إلا سيد فطن.
- لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب.
- إذا لم تستطع شيئاً فدعه.
- قال أنصاريٌّ لمصعب بن الزبير: أذكرك وصية الرسول ﷺ فينا، فنزل من سريره وبكى وتمرغ.

- الإسلام قضية عادلة محاميها فاشل.
- أيّ دين لو كان له رجال.
- كما تكونوا يُولَّ عليكم.
- وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً.
- وافق شن طبقه.
- إن الطيور على أشباهها تقع.
- الأرواح جنود مجندة.
- ذهبت المكارم إلا من الكتب.
- لا خير في السرف ولا سرف في الخير.
- طوبى للغرباء.
- وأكتم السر فيه ضربة العنق.
- وأظمأ فلا أبدي إلى الماء حاجة.
- أعز مكان في الدنا سرج سابح.
- جزى الله عنا واعظ الشيب شكره.
- ذهب الشباب بجهله......
- ذهب الشباب بشره وجاء المشيب بخبره.
- وأتى المشيب بحلمه ووقاره.
- نَزدادُ هَمّاً كُلَمّاً ازدَدنا غِنَىً.
- ما زاد فوق الزاد فللنفاد.
- فَنِعمَ الفَتى تَعشو إِلى ضَوءِ نارِهِ.
- ما العيش إلا في الخمول مع الغنى.
- لا تقنع بما دون النجوم.
- العود في أرضه نوع من الحطب.
- والأُسْد لولا فراق الغاب ما افترست.
- والسهم لولا فراق القوس لم يصب.

- والترب في الأرض ترب في مواطنه.
- فما المجد إلا السيف والفتكة البكر.
- ولا كُتبُ إلا الخميس العرمرم.
- كن وسطاً وامشِ جانباً.
- ربَّ ذكرى أقربت من نزحا.
- ارضَ بما ليس فيه بدّ.
- لا تعلم اليتيم الكباء.
- الرأس كثير الأوجاع.
- جاورت أعدائي وجاور ربه.
- قيل لسقراط: لماذا تأكل في السوق؟ قال: لأني جعت في السوق.
- قوت الروح أرواح المعاني.
- من ذا الذي ما ساء قط.
- وأي عبد لك ما ألمّا.
- العز في العزلة.
- أرى الناس من داناهم هان عندهم.
- زر غباً تزدد حبًّا.
- أزورهم وظلام الليل يشفع لي.
- تمتع من شميم عرار نجد.
- جرت الرياح على محل ديارهم.
- كأنني صارم في كف منهزم.
- كاد المريب أن يقول خذوني.
- وبئس الرديفان المذلة والفقر.
- جسم البغال وأحلام العصافير.
- المعونة على قدر المئونة.
- أكثر ما يُخاف لا يكون.

- أجمع اليأس مما في أيدي الناس.
- الدين المعاملة.
- الحلم أعز لك من الرجال.
- الحكمة ضالة المؤمن.
- في كل وادٍ بنو سعد.
- ما ملئت دارٌ حبرة إلا ملئت عَبرة.
- اتقِ المحارم تكن أعبد الناس.
- لا تصاحب إلا مؤمناً.

■ ختم ابن إدريس القرآن ٤٠٠٠ مرة.

■ طالع المزني كتاب الرسالة ٥٠ سنة.

■ كرر النيسابوري صحيح مسلم ١٠٠ مرة.

■ كرر ابن جرير صحيح البخاري ٧٠٠ مرة.

■ ألّف ابن سلام الغريب في ٥٠ سنة.

■ جمع أبو الفرج الأغاني في ٥٠ سنة.

■ كان الشيرازي يكرر الدرس ١٠٠ مرة.

■ صام أبو طلحة مواصلاً ٤٠ سنة.

■ لزم عطاء المسجد الحرام ٣٠ سنة لطلب العلم.

■ ما فاتت تكبيرة الإحرام ابن المسيب ٦٠ سنة.

■ كان أحمد بن حنبل يتنفل كل يوم ٣٠٠ ركعة.

■ أخذ ابن حبان العلم على ٢٠٠٠ شيخ.

■ لا تعاند من إذا قال فعل.

■ هو الجد حتى تفضل العين أختها.

■ لا تلقَ دهرك إلا غير مكترث.

■ ولن يردّ عليك الغائبَ الحزنُ.

■ فإن المسك بعض دم الغزال.

■ فإن في الخمر معنى ليس في العنب.

■ من أمن العقوبة أساء الأدب.

■ لا عقل كالتدبير.

■ اجعل الهموم هماً واحداً.

■ لا تطلب الخير من ذي نعمة حدثت.

■ كن كالغراب في البكور، والنملة في الدأب، والنحلة في الأثر، والنخلة في المنافع.

■ لا تدبر لك أمراً فإنما التدبير هالكي.

■ دع المقادير تجري في أعنتها.

■ يغطى بالسماحة كل عيب.

■ أنفق ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً.

■ تعس عبد الدرهم وتعس عبد الدينار.

■ كفى بالجود سربالاً وبحسن الخلق نوالاً.

■ لا تجد مدّاحاً إلا رذلاً ولا هجَّاءً إلا نذلاً.

■ لا تمدحن امرأ حتى تجربه.

■ ومن لم يمت بالسيف مات بغيره.

■ لا تتبذل فإن السلعة ترخص إذا كثر تداولها.

■ خذ من الكلب جرأته فإنه يطارد فريسته ولو في النار.

■ ويل لمن كان لسانهُ حجيجَه وعلمُه خصمَه.

■ إذا قال لي ربي: يا عبدي ما غرّك بي؟ قلت: برّك بي.

■ خدم أبو شجاع السلطان ٥٠ سنة فكفر عنها بخدمة مسجد الرسول ﷺ ٥٠ سنة.

■ الفقير يحيّي الجبار علانية ويسخر منه سراً.

■ السحر الحلال تبسمك في وجوه الرجال.

■ تبسم في مجلس وتكلم كلاماً مختصراً.

■ ألذّ شيء التنزّه في عقول الرجال بقراءة الكتب.

■ الحياة: إنها عندي وأحلام الكرى غفلات بعضها من بعضها.

- لزوم السنة أكل الحلال وحسن الخلق، وسلامة الصدر معالم النجاة.
- الإيمان والقناعة والصحة.... بنود السعادة.
- قيل للكسائي: من نسي سجود السهو هل يسجد؟ قال: لا، لأن المصغَّر لا يصغّر.
- زاد اليهود نقطة فسقطوا سقطة ووقعوا في ورطة، قالوا: حنطة بعد حطة.
- أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنّعه الله بما آتاه .
- استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان.
- البِرّ لا يبلى والذنب لا ينسى والديَّان لا يموت.
- كما تدين تدان.
- بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.
- أعظم الكرامة لزوم الاستقامة.
- سهر بعض السلف على آية واحدة ليلة كاملة يتدبرونها.

عالم ومتعلّم

- محمد (الهمة)
- يعقوب (الحزن)
- يوسف (الحب)
- سليمان (الملك)
- الشافعي (الفقه)
- ابن تيمية (التجديد)
- الأحنف (الحلم)
- المتنبي (الشعر)
- سقراط (الفلسفة)
- ابن خلدون (التاريخ)
- حاتم (الكرم)
- الحسن (الزهد)
- فرعون (الطغيان)
- قارون (المال)
- جحا (الضحك)
- سحبان (الخطابة)
- مسيلمة (الكذب)
- البخاري (الحديث)
- ابن بطوطة (السفر)
- الأصمعي (الحفظ)
- إبليس (الكبر)
- آدم (الرجل)
- الجاحظ (البيان)
- الحمار (البلادة)
- الكلب (الوفاء)
- الهدهد (الفطنة)
- النمل (العمل)
- النحل (النظام)
- الأسد (الشجاعة)
- الكتاب (الجليس)
- القلم (العلم)
- لقمان (الحكمة)
- ابن الجوزي (الوعظ)
- ابن سيناء (الطب)
- سيبويه (اللغة)
- أبو العيناء (البديهة)
- أبو حنيفة (الذكاء)
- الحجاج (الظلم)
- النخلة (المنافع)
- أحمد بن حنبل (البلاء).

من الذاكـرة

العـلم

أعظم مطلوب هو العلم النافع الذي يدلك على أسباب النجاة وهو الموروث عن معلم الخير ﷺ، وهو الدليل الأمين الذي لا يخدع صاحبه، ولهذا فضّل الله العلماء على غيرهم، وإنما يحصن العلم إذا صاحَبَهُ العمل، فتجرّد العلم عن العمل غواية، وتجرّد العمل عن العلم ضلال، وعجبي من أناس أفنوا أعمارهم في علوم لا يُبنى عليها خير الدنيا ولا خير الآخرة كمن تعمَّق في علم الأنساب والآثار والأشعار والأسمار، فيا أيها العاقل أنت في هذه الحياة كراكب ظهر سفينة تلعب بها الأمواج يميناً وشمالاً ولا بد لها من ربّان، والربّان هو العلم، والمحرك هو الإخلاص، والوقود هو العمل الصالح، فأعِدَّ العدة وخذ لك زاداً ينفع يوم العرض الأكبر، فما كل بضاعة رائجة هناك، واحذر الغش فإن الناقد بصير.

الأصدقاء

وقت الرخاء يكثر الأصدقاء وفي الشدة لا تجد إلا الله وحده، ولهذا لا تنخدع بعبارات الثناء العاطر والمديح المزيّف فإنها من الأوهام التي تنقشع قريباً، فكم رأينا من صديق أقسم الأيمان الغليظة على الوفاء، فلما انقلبت الدنيا انقلب معها، وكنتُ أتعجب ممن يشتكي من قلّة الوفاء وكثرة الجفاء من الأصدقاء حتى عشتُ ذلك عياناً بياناً، فينبغي للإنسان أن يوطِّن نفسه على الاتصال بربه وحده ويكون كما قال الطغرائي:

وإنّما رجلُ الدُّنيا وواحِدُها   من لا يعوِّلُ في الدُّنيا على رَجُلِ

وقد عشنا مع زعماء وعلماء دوّت بمديحهم الدنيا وطنَّت بالثناء عليهم المعمورة، فلما ماتوا نُسوا قريباً إلا من ترك أثراً طيباً وعلماً نافعاً، إن فتح باب الصداقات معناه زيادة التكاليف، فكل صديق له حق من السلام والزيارة والعيادة والمساعدة والقرض، فإن لم تفِ بذلك صرتَ مذموماً ملوماً.

القناعة

من عرف الدنيا وتقلّبها بأهلها وسرعة تغيرها وغدرها بأبنائها رضي بالكسرة والغرفة وجرعة الماء؛ لأن المسألة سفر، وكلما تخففت في السفر كان أسهل

لحسابك، فكم رأينا من ولي صادق عاش في كوخ، ومن عالمٍ كبير رضي بغرفة ولكنه ما ترك تاريخاً من العلم النافع والعمل الصالح، وكم رأينا من رجل خطير وتاجر كبير ترك دوراً وقصوراً وحدائق ذات بهجة ثم مات فلا عين ولا أثر، وقد حضرت عزاء بعض الأثرياء الذين خلّفوا المليارات والشركات فإذا دوره بلاقع قد تقاسم أبناؤه أمواله وأُفرِد وحيداً في لحده، نُزعت منه ملابسه واختلست منه مدّخراته ونُهِبت كنوزه ثم أخذ يُسأل عن القنطار والقطمير، كما قال بعض السلف: ابن آدم إذا مات خسر ماله كله وسُئل عن ماله كله، فنسأله عيشة هنيئة، وميتة مرضيّة في قناعة وكفاف لا غنىً مطغياً، ولا فقراً منسياً كما قال ﷺ: "**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**".

التلفزيون

لا ينبغي الانهماك أمام شاشة التلفزيون ليلاً ونهاراً؛ لأن في ذلك مضيعة للوقت وتعباً على القلب، إذ إن الأحداث والحروب تُعرض على الشاشة والمشاهد يعيش هذه الكوارث بقلبه، فيدخله الهم والغم من حيث لا يدري، ويبقى مشدوداً مكدراً طيلة يومه، فاجعل لمشاهدة الخبر أو مطالعة برنامج مفيد وقتاً معروفاً، واصرف باقي وقتك فيما ينفعك في دينك ودنياك، فقد رأيت أناساً أداموا النظر في التلفاز فأصابتهم كآبة، وهناك أطفال شاهدوا مواقف مرعبة فأُصيبوا بالخوف والفزع، فعليك أن تحرص على قلبك وبدنك ووقتك، ثم إن الانهماك في مشاهدة التلفاز ينسيك تلاوة القرآن والذكر والقراءة النافعة، وقد جعل الله لكل شيء قدراً، وتوزيع الأوقات على الواجبات دليل على اعتدال المزاج وصحة النظر، ومن اتقى الله سدده حتى في أصغر الأمور، والله الموفق سبحانه.

الوقت

رأيتُ غالب الناس ليس للوقت عندهم قيمة، فهم في زيارات متبادلة يتخللها غِيبة، وفي نوم طويل وفي غفلة ظاهرة، وبعضهم يذهب منه يومه بلا عمل صالح ولا تلاوة نافعة ولا قراءة مفيدة ولا عمل دنيوي نافع، والسبب في ذلك أن علمهم

بقيمة الزمان معدوم، عاشوا على العادة والتأثر بالجليس وكأنهم يتسابقون في تبذير الوقت وإنفاق الزمن بلا طائل، فالشباب في الغالب في سهر طويل عابث، وكبار السن في حديث مكرر لا نفع فيه، والنساء في جلسات عن القيل والقال، أما المستيقظون فهم قليل تجدهم قد أعدوا العدة وصرفوا الوقت فيما ينفع ما بين عمل صالح وعلم نافع وكسب حلال وقيام بالحقوق؛ كعيادة مريض وزيارة قريب ونفع مسلم، فلا يخرج اليوم على أحدهم إلا وقد ملأه أجراً وبراً، فنصيحتي لك أن تحرص كل الحرص على المحافظة على الوقت وصرفه في النافع المفيد، فإنه يسعى بك للآخرة وأنت لا تدري.

سالِم الناس

من سالم الناس يسلم من غوائلهم، ومن صالحهم أمِنَ شرهم، فلا تظهر لأحد العداوة بل لو عاداك أحد فادفع بالتي هي أحسن ولا تكثر الخلطة بهم والوثوق بكلامهم، فقد أخبرتنا التجارب أنهم ينقلبون مع الأحوال وكثير منهم له مصالح في الصداقة فلا تغتر بظاهر الأمر ولا تنخدع بمدحهم ولا تأسف من ذمهم، فغالبهم تسيّره العواطف، وعليك بإصلاح ما بينك وبين الله ولا تذكر أحداً بسوء، ومن لقيك منهم فأظهر له البشر وتبسّم في وجهه، تواضع له ولا تحرص على التصدر في مجالسهم والاستئثار بالكلام عليهم، فإن الحياة رحلة قصيرة فامنح غيرك فرصة الابتهاج بحياته والفرح بمواهبه، ولا تنافس الناس في دنياهم بل كلما اجتهدوا في جمعها فاجتهد أنت في جمع الحسنات وعمل الصالحات مع طلب الكفاف من الحلال، ومُلك كسرى يغني عنه كِسْرة.

السلطان

لا تعاند السلطان ولا تسترسل في الدخول عليه ولا تمدحه ولا تقدحه، وعليك بالدعاء له؛ فإن من عاند السلطان أسهر ليله وأذهب أمنه وأفسد عليه حياته، ومن داخله وصار من بطانته ذهب كثير من دِينه وقلّ ورعه وأصبح مبتذلاً إلا من رحم ربي، فإن الناس فضلاً عن السلاطين يهون عليهم من يداخلهم ويسقط من عيونهم

من يتبذّل لهم، فكن عملة نادرة واحفظ عليك وقتك وجاهك، فليس في العالم أحد غير الله يستحق الذل منك والخضوع، فاصرف له سبحانه التوجه والعبودية وتذكر قوله: «**أنا جليس من ذكرني**» فاغتنم الجلسة مع الله بتلاوة وذكر وتفكر، وكن حِلْس بيتك، وكفَّ عليك لسانك، وتدارك ما مضى منك من ذنوب بالتوبة، وقُمْ على رعاية أهلك وصلاح أبنائك، أما الدخول على كل أحد وحضور كل مناسبة فهو دليل على ضعف الإدراك وقلّة التمييز، وانظر تاريخ العلماء العاملين كيف حفظوا أوقاتهم وجاههم في طاعة الله فحفظهم الله وسددهم.

السفر

السفر متعة وسعة أفق، ولكنه يُذهب العمر ويشتت القلب ويضعف التّدين؛ لأن القلب فيه ينتقل من حال إلى حال، والعين تسترسل فيه إلى النظر إلى ما لا يحل أحياناً، فتقليل السفر مطلب للعقلاء؛ لأن فيه تغييراً لنظام الاستقرار والعمل، فلا تكثر من التنقل دون منفعة، وقد جربت الأسفار وتنقلت في الديار فوجدتُ أن النوافل تقل، والقلب يتشتت والوقت يضيع مع ذهاب الراحة وتغيّر النوم، ومن ثبت نبت، وقد دلفت علينا وسائل الاتصال من جوال وتلفاز ومذياع وإنترنت، وقرّبت لنا البعيد، وأعانتنا في الوصول إلى أهدافنا، فصار الاتصال ينوب عن اللقاء أحياناً، وأصبحت تشاهد في التلفاز الدول أمام عينيك. ثم إن العمر قصير، وقد رأيت كيف أن الوقت يذهب مني وأنا أنتظر ساعات طويلة في المطار لألقي محاضرة واحدة أو أحضر مؤتمراً قليل الفائدة، ولو بقيت في بلدي لأنتجت أكثر مقدّراً للمصالح والمفاسد، ولا تدمن السفر فعمّا قليل سوف تسافر سفراً طويلاً إلى الآخرة.

العَظَمة

عظّم الله في نفسك وعملك وكلامك يعزّك ربك ويرفع قدرك، فلا يكن في قلبك أعظم ولا أهيب ولا أحب من الله -جل في علاه- ثم بالله عليك من الذي يستحق الاحتفاء والاهتمام إلا هو سبحانه؛ فإن الخليقة كلهم تراب على تراب، ونفعك وعزّك وشرفك في التذلل له سبحانه والاستسلام لأمره وطاعته جل في

علاه، والعجب ممن اهتم بإرضاء البشر والخوف من سخطهم وهم لا يملكون ضراً ولا نفعاً، حتى إنك تجد بعض الناس يسعى في التقرب والتذلل لبعض الخلق وهو عاصٍ لربه مضيع لأوامره، وهذا هو الخذلان صراحة، وإلا فمن عنده عقل يدرك أن الواجب عليه أن يكون هواه تبعاً لما يرضي ربّه، وأن يصرف عمره كلّه في عبودية خالقه سبحانه، فهذا أطيب الناس عيشاً وأبهجهم قلباً، أما من صرف عمره في استرضاء الناس والخوف منهم والطمع فيما عندهم ونسي ربه فهذا هو المخذول الذي حُرم التوفيق وأغلقت أمامه أبواب السعادة.

التقليد

الإسلام دين الفطرة يوافق العقل ويواكب العصر وينهى عن التقليد، ولكن المشكلة أن كثيراً من العلماء قلّدوا غيرهم وألفوا اختيارهم فأصبحوا ينقلون كلام الآخرين وفتاويهم وعطّلوا مَلَكَة التفكير والتدبر، والرسالة إنما نزلت للجميع وما أغبى من رضي أن يكون مجرد ناقل وحافظ لكلام غيره يأخذه كأنه وحي مقدّس وهو بشر مثله! والواجب إعمال الذهن في نصوص الكتاب والسنة وعدم التشاغل بهذه الحواشي والشروح التي جمعتها الأمة خلال أربعة عشر قرناً وأصبحت جبالاً من الكتب وهضاباً من القراطيس، فتجد كل مذهب له مختصرات إلى أدلة، ثم تُشرح هذه المختصرات، ثم تنظم، ثم يُشرح النظم، ثم يُختصر، يم يُعلّق عليه، فتبتعد الأمة عن الوحي كلما زادت من هذه الحواشي والمتون، أيها العلماء أقبلوا على القرآن والسنة وتدبروا وتفكروا واتركوا التقليد وافهموا عن الله وعن رسوله ﷺ.

الغفلة

رأيتُ غالب الناس في غفلة وهم لا يشعرون وكأن عندهم أماناً من الموت، فهم في الأسواق طيلة النهار وغالب مجالسهم قيل وقال مع غيبة وسخرية، وكثير منهم يجمع المال وليس عنده عمر لإنفاقه، والقليل منهم عرف قيمة الزمن ولماذا خُلق وهم أحد رجلين: إما عالم منتفع بعلمه فهو في تفكر وتأليف وتدريس وفتيا، أو عابد فهو في ذكر ونوافل، وهذان هما السعيدان حقاً ويلحق بهما أصناف من أهل الخير

لكنهم قليل كالوالي العادل والجواد المنفق والمصلح بين الناس والقائم على الأرملة والمسكين، غير أن الغالب على الناس الانغماس في أهوائهم وتقليد بعضهم بعضاً، فتجدهم في لهو وطرب وغفلة وكثرة نوم إن لم تكن معاصي ومخالفات، والموفَّق من فهم لماذا خُلق وجعل من كل نَفَسٍ طاعة لله فأعدوا العدة وتزوّدوا بالصالحات، فإن تسبيحة واحدة تقرّبك من الله خطوة، فيا أيها الغافل سابق الأيام في عمل الصالحات، وبادر فقد نوديت: الرحيل الرحيل، وما بقي عليك إلا حسن الخاتمة والوصية والكفن وقريباً تُحمل على أكتاف الرجال.

المال

المال نعمة من نعم الله عز وجل ويبقى للإنسان أن يكسبه من حلال وينفقه في حلال، وليس بصحيح الدعوة إلى ترك جمعه أو إلى التبذير في إنفاقه فإن الحياة لا تقوم إلا بالمال، ورأينا من زهد في المال ثم حمله الفقر إلى السؤال وتعريض عرضه للامتهان، فعليك بحفظ مالك إلا من حق شرعي حتى تصون به جاهك، وتؤدي به الحقوق التي عليك كالنفقة على الأهل وصلة الرحم والضيافة ونحوها، والمذموم في مسألة المال أمران: جمعه من حرام أو إنفاقه في حرام، أما الدعوة إلى الاستهانة بالمال فإنها دعوة إلى الفقر والحاجة إلى الرجال وبذل الوجه في الشحاذة، وكان السلف يتاجرون ويسافرون لجمع المال؛ لأنه يحفظ دينهم وجاههم ويمنعهم من التردد على أبواب السلطان وسؤال الإخوان، فنظِّم دخلك ومصروفك وكن وسطاً في الإنفاق ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**﴾ (الفرقان: ٦٧)، ومال تنفقه على أهلك أو على أيتام أو على فقراء أفضل من صلاة النافلة مع تضييع قوت من يجب عليك الإنفاق عليه.

وقليل من عبادي الشكور

غالب الناس بلا همّ فتجد منهم طائفة اشتغلت بأمور لا تنفع كالاستغراق في علم الأنساب والبحث عن الآثار وجمع الشعر العامي وحضور الحفلات والغفلة عن ذكر الله، أما القليل فعرفوا المقصود من وجودهم فطلبوا العلم النافع وعبدوا الله

على بصيرة وحسنوا أخلاقهم، ولكن هؤلاء قليل نادر كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، فيا عاقلاً عرف لماذا خُلق اغتنم أنفاسك وزوّد الزاد فإنما إقامتك أيام معدودة، وفكر في من سبقك ممن شاد وساد، وملك العباد، وبنى القصور والحصون يود أحدهم لو عاد للدنيا ليقول: سبحان الله وبحمده، ولله درّ الهمم كيف جعلت بعض الناس يكمل أوراده وهو في سكرات الموت، فأبو الريحان البيروني يناقش أصحابه في مسألة علمية والموت قد أحاط به، ومنهم من كان يتلو ختمته وهو في السكرات، ومنهم من وزّع أوقاته على أصناف العبادات لكن الغافل مبنّج لا يشعر بالألم ولا يحس بالمعاناة والله الموفق.

التاريخ

من قرأ التاريخ بفهم وجد من تقلّب الزمان بأهله وسرعة انقلاب الأيام بالناس ما يذهل كل عاقل، وأعظم فائدة تستفيدها من قراءة التاريخ الاعتبار وهو منهج القرآن، ولهذا قال سبحانه ﴿ **فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ** ﴾ (الحشر: ٢) ولما طالعت التاريخ قضيت عجباً من أناس سعوا إلى الملك فسفكوا الدماء وانتهكوا الأعراض وسلبوا الأموال وعاثوا في الأرض فساداً، ثم لم يتمتعوا بالملك طويلاً، فيزيد بن معاوية مكث أربع سنوات، وأبو مسلم الخراساني بقي زمناً قصيراً، فهل من عاقل يتفكر في تقلّب أحوال الدنيا وغدرها وجفائها وقلّة وفائها فتعد العدة والرحيل من عملٍ صالح وخُلق حسن وتأليف نافع وذكر حميد باقٍ، والذكي العارف ينظر إلى الدنيا كأنها حلم أو كأنها شريط مرَّ أمام عينيه وهي دار ابتلاء وامتحان وليست للثواب ولا للعقاب فالمبادرة المبادرة وعلى من قرأ التاريخ أن يتدبر فإن قرأ للصالحين ازداد خيراً وصلاحاً وإن قرأ سيرة الفجار أخذ الحذر واعتبر، ومصائب قوم عند قومٍ فوائد، ومن لم يقرأ التاريخ بقي عنده قصور في النظر وقلّة في التجربة لأن أخبار الأمم توسع المدارك وتلقح العقل وتنبّه من الغفلة وتمنح التجربة.

الضحك على الذقون

إخوتي القراء الكرام: سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد:

فمثلي في قصيدتي (القرار الأخير) كمثلِ رجل يمني في عهد الإمام أحمد حميد الدين، وقد وقعت مظلمة على هذا الرجل، فذهب إلى قصر الإمام يشتكي، فوجد كاتباً بليغاً عند القصر، فكتب له خطاباً مؤثراً إلى الإمام، فقال الرجل للكاتب: اقرأ عليَّ الخطاب، فقرأه عليه فانهدّ الرجل باكياً، قال الكاتب: ما لك تبكي؟! قال الرجل: والله إني ما أدري أني مظلوم إلا اليوم، وأنا كتبت القصيدة ثم قرأتها فبكيت وقلت: حسبنا الله ونِعمَ الوكيل، أنا في هذا الوضع ولا أدري إلا اليوم، ويقولون إن أشعب قد آذاه أطفال المدينة، فأراد أن يفرقهم عنه، فقال لهم: إن في ذاك البيت عرساً، فأسرعوا إلى البيت، فقال في نفسه: يمكن أني صادق، فأدركهم فتناولوه ركلاً ولطماً، وأبو رقيبة أعدوا له خطاباً في عيد استقلال تونس، فقال للكاتب اكتب هنا: (بكية) فلما وصل لذلك المقطع بكى، وأحسن الله عزاءه في الصدق والإخلاص، وقد سبقني إلى قناعة لزوم البيت ومصاحبة الكتب، لأنها تعني مصاحبة فضلاء ومشاهير عالميين، وقد قال سيد الخلق صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه: "كفَّ عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك"، ويقول تأبط شراً بعدما تأبط خيراً:

عوى الذئب فاستأنستُ بالذئب إذ عوى ... وصوَّت إنسان فكِدتُ أطير

وقال دانتي شاعر إيطاليا:

العزلة مملكة الأفكار، وأحسن من جوّد في ذلك وأبدع علي بن عبدالعزيز الجرجاني الفقيه الأديب القاضي، حيث يقول:

أَنِستُ بوحدتي ولزمتُ بيتي ... فدام لي الهنا ونَمَا السرورُ
وأدبني الزمان فلا أبالي ... هُجِرتُ فلا أُزارُ ولا أزورُ

وقال شاعر آخر:

تسترت من دهري بظل جناحه ... فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تسأل الأيام عني ما درت ... وأين مكاني ما عرفنَ مكاني

وقال ابن الجوزي: لا أعلم أعز ولا أشرف ولا أسعد ولا أهنأ من العزلة خاصة لطالب العلم فإنه يجمع همّه ويسلم من كل سوء.

وقال ابن حزم في الأخلاق والسير: من أراد السرور والعز والراحة فعليه بالعزلة.

ونقل النووي في (بستان العارفين) عن الشافعي أنه قال: من أراد أن يلين قلبه وأن يفتح الله عليه في العلم، فليلزم الخلوة ولا يجالس من لا ينصفه ولا تنفعه مجالسته، وأنا أعلم أن هذا الكلام كله لن يقنع كثيراً من الناس ممن يحب الخلطة، ويعشق الرحلات البرية والجلسات البحرية والسمرات الأخوية خاصة إذا اجتمع الأحباب في الله على تيس مندي أو التفَّ الدعاة إلى الله على خروف هرفي لمدارسة أوضاع المسلمين وحلِّها عاجلاً بعد تناول الحلويات والفواكه؛ لأن الدعوة إلى الله عندهم لا بد لها من تنسيق ودراسة مستفيضة، واجتماعات مكثَّفة حتى تنطلق من أُطر وتنبثق في بوتقة؛ لنستطيع مخاطبة الآخر على أرضية مشتركة، وتقوم بيننا وبينه حوارات بأجندة مؤدلجة تثبت أن الأفكار الماضوية فيها ما يقبل التطوير، ونحو هذا من الكلام الذي لو سمعه عمر بن الخطاب لبطح قائله أرضاً، ولضربه بالدرة حتى يخرج شيطانه الذي تلبَّس به، فإذا كانت الخلطة على هذه الصفة، فأنا أفتيك بوجوب لزوم البيت مع القرآن، وكتب العلم النافعة، وقد قرأنا وسمعنا للعلماء فوجدنا كلامهم سهلاً ميسراً عميقاً، ثم نبتت نابتة تسمي نفسها النخبة ففشلت في مخاطبة الناس وإقناع الجمهور وعمدت بعدما أدركها خذلان من الله ففعلت فعل الباطنية حيث استخدمت اللغة الرمزية حتى يقال: (كل الصيد في جوف الفرا) فضلَّت وأضلت، والحمد لله أن هذه النخبة الفاشلة يقارب عددهم سبعة، ثلاثة في الرياض، واثنان في جدة، وواحد في جازان، وواحد في حائل مات وبقوا ستة، ومثلهم مثل من حجَّر رحمة الله الواسعة فيه وفي أصحابه، فأتى بشروط لمن أراد دخول الجنة وركَّبها، فمن انطبقت عليه فهو من أهل الجنة، ومن أخلَّ بشرط واحد فأمه هاوية، وهذه الشروط في نظره لا تنطبق إلا على ثلاثة عشر، منهم ستة بدون إقامات، فأين الجنة التي لها أبواب ثمانية؟ بين كل مصراع من مصاريع أبوابها

والمصراع الآخر كما بين صنعاء وبيت المقدس، وسوف يأتي عليها يوم وهي كظيظة من الزحام، ونحن برحمة أرحم الراحمين والحمد لله أن الله لم يجعل مفاتيح الجنة بيد أحدٍ من الناس ﴿**قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُوراً**﴾ (الإسراء: ١٠٠) وقد كفَّر أبو حمزة الخارجي النواصب، ثم كفَّر بني أمية كلهم، ثم كفَّر الحجاج جميعاً، ثم كفَّر أصحابه إلا واحداً، وقال لصاحبه: لا يدخل الجنة إلا أنا وأنت !! قال له صاحبه: جنة عرضها السموات والأرض لا يدخلها إلا أنا وأنت؟!! قد تركتها لك.

وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم، بعد القرار الأخير سعدتُ بعشرات الاتصالات من علماء ودعاة وأدباء باعدت بيننا وبينهم الأيام فلهم الشكر مدبجاً، والثناء معطراً، أما القصيدة (القرار الأخير) فعلى قولهم: "خذ من كلام العاقل نصفه" هذا إذا كان في تمام قواه العقلية بعدما سمعتم من نواح في القصيدة، وقد سلمت والحمد لله القصيدة من التصحيف والتحريف بجهد كريم من ريشة أبي أسامة، وأنا كتبتُ لكم من عزلتي داخل مكتبتي وحولي عشرة آلاف مجلد، على يميني شيخ الإسلام ابن تيمية يسلم عليكم، وأمامي ابن حجر يسأل عنكم، وعن يساري ابن خلدون مشتاق لطلعتكم، وورائي المتنبئ يطارحكم القريض، وفوق رأسي رفوف للشافعي وأحمد بن حنبل والشاطبي وابن الجوزي وغيرهم، أنا اعتزلت فقط مجالس درجات الحرارة، والصيدليات المناوبة، وأخبار السيول، وسعر الشعير، وحديث المربعانية والعقارب، أنا اعتزلتُ الأحاديث المكررة السامجة الباردة، يوم تجلس في مجلس فيبدأ الناس بالدور يسألونك عن الحال والعيال والأموال، والوالد والوالدة بخمسة وعشرين سؤال ولا يتحروا منك أي جواب، لكنني سوف أبقى أشارك في صنع كلمة الحق ومناصرة الرسالة الربانية باللسان والقلم، وسأبقى للجميع كما كنتُ على حد قول شاعر زهران الشاعر الشعبي محمد ابن مصلح رضي الله عنه، وقدّس الله روحه ونوَّر ضريحه؛ حيث يقول في قصيدة رائعة له:

ابن مصلح يقول ما أبغي رفيقي يضيق والا يشين

والله إني اقترب من حبنا وابتعد عمن كرهنا

ما بي إلا ثقات العلم والا النشامى يشرهون

أما المسجات والفاكسات على قصيدة (القرار الأخير) فسيل جارف منهم من أثنى على القصيدة، ومنهم من عارضها، ومنهم من بكى من تفجعها، ومنهم من وعدني بإيصال معارضة لها ليستدرجني لاستقباله ليضيع عليّ أربع ساعات ليتحفني بقصيدة عجفاء، لأقول له: الحمد لله الذي أخرج من بطنك هذا الشعر ولو بقي فيه لقتلك.

وأرجو من الجميع حسن الظن، وحمل الكلام على أحسن المحامل كما قال ابن رشيد:

يا حسين خلّك من خيار الخويّين ترى الخوي يا حسين مثل الأمانهْ

ما يستشكْ يا حسين كود الرّديين والا ترى الطيّب وسيعٍ بطانه

القبيلة: يا ساتر

أول من يواجهك في مجلس من أخفق في الدراسة، وفشل في العمل، وطُرد من المصنع، شجرة أنساب فيها سلسلة من الآباء والأجداد الذين لم يحضروا بدراً ولا أحداً وإنما غزوا قبيلة مجاورة فقتلوا عجوزاً وطفلين.

كلما ذهبنا إلى قبيلة جاء شاعرها بقصيدة يقسم بالأيمان المغلظة ما خلق الله كقبيلته فشاعر عتبة يقول:

يا مرحباً بالسداري يا خوال الملوك في حلة عتبة الهيلي أخوال النبي

أما شاعر زهران بن ثامرة فيقول:

أين حن زهران ما يفعلنا فعايلنا ولا رجال.

والغويد قال في غامد:

أين حن غامد الهيلا إذا زاغ للبيرق علوم.

وشاعر بالقرن بن خضران يقول في بالقرن:

جينا ستين فارس وان رجّالنا ند أربعين.

وشاعر نجد يقول:

حنا هل العوجا مخابيط الكفر

وكل حزب بما لديهم فرحون، وبقي أبناء القبائل الأصيلة صادقين في بيوتهم، نصفهم في الضمان الاجتماعي، وربعهم مصاب بارتفاع الضغط؛ لانخفاض الأسهم، وربعهم يأكل فصفص ويلعب بلوت، والذين ليس لهم حسب ولا نسب من الأمريكان أولاد الجواري والقينات قصفوا بالطائرات قبائل شمر في العراق أحفاد حاتم الطائي؛ ليقول الشاعر الشعبي متهكمًا:

يا سلام على بوشين بوش الكبير مع الصغير

يا سلام على من يكسب المدح ويحوز المعالي

غمرهم عند خط النار واحنا على لعب البلوت

فنحن لم نأخذ بما جاء في القرآن: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣) ليكون بلال بن رباح سيداً من أصحاب الجنة، وسلمان منا آل البيت، وأبو لهب الهاشمي في نار تلظى.

ورجائي ممن عنده أشجار أنساب أن يبيعها أو يأخذ بثمنها شعيراً لأغنامه ويحافظ على صلاة الجماعة ويشتري نسخة من رياض الصالحين ليتأدب بأدب السنة النبوية.

الذرية

عندنا كثرة إنتاج في الأولاد والبنات مع إهمال للتربية والرعاية، وأحدهم حارس مدرسة عنده ثلاث زوجات في بيت شعبي قديم ولديه سبعة عشر ابناً وراتبه

ألف ريال، ويدور بصك ملفق معه يشحذ عباد الله الصالحين، وكل سنة يبشر بولد أو ثلاثة، فهل هذا حسن تدبير، وهل هذا ما يوافق العقل والنقل؟ ثم يظهر لنا أبناء بلا تربية ولا علم ولا توجيه، وأحدهم تزوج أربعاً في أربع قرى، كل واحدة في بيت ضيق قديم يصلح للبهائم، ووضع معها كلباً لحراستها وأبنائها، وهام بسيارته الأجرة يطلب الرزق، وكلما عاد أهله بكى أطفاله في وجهه يطلبون خبزاً، فأين «اعقلها وتوكل؟» وأين فعل السبب ودراسة العواقب؟ إن كثرة الناس بلا علم ولا فهم أصفار لا قيمة لها، فهل نفعنا مليار ومائتا مليون مسلم ؟ وهل انتصروا وأعادوا مجدهم المسلوب ؟ وإسرائيل بثلاثة ملايين ركَّعت العرب، وهددت العجم، وتوعدت البربر، وابتاعت صواريخ من الصين.

ربِّ ولدين صالحين عالمين ناجحين ولا تخلَّف لنا ثلاثين أحمق يسهرون في المقاهي ويرقصون في العرضات الشعبية ويقولون: يا بلادي يا بلادي عمت عين الحسود، وما أدري من هو هذا الذي يحسدنا وقد رآنا نضيع الأوقات ونخرج صناعاتنا للناس التي هي فأس قديم من عهد أبي زيد الهلالي، ومسحاة أثرية وسيف مكسر، ورمح أجرب، وجلد ناقة عجفاء، والعالم وصل إلى المريخ وعطارد وما زلنا نطالب بطريق إسفلت فإذا افتتح الطريق رقص أهل المنطقة وذبحوا الجمال والخراف وثلاثة أيام لتسمع بهم العرب فلا تزال ترهبهم أبداً، وعرفتُ مدرسة ابتدائية في البادية فيها سبعمائة طالب أكثرهم فقراء يفضلون بيتهم وقت الفسحة؛ لأن بعضهم يملك قيمة إفطاره، وبعضهم لا، فيخفون هؤلاء عن هؤلاء رفعاً للإحراج، وسوف يصل هؤلاء الطلبة إلى ألفين مع التعدد بلا وعي ولا تدبير ولا حسن تربية، فيجتمع الجهل والفقر والمرض، ﴿**ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا**﴾، وعند الخواجة طفلان أحدهما سوف يصل المريخ والثاني يصنع دبابة.

لغة أعجمية فصيحة

استمعت لمداخلة الكاتب من لندن في قناة العربية وأخذ بلهجة أعجمية فصيحة جميلة فيها، لكنها عربية عذبة يخبرنا أنه ينبغي أن نطلق حرية الرأي

والفكر والمعتقد، ويقول: لا ينبغي لأي فرقة أو طائفة إسلامية أن تحتكر الحقيقة، يا سلام يعني الكل صح والجميع على صواب وليس هناك أناس معهم الحق كله ولكنهم: (زي بعضهم) فما أدري ممن أعجب من جودة اللغة أم جمال اللهجة أم روعة الطرح أم سداد الرأي؟!! وذكرني برجل عامي عجول فيه سذاجة يحفظ كل دعاء يسمعه في الراديو وفي التلفاز، فزار أحد العلماء المرضى وجلس عند رأسه ودعا له فقال: الله يرينا فيك عجائب صنيعه، وهو يري أنه أحسن وأجاد فهذا الكاتب العظيم جاء يفهمنا أنه يمكن أن نعتقد بحرية وليس هناك أناس معهم الحق والحقيقة بل هي مشاعة موزعة على الجميع وهذا كما قال عمر: أنتم مثل العبادي عنده حماران قيل له: أي حماريك أسوأ؟ قال: هذا ثم هذا.

وأقسم لي الدكتور الحربي إن طالباً من أفريقيا قال له في الفصل: أنا عندي صداع في بطني ومغص في رأسي وأما سلامة مخارج الحروف وحسن الإلقاء وعذوبة المنطق فهي ربانية، وهو معذور في كل لحن، فهو من قوم يقول طبيبهم للمريض: بطنك يوجأني وخذ هبه صباه هبه مساء.

وقيض الله من مجاهدي أفغانستان من ألقى كلمة في الرياض، فقال عن الروس المحتلين: إن شاء الله ننهزم عليهم – يقصد نهزمهم – فكيف إذا ضعف النطق والرأي ﴿**فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**﴾، وهؤلاء الكتاب أكثر كتابتهم عن الإرهاب والتطرف والأصولية والأيديولوجية مع – طبعاً –: احترام الآخر، والآخر هي باختصار كندوليزا رايس، ﴿**فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ**﴾، وهؤلاء الكتاب (حبّوبين ومهذبين وحلوين) مع الخواجات وشرسين وعنيفين مع المشايخ والشيخات (أسد عليّ وفي الحروب نعامة) وكل يوم يطل علينا مثقف مبلغه من العلم عدة كلمات إنجليزية وأسماء بعض كتاب الغرب ولا يقيم آية ولا يحفظ حديثاً ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ**﴾ (يونس: ٣٢) وهؤلاء هم تنويريّون بزعمهم من النور والصحيح "تنّوريّون" من التنوّر ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾ (النور: ٤٠).

إلى الخلف دُر

زرت دولة عربية فوجدت مدنها بالية وبيوتها خاوية، عمارات قديمة وجسور مهدمة، وحدائق معطلة، فقر مدقع وجهل مطبق والناس يلاحقون بالتجسس، وقد قتلت الإنسانية في الإنسان، وهم مع ذلك مجبورون للتصفيق لهذا الزعيم الملهم والقائد الضرورة والرئيس المحنك، وصوره على كل (كبري) وفي كل شارع وعند مدخل كل مقهى وفندق، وعلى أعمدة الكهرباء وفي الميادين مرة وهو لابس طاقية ومرة بالبزة العسكرية ولم يخض معركة، وأحياناً يضحك في الصورة كأنه غوار، ومرة يعقد جبينه مفكراً كأنه سقراط، ومرة في صورة يحيي الجماهير كالأب الحاني وهو الذي قتل ثلثهم وشرد ثلثهم والثلث الآخر مسجون ومستعبد، والأرض محتلة والوطن مصادر والرشوة فاشية والفساد الإداري جاثم مع تكميم الأفواه وجلد الظهور ومراقبة الأنفاس والتنصت على كل غرفة في البيت ﴿**رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ**﴾ (الدخان: ١٢) ومن العجيب أنه كتب على صورته: سر بنا إلى الأمام، قلت أنا: وإلى الخلف دُر، فتحت تلفزيونهم فإذا صورته تملأ الشاشة وإذا ثلاثة أرباع الأخبار له وكل الصحف مصدرة بصورته في كل صباح والكتب المقررة تدرس كلماته وتشرح عباراته وسبحان الذي فتح عليه وهو يحمل شهادة الرابعة ابتدائي ليلي من مدارس النور لمحو الأمية، والعلماء والدكاترة يبحثون في خطبه عن أسرار البلاغة وأسباب الإعجاز ﴿**فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾ (الزخرف: ٥٤).

وبنو الأصفر والأشقر يقول عنهم عمرو بن العاص في صحيح مسلم: أمنع الناس لظلم الملوك.

والرئيس الأمريكي يحاسب أمام الناس؛ لأنه خلا بامرأة وتصبب عرقه أمام الكاميرات، وفي العراق ضربت مدن بالكيماوي وفي بلدان عربية أخرى عدد السجون أكثر من المصانع، ومنع الناس في دولة ثالثة من الصلاة في المسجد، بينما

فتحت الخمارات على مصاريعها، فهذه الدولة أخفقت في الدين والدنيا فلا مساجد ولا مصانع، قتل العقل والبدن، وحبس الفكر واللسان، واجتمع مع الجوع ذل ومع الهزيمة ومع الفقر قهر.

كثرة المؤتمرات

ما أكثر المؤتمرات في بلاد المسلمين لكن بدون قرارات عملية، إنما اجتماعات مغلقة ومحاضرات طويلة ثقيلة، وكلمات باردة سامجة وتوصيات متهافتة باهتة، ولو صُرف هذا المال في دور رعاية ومعاهد ومراكز للتدريب وللبحث العلمي كان أجدى وأنفع، كل يوم نسمع عن عقد مؤتمر لتأصيل الفكر الإسلامي وتطوير الحوار مع الآخر والانطلاق نحو العالم برؤية مستقبلية عميقة فاحصة تستطيع أن تعيش عصرها بروح التجديد والتعايش السلمي المبني على المعرفة المنهجية المتأقلمة مع محيطها الدولي المدركة لمتطلبات المرحلة؛ لأن الأمة تعيش في منعطف خطير، ونحو هذا الكلام الممجوج الهزيل الذي ملأ الفضاء نعيقاً وضيع الأزمان والأموال وشتت الأمة.

إن الأمة إذا صعب عليها العمل هان عليها القول، وإذا أخفقت في الميدان أجادت فن الهذيان، وإذا فشلت في مشاريع النهار فرت إلى أحلام الليل وسألت المعبرين عما رأته من فتوحات وانتصارات.

إن هذه المؤتمرات مثل التنجيم الذي كاد عرَّافوه أن يصدوا الخليفة المعتصم عن غزو عمورية فقال: آمنت بالله وكفرت بكم وحارب وانتصر، هذه المؤتمرات يُصرف عليها ملايين الريالات وتحجز لها الفنادق والقاعات والصلات والطائرات والسيارات الفارهات والولائم الشهيات مع حضور الكاميرات ومراسلي الصحف والإذاعات، ومندوبي القنوات وأعضاء من الهيئات والمنظمات، ثم لا يطبق قرار واحد وإنما تُحفظ التوصيات لمؤتمر آخر؛ لأن التنفيذ يحتاج إلى آلية تستطيع تفعيل هذه التوصيات على مدى خمسين سنة؛ لينقرض هذا الجيل الحي الموجود ﴿**يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ (محمد: ٣٨)، فمتى نلغي هذه

الحواجز بطريق العمل والبناء، ومتى نبسط حياتنا ولا نصدق هذه الترهات التي طالما ضحكوا بها علينا، الناس ينتجون ويصنعون ويخترعون ويكتشفون، معاملهم هدارة، ومصانعهم موارة، ونحن مشغولون بمؤتمرات ثرثارة، كلما فتحت قناة وجدت مؤتمراً في عاصمة عربية عن التنمية وصنع الحضارة ورقي الإنسان وتقدم الأمة وحقوق الإنسان، ثم تنظر للواقع فإذا بجانب المؤتمر أرصفة تعج بالعاطلين عن العمل، وطوابير من المتسولين وعلى يمين المؤتمر وعلى يساره سجنان عظيمان للمخالفين في الرأي باسم الحفاظ على هوية الأمة وأمن الوطن وراحة المواطن، وإذا هزلت أمة أكثرت من الخطب العنترية والمعلقات الشعرية وأسهبت في النفاق الزائف والمدح الكاذب، وما زلت أذكر قبل مدة اكتشف في دولة أوروبية خلل في المواءمة بين العاطلين ومتطلبات سوق العمل، فعقد مؤتمر عنوانه «أمة في خطر» وخرج المجتمعون بتوصيات حلت المشكلة في شهر، أما في دولة عربية فعقد مؤتمر عن الأمية كان عنوانه «أمة لها مستقبل» والدارسون تجاوزوا الأربعين عامًا، وكأننا ما زلنا نعيش في أحلام العصافير.

الغرور

نبتت عندنا نابتة اسمها النخبة عاشت منعزلة في قصور عاجية من الوهم وانفصلت عن الناس فكتاباتها رمزية لا يفهمها إلا من كتبها وإذا ألَّف الواحد منهم كتاباً بقي على الرفوف، فيقوم المؤلف بإهدائه لأصدقائه، وبعضهم إذا نظم قصيدة هستر وهذا كالذي يتخبطه الشيطان من المس، وحضرتُ أمسية في الرياض لشاعر حداثي فألقى قصائد فوالله ما ملكت نفسي إلا ضحكت وغالبت نفسي فما استطعت، ورأيت جاري يضحك مما يسمع فيقول هذا الشاعر: أقبية قلم الروح خاصرها، أنتقل في جفون الليل مثقلاً بعناء يشدني، فكأني أحمل الشفق، ونحو هذا الهلس والثرثرة، ونصيحتي للناس أن يتركوا التكلف في الحديث: هلك المتنطعون، والمتنبئ يقول:

أبلغ ما يطلب النجاح به الـ   طَّبع وعند التعمق الزلل

وبعض الخطباء يتقعر في كلامه فيخاطب الناس بخطورة الغزو الفكري وأجندة العولمة، والحمق مرض قديم والحكمة نادرة في الناس، ووجدت أحد الفضلاء ألَّف ستة مجلدات كبار في الطهارة فحمدتُ الله على السلامة، وأعرف طالب علم همه جمع الزلات والأخطاء وتعقب أغلاط الناس وجمعها وكأن الله جعله ميزاناً وحكماً يعود إليه الناس، وبعضهم إذا تحدث استغرق المجلس في الحديث عن نفسه وكتبه ومقالاته وكأنه ليس في الساحة إلا هو، وبعضهم لم يجد من يمدحه، فنظم قصيدة مدح في نفسه، فما صدقه أحد، ووجدت في سير أسلافنا عجائب، فبعض العلماء اغتر وسفَّه كل من خالفه، وكأن كلامه وحي، وبعضهم يقول: ما رأى هو مثل نفسه، وأحد الحنابلة يقول: إن ركب قارباً ثم انكسر يعني لن يتكرر وجوده في العالم، والسيوطي يرى أنه مجدد القرن التاسع، أما ابن حبان فأخبرنا أن شيوخه ألفان والله المستعان، وكنت أجالس بعض طلبة العلم فيصف لي قوة طلبه في شبابه وكيف كان يحفظ العلم، ثم ذهب ذلك كله وأصبح كالعامي، وعندنا دعاوى عريضة واهتمام بالشهرة والظهور؛ لأن الإخلاص مفقود، ولو عاملنا ربنا وحده ما همنا الناس فهم كالذباب لا نفع ولا خير.

الثقلاء

هم أناس الجلوس معهم يمرض الروح، وربما يبقى الواحد مريضاً ثلاثة أيام من رؤية ثقيل، ومن الأئمة من يصلي بالناس فيمطط صوته ويتباكى ويتنحنح ويظهر التخاشع ويردد الشهيق والزفير، فيا إخواني استحيوا من الله، عيب هذه المراءاة للناس وصرف العمل لهم، وقد قال قتادة: إذا قام العبد يصلي ويرائي الناس، قال الله: ملائكتي انظروا لهذا يستهزئ بي، ومن ثقالة الدم تطويل وقت الزيارة فإذا زارك ثقيل قطعك من كل شيء وأشغلك عن أعمالك بكلامه السخيف حتى يقول أحد الناس: الثقيل مثل البقرة الباركة أمام الباب إن حاولت أن تتجاوزها خشيت أن تنهض، وإن بقيت حبستك عن مشوارك.

ومن ثقالة الدم التطويل في الموعظة مع التمطيط والتلحين والتباكي والنياحة ولطم الخدود وشق الجيوب كأننا في حسينية، وعدم اختيار الكلام المناسب في الوقت المناسب، فيحدث الناس عن عذاب القبر في حفل الزواج، ويتكلم عن الزواج في العزاء، والعقل نعمة، ولكن بعضهم عقله في إجازة.

وزار شيخ قرية في الجنوب فحبسهم بالقوة من الفجر إلى الظهر في موعظة، ففر بعضهم وحصل لغط وكادت تكون فتنة وغاب عن هذا الشيخ قول الرسول ﷺ: "**يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا**".

وخطب أحدهم للجمعة فبقي ساعة كاملة في الخطبة الأولى حتى ضج المسجد وصاح بعض المصلين، وانظر كيف جهل السنة في خطبة الجمعة، وشق على الناس وتسبب في فساد صلاتهم، وهذا حمق منه وهوس.

وهناك صحفيون ثقلاء يكتب أحدهم مقالة مثل خلطة الأسمنت لا جمال في العرض ولا حسن في الفكرة ولا سداد في الرأي، وينيّلها بنيلة بطول المقالة حتى يكاد الإنسان يستفرغ من الغثيان.

وصحفي مشهور عنده جنون بالإغراب حتى عُرف بالماضوية واللاوعي وأجندة وبوتقة وأُطر، ومثل هذا يؤخذ إلى عيادة نفسية أو تقرأ عليه آية الكرسي أو يكوى ثلاث كيات على قفاه.

وبعضهم عنده سبعة دواوين كل ديوان مثل كيس الأسمنت لا يحفظ له الناس بيتاً.

وكنت أحاول الفرار من رجل إذا لقيني عانقني بحرارة وقوة وألصق صدره بصدري وخده بخدي، ثم ضمني ثم خنقني ثم جرني بأكتافي ثم هزني ثم أطلقني ثم سألني عن حالي وعيالي وأموالي ووالدي ووالدتي وعن الأمور والأشياء والأخبار والعلوم والجديد، والعجيب أن الله سلمني وما أصبت بجلطة من تصرفاته، إنما يصيبني مثل الحمّى، ورأيته يفعل مع غيري مثلي فأرحم كل من لقيه، لما أعلم من شدة ما وقع به، ورحم الله خفيف الظل ما أحسنه وأحبه إلى القلوب! أما الثقيل .... تهامه وملل وسآمة.

كذبة الألقاب

كان الصحابة الواحد منهم أمة من الناس في العلم والإيمان والصدق والتضحية، وكانوا يدعونه باسمه مجرداً هكذا: أبو بكر، عمر، عثمان، علي، فلما جاء من بعدهم زادوا: العالم فلان، والفقيه فلان، والقاضي فلان، ثم زادوا الفهامة والعلامة، ثم زادوا بركة الدهر وفريد العصر، ثم زاد سماحة الشيخ، ثم زاد سماحة الشيخ الدكتور الفاضل الإمام البحر الحبر الفقيه النظار الأعجوبة اللوذعي إلى آخره من الهذيان ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ (النجم:٣٢)، ثم فخموا الأشخاص وقدسوا الناس فقال: فخامة الرئيس الملهم القائد العظيم الزعيم الكبير الضرورة، ثم يسقط فيجرونه في الشوارع ويحرقون رأسه ويصنعون عليه براد شاهي.

ومن الجهل المطبق تكلف الإنسان ما لا يحسن وقد ذكر الجاحظ أن أحمق غبياً حدث الناس في البصرة فقال: وقعت صفين بين علي بن الخطاب ومعاوية بحضور فاطمة بنت أبي بكر الصديق وهذا تكلف الجهال.

وأحد العامة أراد أن يتفصح ويتبجح عند قبيلة وكانوا في قرية وقد سافر إلى الرياض، فقال له قومه: وش أخبار الرياض؟ قال: الدولة تساعد الحكومة لكن الشعب ما درى.

وهذا مثل خطيب خطب الناس فقال: أريد أن أتحدث لكم عن الفجل والخروف وأمير المؤمنين، ومشكلتنا في من يدخل في غير تخصصه وقد نهينا عن التكلف لكن من يسمع؟

وذكر القاضي العمري في اليمن أن أحد الوزراء هناك كان كذاباً ويأكل الربا فدعا الناس إلى وليمة وأخذ يحدثهم بقصص خرافية، ثم التفت إلى أحد الأدباء على المأدبة، وقال: كيف حالكم يا فلان؟ فرد عليه: نحن سمّاعون للكذب أكّالون للسحت، وإذا فسد عند الناس الطعام والكلام فقلّ: السلام والواجب قول الصدق وأكل الحلال.

وعلى ذكر اليمن فقد مر عندهم وزير غضوب شرس بسرداب في صنعاء معه موكبه وفي السرداب جزار لا يدري بالوزير فلما وازاه رمى الجزار بشيء من بقية الذبيحة فوقع الدم على الوزير السفاح، فقال: علي بالجزار يريد قتله، فقال أحد الشعراء للوزير: صدق فيك قول المتنبئ:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدمُ

فقال الوزير: قد عفوت عنه من أجل هذا البيت، وهذا يدلك على شيوع وذيوع شعر هذا المتنبئ الأعجوبة حتى إن الشوكاني ذكر أن أحد حكام اليمن جاءه شاعر ومدحه بقصيدة فأعجب بها الحاكم فقال الشاعر: والله إني أشعر من المتنبئ، فقال الحاكم: كذبت وكذب أبوك وحدك، والله إن للمتنبئ خمسمائة بيت تدور على ألسنة الملوك فضلاً عن العامّة وأنت ليس لك بيت واحد يدور على لسان أحد، وعلى ذكر كذبت أنت وأبوك وحدك فقد تحذلق الخليفة هشام بن عبدالملك وكان ناصبياً وأراد أن يخبرنا من جهله بخرافة فجمع العلماء وهددهم وقال: من الذي تولى كِبرَه يعني في قصة الإفك على عائشة رضي الله عنها فأجيب بأنه عبدالله بن أبي بن سلول، فكذبهم وقال: بل هو علي بن أبي طالب كذباً منه وزوراً فسكتوا خوفاً منه فسأل الزهري الإمام الشهير، فقال: الذي تولى كبره هو عبدالله بن أبي بن سلول، فقال هشام: كذبت فردّ الزهري عليه: بل كذبت أنت وأبوك وحدك، والله لو نادى منادٍ من السماء: إن الكذب حلال ما كذبت، فخرس هشام وخسئ مبهوتاً.

وذكرني هذا بأحمق شرح بيت الفرزدق حيث يقول:

بَيتـا زُرارَةُ مُحتَبٍ بِفِنائِـــهِ وَمُجاشِعٌ وَأَبو الفَوارِسِ نَهشَلُ

وهو يمدح أجداده وأحياء قبيلته ومن أشهرهم زرارة ومجاشع وأبو الفوارس، فتكلف الأحمق الجاهل فقال: زرارة البيت ومجاشع زمزم جشعت بالماء وأبو الفوارس القنديل المعلق، والجنون فنون، وهذا مثل تفسير بعض الطوائف المنحرفة في قوله تعالى: ﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ**﴾(الرحمن:١٩) ﴿**يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**﴾ (الرحمن:٢٢) قالوا: البحران علي وفاطمة، واللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين!! وهذا كلام تافه سخيف فلا عقل ولا نقل.

كما قرأ أحد جهلة الصوفية (فخر عليهم السقف من تحتهم) فضربه ابن تيمية وقال: لا عقل ولا قرآن؛ لأن السقف فوق. ومن حرّف معاني القرآن بهذه الطريقة فهو أشبه بالبقر، كما رأى ابن الجوزي أحدهم فقال: أنت فلان؟ قال: ذاك أخي فقال ابن الجوزي: إن البقر تشابه علينا.

وعندنا تقصير في تلاوة القرآن وحفظه وفهمه والعمل به حتى إنا استوردنا الباكستان والأفغان يعلمون أبناءنا القرآن، وهذا شيء يجعل الحليم حيران، وشغل الناس عن القرآن بالتفاهات حتى إني ركبت الطائرات مرات كثيرة ورأيت كل الركاب يقرؤون في كل شيء من المجلات والدوريات ويذكرون الحكايات وما سمعت من يتلو الآيات البينات.

وكنا في الابتدائية إذا جاءت حصة القرآن أخرجنا مدرس من الفصل للرياضة، فمن رفض دعا عليه: يخرب بيته ولكنه لما أهمل القرآن سلط الله عليه موشى ديان وشارون فأخربوا بيته.

وجاء أستاذ دكتور مثقف عربي الوجه والعقال أمريكي العقل والهوى، فأراد أن يستشهد بآية ليثبت لنفسه شهادة حسن سيرة وسلوك، فما حفظ الآية، فأتى بها من الأول ثم من الأخير فما ركبت فساقها بالمعنى ووقف حمار الشيخ في العقبة.

وقال أحد الأدباء: إذا أردت تثبت أنك مثقف عند هذه النخبة الفارغة البائسة فارطن بالإنجليزي واشرب بيسارك وطول أشنابك وخذ السجارة بين أصبعيك كما قلت:

فمنهم أخذنا العود والسجارة   وما عرفنا نصنع السيارة

وسافر من عندنا شباب للدراسة في أمريكا فأتوا لنا بلبس الجنز، وأكل الهانبرقر فقط، ونحن الآن والحمد لله نستورد كل شيء حتى الطباشير والمذيع في التلفزيون يتعشى طعمية ومحشي ويقول: إن العالم حسدونا على ما نحن فيه من تقدم، والتقدم يا أخي ليس (كبري) ونافورة وحديقة عامة، التقدم عقول منتجة ومراكز بحوث ومصانع هدّارة ومعامل شغالة وإنتاج وإبداع مع المحافظة على روح الرسالة الربانية العالمية الخالدة.

ومر شاب مثقف ملقف مجنون بالغرب فوجد شيخاً يدرس الطالب: (الروض المربع في الفقه) فقال: يا شيخ الناس صعدوا على سطح القمر وأنت تدرس الروض المربع، فقال له الشيخ: أنت لا صعدت معهم على سطح القمر ولا بقيت معنا تدرس الروض المربع.

فاصلة

وعند بعض الناس ورع بارد وظلم، كما فعل أهل العراق وقتلوا الحسين بن علي ثم سألوا عن فدية من قتل ذباباً وهو محرم بالحج، وحدثني الدكتور سلمان العودة أن أحداً مدحه البسطاء بأنه يكره الغيبة ولا يسمح لأحد أن يغتاب في مجلسه، فإذا سمع أحداً يذكر شخصاً ولو بخير بدأ يلتفت إليه محذراً ويقول: بدينا؟ مستنكراً وهذا مثل الورع عند من يختطف المواطنة فيعلق صورة الملك في مكتبه ليثبت أنه وطني، يموت في حب الوطن، ثم يسرق المال العام، ويلعب بالثروة ويترك الدوام.

وقد ذكر الدكتور القصيبي في كتابه ثورة في السنة النبوية الحديث النبوي في من غلَّ بقرة بأنه يأتي يوم القيامة وهي على كتفه ولها خوار قال: فكيف من غلَّ الوطن وسرقه كله، وأهل هذا الورع البارد يظهرون في صور شتى، وقد حج معنا بعض التجار يتعاملون بالربا، ويسأل عن سقوط ظفره أو شعره مظهراً الورع والخوف من الله، وبعضهم يسأل عن خضاب الشعر بالأسود وقد ترك الصلاة في المسجد بلا عذر، وصدام حسين صلى المغرب على شاشة التلفزيون فبكى بعض الناس تأثراً بإيمان هذا الرجل الذي قتل الناس بالكيماوي، وذبح العلماء، وذكر ابن كثير أن أحد القضاة عنده وسوسة في الطهارة فيكثر من التطهر وصب الماء وهو يتعامل بالربا والعينة، فانظر إلى سوء التدبر وعمى البصيرة.

فاصلة

وهناك زعيم عربي دمَّر بالطائرات أهل مدينة كاملة في دولته وحضر المولد النبوي وهز برأسه خاشعاً فاغتر البلهاء.

وجمال عبد الناصر حضر مهرجاناً فأخذ القارئ بالأجرة يكرر في سورة النحل: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ ﴾ (النحل: ٦) فظن جمال أنه المقصود فارتاح وابتهج وظن أن الله ذكره في القرآن، ثم قتل الدعاة وفرَّ من إسرائيل وسلم الأرض.

وكاد طاغية في مصر أن يتوب ويترك الظلم لما وقع الزلزال فقام شاعر منافق فقال:

ما زلزلت مصر من كيد ألمّ بها لكنها رقصت من عدلكم طرباً

فعاد إلى الظلم.

والكلب المعثر ابن هانئ الأندلسي يقول في أحد الحكام:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

فابتلاه الله بمرض فأخذ يعوي منه كما يعوي الكلب.

وعلى ذكر الكلب قام كلب بعثي شاعر فقال:

آمنت بالبعث رباً لا شريك له وبالعروبة ديناً ما له ثاني

وبعض الكلاب تحسن التصرف وفيها وفاء يقول شوقي لحافظ إبراهيم:

وحملت إنساناً وكلباً أمانة فضيَّعها الإنسان والكلب حافظ

وأراد أحدهم أن يسلم على رجل فنبح كلب فقال لصاحبه: احبس الرجل لأسلم على الكلب. أخطأ من شدة الفرح.

وعالم السوء مثل الكلب؛ لأن الكلب يلهث في الشمس والظل، وعالم السوء خبيث قبل العلم وبعده.

وأبو حية النميري من أجبن الناس، وقد دخل كلب بيته في الظلام، فظنه لصاً فأخذ سيفاً عنده من خشب سماه ملاعب المنية، وأخذ يهزه ويتوعد اللص، فخرج الكب فسقط سيف الخشب من يده وأغمي عليه، فلما أفاق قال: الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفانا حرباً.

ودعبل الخزاعي شبَّه المعتصم بالكلب فأهدر دمه، يقول المسكين:

ملوك بني العباس في الكتب سبعة ولم تأتنا في ثامن منهم الكتب

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة وثامنهم فيما أتى عندنا الكلب

لأن المعتصم الخليفة الثامن من بني العباس، وقلة التدبير وضعف العقل والخذلان يحصل لبعض البشر.

والشافعي وجد شيخاً كبيراً يصلي الفريضة جالساً فسأله عن السبب فقال: تعبت أدور على الجواري أعلمهن الضرب بالدف، وبعض كبار السن يسهر على البلوت والشيشة أو مشروب آخر وينام عن صلاة الفجر، وهؤلاء قصدهم ابن لعبون الشاعر وغيره من الشعراء حيث يقول:

رجالهم ما يسفه إلا إذا شاب مثل القرع يفسد إذا كثر لبه

وفي كبار السن أخيار وأبرار لا تخلطهم بالفجار كما قال ابن عويس:

الزين ما ودّك تحطه مع الشّين ودك تخلي كل شي لحاله

وبعض الناس شايب عايب خايب ولو كان عنده ذرة عقل لكان خجل من سن الثمانين يا ستير ... قضاها، والثمانون عجيبة رهيبة بكى منها الشعراء حتى قال زهير:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم

وقال آخر:

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

وقال الثالث:

قالوا أنينك طول الليل يسهرنا فما الذي تشتكي قلت الثمانينا

وقال رابع:

والثمانون ويلها تسلب اللب فأين المعد للموت أينا

وبعضهم يأكل فحماً من الكبر وبقي يأمل ويخطط للدنيا ولا يستحيي من الله فأين تذكر الموت وما وراءه والاستعداد ليوم المعاد؟

ورأيت شيخاً كبيراً يجلس عند باب المحكمة مستعداً لشهادة الزور بأجرة!! ليختم بها حياته ونعوذ بالله من الخذلان.

وشاعر شعبي بلغ الثمانين يحضر الرقصات الشعبية، ويقول الكلام البذيء ويلعن ويسب كأنه طفل:

هب الشبيبة تبدي عذر صاحبها ما بال أشيب يستهويه شيطان

والشيب نذير الموت وما بعد الأربعين إلى الانحدار فكيف بمن جاوز الستين؟

وأعرف كاتباً مشهوراً في السبعين من عمره يستهزئ بالدين وينال العلماء ويلمز الصالحين ويغمز السنة النبوية، وأكثر كتاباته في هذا الباب وهذا هو الذي أقر عين إبليس وانخلع من كل خير.

وعلى ذكر ضياع الأعمار في التافه الرخيص فقد رأينا من صرف وقته في الزور واللغو والقيل والقال، ورأيت كبار السن يجلسون في السوق عامة النهار يتحدثون في السخافات ويطلقون اللسان والنظر فيما لا يحل، وبعضهم يسمر كل الليل مع قصائد شعبية في مدح قبيلة وأنها أفضل قبيلة خلقها الله؛ لأن الله أكرمها بافتتاح أول مدرسة ابتدائية فأقامت حفلاً مدة ثلاث ليالٍ، ونحرت الإبل ورقص رجالها على الزير وأنشدوا الأناشيد ونصبوا المخيمات، وهذا على منهج العامة في الجهل بالنسبة، والإسراف في المخالفات مثل ما يفعلون في زواجاتهم، فالمهر أكثر من مائة ألف مع تأثيث بيت وشراء سيارة وهدايا لأهل الزوجة وولائم كلها رياء ومباهاة يدفعها الزوج المسكين الذي راتبه أربعة آلاف ريال، ويبقى في سداد دينه ذليلاً طيلة حياته، وهذه المجتمعات قد صعّبت على نفسها الحياة، حتى العزاء له مراسيم عندهم فيجتمعون في بيت الميت ثلاثة أيام على أكل وشرب ومزاح وحكايا مع ضياع الوقت وترك الأعمال، وهذا كله خلاف الشرع.

وعلى ذكر الزواجات والمباهاة فيها فقد حدّثني الشيخ عبدالعزيز المقحم أن أناساً من البدو وقع عندهم زواج والعادة عندهم مساعدة المتزوج أمام قبيلته إما بمال أو ذبائح، فجاء اثنان من قبيلته أعرابيان جاهلان وذهبا للبحث عن خروف ليقدماه للزوج أمام الناس، وفي طريقهما أدركتهم الصلاة فصليا بجامع، ثم خرجا مسرعين فأخذا أجمل حذائين عند باب المسجد سرقة، ومرّا بسوق البلدة فوقفا على سوق الغنم واختارا أعظم خروف واتفقا على إشغال صاحب الغنم حتى يهربا فأركبا الخروف في سيارتهما، ثم شردا في لمحة البصر، وصاحب الخروف يصيح أمام الناس دون جدوى، فلما وصلا في الليل إلى مكان حفل الزواج وقفا بالسيارة أمام الناس رياءً وسمعة وأخبرا العريس بالخروف الهدية فشكرهما وأثنت عليهما القبيلة وطلبوا منهما إنزال الخروف في حوش الغنم المجاور فوجدا في الحوش عدداً كبيراً من الخراف فأختارا منها اثنين وأركباهما في السيارة سرقة، شردا على وجه الخفية ولم يشعر بهما أحد، فانظر كيف هانت عندهم مراقبة الله وعظموا الناس فوقعوا في ذنوب كثيرة.

وهذه الزواجات المخالفة للشريعة يجري فيها منكرات يشيب لها الرأس وفي زواج كبير كان يطلق فيه النار بالرمي بالبنادق الرشاشة فقُتِل اثنان في الزواج وتحول العرس إلى مأتم.

وفي الزواج يجمع شعراء شعبيون بأجرة باهظة فيمدح القبيلة وصاحب الحفل والعريس ويسب بعض القبائل، ثم يتهاجى الشعراء فيما بينهم لإضحاك الجمهور إلى درجة اللعن والقذف ويسهرون إلى الفجر وتضيع الصلاة ويذهب المال والجهد والوقت في المنكر، وليس فيهم رجل رشيد يمنع هذا الهراء.

وفي زواج كبير مشهور قام أحد التجار بصنع مأدبة هائلة رياءً وسمعة وأسرف غاية الإسراف مع العلم أنه من أبخل الناس عن الصدقات وفعل الخير، وبعد الحفل أخذ العريس زوجته ووقع لهما حادث مروري وفارقا الحياة في تلك الليلة، وتحولت الأفراح إلى أتراح، وهذا جزاء كفر النعم.

والعريس يبقى سنوات يكدح في جمع المهر، ثم يُكلف بشراء ذهب وملابس وإرضاء القريبات والعمات والخالات والأخوات بكافة الهدايا ليتحول إلى فقير متسول يمر على الأغنياء بصكوك الإعسار، فأين العقل والدين ؟! وأشرف نساء العالمين فاطمة بنت محمدﷺ كان زواجها سهلاً ميسراً بسيطاً ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ (الأعلى: ٨).

وهذه القبائل والمجتمعات قد شقت على أنفسها في كل شيء، حتى الموت عندهم صار صعباً فعند العزاء تذهب القبيلة عند قبيلة الميت فيختارون منهم رجلاً مجرباً متحدثاً ليعظ الناس عند دخولهم، ثم يدخلون صفوفاً بمراسم متعبة وطريقة محفوظة وتكلف زائد فيبدأ هذا المتحدث بكلام معروف مسجوع وأحياناً لرهبة الموقف تحصل دواهٍ، وأحدهم يدعو للميت فقال: الله يحرم عليه الجنة، والثاني أراد أن يقول: الله ينقل الميت من دار الفناء لدار السعداء فوقف عند قوله: الله ينقل ويكررها، وفي قبيلة الميت رجل عيّار مزّاح فصاح بالواعظ: الله ينقلك أنت إلى تهامة ويريحنا منك.

ومات شيخ قبيلة فجاء أحد مرافقيه وخدامه فبكى على القبر بكاءً مرّاً وأخذ يصيح أمام الناس فلما عاد الناس قال له أحدهم: يا فلان أنت رجل فاجر ولا تحافظ على الصلاة ومعروف بقلة الدين، وش هذا البكاء اليوم على فلان عند المقبرة؟ قال: والله لأتجمل أمام أبناء الميت وأتظاهر بالحزن لمقاصد في نفسي.

وجاءت قبيلة إلى قبيلة للعزاء وشيخهم مشهور بالشرور والذهول والخطأ فلما اقتربوا من بيت الميت كان هناك أطفال يلعبون لعبة معروفة فيصيح الطفل بالأطفال: جاكم بالحصين!! فيقولون: جاء، فعلقت هذه الكلمة في ذهن شيخ القبيلة ودخلوا على أهل الميت والناس صفوف فصاح فيهم: جاكم بالحصين أراد أن يقول: أحسن الله عزاءكم لكن دخلت عليه هذه الكلمة فضحك بعض الناس، وأعوذ بالله من الجهل بالشريعة كيف يجعل الناس يشددون على أنفسهم ويعذبون أرواحهم؛ لأنهم تركوا السنة السهلة الميسرة، حتى يقول أحدهم بعدما درس وسافر واكتشف

أخطاءهم: والله إني سافرت في كثير من البلدان والدول فما وجدت أشق وأصعب من بلدنا حتى إن الثور عندنا بخلاف ثيران العالم ينطح بشراسة والبقرة ترمح، والديك يخمش والهرة تقفز عليك والكلب يفترسك لشراسة أهل البلد وكثرة العنف فيهم، والعنف ما كان في شيء إلا شانه.

وحدثني الشيخ عبدالعزيز المقحم أن رجلاً في قرية من القرى كان شرساً غضوباً سيئ الخلق ما ترك أحداً إلا ودخل معه في مشكلة، فطرد من عمله فأقام مغسلة للموتى وأخذ يغسل الموتى، فقال أحد أفراد قبيلته: تغسيل فلان للميت أول عذاب القبر.

وفي بلد عربي استأجر أهل الميت قارئاً ليقرأ على القبر بأجرة فلما دفعوا له الأجرة وجدها زهيدة حقيرة فغضب وأخذ يقرأ على قبر الميت: ﴿**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ**﴾ (الحاقة: ٣٠،٣١).

وفي إحدى الزواجات جاؤوا بقارئ سفيه أحمق فقرأ : (الطلاق مرتان) فطروده، وصار القرآن عند الكثير فقط قراءة في المواسم والأعراس والمآتم والمولد والحفلات ونحي القرآن عن الحياة ففشلت الأمة وذلت وهزمت وعاشت مقهورة.

ومات زعيم ظلوم غشوم سفاك فوقفت حاشيته على جنازته طبعاً بلا وضوء وقرؤوا سورة الفاتحة مظهرين التباكي وهم يحمدون الله الذي قبض روحه ﴿**وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِراً**﴾ (الكهف: ٤٣).

وأحد الظلمة مات يوم الجمعة فقال محبوه: ما شاء الله يؤمَّن من عذاب القبر؛ لأنه مات يوم الجمعة وسألوا عالماً قال: يعذب يوم السبت إن شاء الله.

وكان هناك قاضٍ مشهور بالظلم وأخذ الرشوة فرفع إلى مرتبة أرفع فجاء الناس يهنئونه فقال أحد الشعراء:

ولما أن توليت القضايا　　　وفاض الظلم من كفيك فيضاً

ذبحت بغير سكين وإنا　　　لنرجو الذبح بالسكين أيضاً

وعلى ذكر القضاة فمنهم العادل البار الراشد وهذا كثير، ولكن منهم قليل الذمة فاقد الورع حتى إن منهم قاضياً في بلدة يرتشي بحيلة فلا يأخذ الدراهم بل

يرفض ويأبى بإصرار ثم يقول: هي حرام علي لكن ما دام أقسمتم أعطوها دولة، ودولة زوجته وعند نفسه أنه بريء طاهر.

إذا جار الوزير وكاتباه وقاضي الأرض أجحف في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء

وعلى ذكر تدليس بعض القضاة فإن التلبيس والتدليس منتشر في طبقات الناس لفساد دينهم، فبعض الفقهاء يجيب عن كل سؤال ولا يقول لا أدري؛ ليبقى جاه المسكين عند العامة، وبعضهم يقول: في المسألة خلاف ويسكت، وآخر يقول: الأحوط والله أعلم والذي يظهر لي، فيأتيك بجواب مريض باهت مثل العصا المكسورة، حتى إن بعض الفقهاء لا يميز بين الحديث الصحيح والضعيف، وكل عمدته على كلام الناس من كتب الفقه، والمقلد ليس من أهل العلم، وكان عندنا فقيه يحذر من الاستنباط من النصوص ويجعل بينك وبينها سبعين باباً من التخويف والتحذير والمشقة والاحتراز.

وبعض الخطباء يصور خطبته من كتب سابقة فأحياناً يتكلم في القرى عن مشكلة العمل والعمال ويتكلم في البادية عن الغزو الفكري، وبعضهم يتباكى ويتجاشع ثم يقطع صوته بالبكاء، وربما رتل الآية فمططها، واستعمل المدود والآهات والزفرات، وسمعت أحدهم يتكلم عن فضل قراءة سورة البقرة وأنها تمنع البيت من الشيطان فأخذ يدعو: اللهم اجعل البقرة تدوي في بيوتنا يعني سورة البقرة فصار فهم الناس إلى البقرة، وسمعته يلوم الناس على تقصيرهم في الصدقة ويقول: حتى الفقير ما يجد ما يسد عورته يعني جوعته وقام خطيب أحمق فقال: أيها الناس لا تغتروا والله حتى أنا لا أضمن لنفسي الجنة.

وخطيب اشتهر بالغرائب والعجائب فكان يسوق قصصاً لمن تاب لكن بعد حادث مروري مروع أو خروج ثعبان أو رؤيا منامية هائلة مخيفة أو أعجوبة فكأنه لابد للإنسان قبل أن يتوب من حادث يخلع قلبه ويدهش لبه وقد أعرض هذا الخطيب عن الكتاب والسنة.

وبعض الخطباء يهدد المصلين ويتوعدهم وكأن مفاتيح النار في جيبه حتى يستخدم كلمات نابية لأهل المعاصي كمجرم خسيس ديوث، خبيث ساقط، حقير، تافه. والسلام على عفاف اللسان في القول اللين، والحكمة في الدعوة.

وبعض الخطباء يخطب خطبة فكرية في العوام وينقل من الصحف والمجلات ويذكر أسماء الغربيين ويتفاصح ويتبجح، والعقل نعمة على الإنسان وأين: "حدثوا الناس بما يعرفون".

وصليت مع خطيب ضعيف هزيل فغطى وجهه بالأوراق وأخذ يهمس لنا بالكلام ويلحن في العبارات وقد نام بعض الناس وصار هو على المنبر جثة هامدة ﴿ **وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ** ﴾ (ص: ٣٤).

وبعضهم يتحمس ويرفع صوته حتى لو حدثك عن فضل السواك، والخطابة تحتاج إلى إعداد ودربة بعد الموهبة.

والتدليس عند الشعراء كثير بعدما يحذف ثلاثة أرباع الشعراء الموجودين ويؤخذ عليهم التعهد بعدم نظم أي قصيدة، ومن فعل ذلك عزّر بلزوم سوق الخضار ليبيع البطاطس والكوسة فهذا أنفع للأمة، وقد رأيت من شعراء زماننا عجائب، وعندنا شاعر مات من زمن له دواوين كل ديوان في حجم الطوبة أو التتكة أو المسند قد نظم في كل مناسبة مائة بيت ولو افتتح بنشر سيارات لأحيا المناسبة بقصيدة وهو ينظم في حفل تخرج طلبة السادسة الابتدائية وحفل افتتاح صوامع الغلال ورثاء في مؤذن المسجد وقصيدة تبريك لصديقه بزواجه من الرابعة إلى آخر هذا الهلس والكلام الفارغ.

ونظم لي طلاب قصائد كلها نثر ثقيل بارد ممجوج ويرونه شعراً وقد أنذرتهم وحذرتهم وما نفع وقد ضيعوا أوقاتهم؛ لأن الشعر أولاً موهبة.

وحضرت مخيماً فقام مدّع للشعر وقال عن الأمة:

صافحت بدر السما ثم انثنت   تتلقى في السماء الكوثرا

ونحو هذا الكلام التافه، ولي صديق سب الحداثيين بقصيدة قال فيها:

من يحلق الذقن لا يؤمن على الشنب.

عافانا الله وإياكم من هذه البلوى.

ولنا أصدقاء عندهم مئات القصائد وليس هناك لهم بيت يقول:

باسم عليه، وهذا عيب يا إخوان وتضييع للزمان.

والمتنبئ له فقط خمسة آلاف بيت سارت بها الركبان، وطبقت الدنيا فيكفي أن تطالعه.

وأجروا مقابلة مع شويعر فخرج نافخاً زوره متغطرساً متبجحاً فسألوه عن رأيه في أبي تمام والمتنبئ فقال بحمق وبرود: لا بأس بهما، وما أحسن عشر جلدات بسوط لين على ظهور بعض الناس ليعرف مكانة الناس.

وعلى ذكر الشعر فقد وقع لي مواقف محرجة مع الشعر، فقد نظمتُ قصيدة في حفل مخيم صيفي بأبها حضره مدير جامعة الإمام وبعض المسؤولين وأمة من الناس وظننت أن القصيدة في جيبي وأنا لا أحفظها، وقد أخذها مني أحد الأصدقاء وذهب يزور أمه، فلما وقفت أما الجمع بحثت عن القصيدة، فلم أجدها فقلتُ بكل برود: حصل خير فقد أخذ فلان قصيدتي وذهب يزور أمه وإذا رجع ألقيتها عليكم.

وعلى ذكر المواقف المحرجة فقد ألقيت كلمة مؤثرة في مسجد بجازان فصاح أحد الناس وبكى وشهق فحمدت الله في نفسي على القبول، فقام أحد الناس إلي وقال: خفف على هذا الرجل فهو مصاب بمس الجن فسكتّ خجولاً وذكر أحد الدعاة المشاهير أنه قام في المسجد في قرية بعيدة ونسي مبلغاً من المال في سيارته فلما بدأ كلمته تذكر المبلغ فأخذ يخلط في الكلام ويستعجل فكلما قام أحد المصلين أجلسه خوفاً أن يخرج ويمر على المبلغ حتى أنهى كلمته سريعاً وعمد إلى السيارة، وحب المال مركوز في الفطرة ولا يغرك من سب المال فهو عاجز عن الحصول عليه على مذهب: حامض يا عنب، وكلفوا رجلاً أعرابياً في مسجد بإلقاء كلمة على عادة بعض الجماعات فاعتذر بالجهل، فقالوا: افتح فمك ويفتح الله عليك، فتكلم بقصة

سمعها وهي خروج الرسول ﷺ وصاحبه أبي بكر من مكة إلى المدينة ثم قال: فطاردهم الكفار فشق الله لهم البحر، فقال أحد الحضور: أنت دخلت في قصة موسى وهارون، فرد عليه وقال: اسكت هذه القصة في البخاري وإن كنت شاك بصدقي فشوف أولاد عمومة البخاري بخارية خبابيز في مكة فاسألهم، فضحك الناس، والجهل بالدين عند الأمة منتشر لبعدهم عن تعلم العلم وهذا أعظم محبط للأمة ومعطل لقدراتها.

والأمة مع الجهل عندها نفاق اجتماعي كبير ولكنا شاركنا في ذلك، أعرف شاعراً حلف في قصيدة لأحد المسؤولين ما عرف العالم مثلكم وهذا على ذمته، وذكر أن ملك سليمان صفر، بالنسبة للملك الحالي (وإذا بليتم فاستتروا).

وعقد حفل في مكة لتوديع داعية شيخ فاضل طاعن في السن وانهمرت قصائد الوداع بذكر محاسن هذا الشيخ ووقع الغلو وكثرة الإطراء والمبالغات حتى ما ظفر شيخ الإسلام ابن تيمية بعشر هذا، وهذا دليل على إفلاس الأمة.

وأحد القضاة نقل من الجنوب إلى الرياض وهو شاب ليس له في القضاء إلا سنوات معدودة فعمل له أهل المنطقة حفلاً كبيراً وألقى الشعراء قصائد هائلة ولم يستحيوا من هذا الإطراء والمبالغة المقيتة، وأشهد أن صاحب العظمة والكبرياء والجبروت هو الله وحده، أما نحن فضعفاء فقراء مذنبون محتاجون.

وكنت في المكلا جنوب اليمن فقام شاعر يقول لي: يا صاحب العظمة، فنفرت من ذلك وصحت: أبرأ إلى الله، صاحب العظمة الله وحده.

ورأيت موظفين يكتب بعضهم على مكتبه الدكتور فلان رئيس شعبة كذا في قسم كذا في كلية كذا في جامعة كذا، وعنده براويز معلقة بكل ورشة شكرته أو صاحب محل بنشري أثنى عليه أو راعي بقالة مدحه أو مهبول قال فيه قصيدة، وقد جلست مع بعض المسؤولين فحدثني عن نفسه ساعتين وعن إنجازاته وسفرياته ونبوغه ومن لقي وماذا قال وفعل ثم هو صاحب شهادة ثالثة ابتدائي ليلي.

ورأيت حفلاً في دولة عربية لرئيسهم فوالله ما بقي من الثناء الزائف والمدح الكاذب والنفاق إلا أن يقال: أنت ربنا الأعلى!! - ﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا**﴾-.

وبعضهم ألف مذكرات حياته فجعل نفسه كأنه نبي معصوم فذكر كل جانب مشرق ونجاح له وكتم علينا الدواهي كما قال برناردشو: إذا قرأت التاريخ فاعلم أن هناك شيئاً مسكوتاً عنه وهو الحقيقة.

وزرت أديباً شهيراً بلغ الثمانين فإذا هو يكتب عن أودية الجزيرة عن وادي الرمة ووادي بيشة وعن رمال الدهناء وأعوذ بالله من نقص البصيرة وماذا نستفيد من كلام تجاوزه العلم وقد نزل الناس على عطارد والمريخ ولو صرف جهده فيما يقربه من الله أو ينفع الأمة لكان خيراً وليته في الثمانين فتح المصحف وأدمن النظر وبكى على تفريطه وأكثر من التوبة والاستغفار.

وكان عندنا عالم آثار وتاريخ مشهور كان يحدد الأماكن والقبائل والأنساب ويسافر ويسهر ويلقى الصعاب من أجل بلده أو قريته وكان يعرف هكذا: بلدة كذا عن يمين الداخل إلى مكة وعن يسار الخارج منها ومعلوم أن ما كان على يمينك داخلاً يكون على يسارك خارجاً والحمد لله على هذه الفتوحات، وبعضهم أفادنا نفع الله بعلومه أن مدينة جدة بفتح الجيم والضم والكسر فوسع على الأمة وسع الله عليه، وأحدهم كتب تاريخاً فصار ضحكة فكان يذكر الحدث العالمي الهائل بجانبه حدث تافه سخيف، فيقول: ثم دخلت سنة كذا وكذا وفيها التقى الروس والألمان في بلغراد في معركة طاحنة وفي نفس السنة طاحت مئذنة جامع عنيزة ثم بنيت بالطين فيما بعد.

وعلى ذكر تلبيس إبليس على الناس فأذكر بعض أصدقاء وزملائي تركوا الدعوة ونفع الناس منهم دكتور فاضل عابد يختم القرآن في أربعة أيام وترك مسائل العلم والدروس والمحاضرات وحبب له النوافل بينما النفع العام والدعوة إلى الله أفضل وأرفع مما فعل.

وطالب علم ذكي موسوعي اشتغل بالمسائل وغوامض العلم عن المقاصد وتعمق في فنون بعيدة عن الكتاب والسنة فصرف الجهد والزمان في غير طائل.

وأعرف طلبة علم سهروا وحصلوا وحفظوا وتعبوا وبعضهم يحمل الدكتوراه فلما تخرجوا تركوا الطلب ونسوا حظاً مما ذُكروا به وانصرفوا، هذا لتجارته وهذا إلى عقاره، وهذا إلى زوجاته وصاروا كالعوام يحضرون كل مناسبة ويشاركون في الأفراح وخف عليهم القيل والقال وثقل عليهم العلم.

ولبس الشيطان على بعض التجار فصرف عمره لله في طلب المال وتحول خادماً وصار عبداً للدرهم والدينار وترك حق الله في المال وبجانبه فقراء وأيتام ولا يشعر بهم، ومنهم من خذله الله فحارب بماله الدين والفضيلة وأقام قنوات تهدم الأخلاق.

ولبس إبليس على بعض الموظفين فأخر معاملات الناس واحتجب عنهم وقبل الرشوة وأخل بالدوام فأكل الحرام ونسي الواحد العلام.

وعلى ذكر النفاق الاجتماعي فنحن مسرفون في المديح والثناء على الناس وقبول الإطراء والفرح به فعندنا مدير المدرسة مسدد ملهم وتجد طلاب مدرسته خمسين طالباً في أحواش غنم، وخطيب مسجد الحي مصقع وهو خطيب الدهر وأعجوبة العصر وهو يقرأ الخطبة من أوراق ويغلط في الورقة سبع مرات، وشيخ القبيلة داهية الدواهي وحصن المكارم وبطل الفتوحات وهو عامي لا يعرف نواقض الوضوء ولا يقرأ رسالة، وحارس المرمى أعجوبة، والأمة إذا أفلست في واقعها فرت إلى الألقاب والأوهام والمنامات.

وأعرف من يمدح الناس في وجوههم ومن يسبهم إذا غابوا، إذا رأيت من يبالغ في مدحك فهو لا يراك في تلك المنزلة، ومن عرف الناس ارتاح فلا ينفع مدحهم ولا يضر ذمهم فهم كالأموات.

ومواقفنا مزاجية في الغالب حسب الطقس، وكنت أخطب الجمعة فتعرضت لثورة الخميني بالنقد فجاءني تنبيه بالمنع ولما قام الإيرانيون بالمظاهرة في مكة طلب منا التنديد بالخميني ومنهجه ثم تحسنت العلاقات فمنع الانتقاد.

وصدام حسين مدحه الشعراء حتى أوصلوه النجوم ثم لعنوه وتبرؤوا منه.

وكنت أنا والدكتور سعد نبين الحق ونحذر من الغلو في قناة mbc فجاءنا من بعض الجهات العلمية نقد فلما ظهرت فتنة الغلو دعينا لنقول أكثر من ذاك الكلام وما أحسن الوسط في كل شيء.

وأعرف أحد العلماء كان يسب الشيعة أشد السب فلما قامت العلاقات مع إيران عاد فأحسن الكلام وأخذ يقول كلاماً عاماً يفهم منه التفهم والحوار ونحو ذلك.

وأعرف من تشاغل بعيوب إخوانه الدعاة وترك أعداء الإسلام وكلما نصح قال: هم أخطر من اليهود والنصارى يقصد الدعاة ولا يذكر لهم حسنة وإذا اعتذروا قال: هذا تدليس وتلبيس لا يقبل وكل ذلك حسد وبغي.

حدثني سفير اليمن في السعودية السابق الدكتور محمد الكباب أن الرئيس الحمدي كان سريع البديهة ويكره رجلاً أسمر في حكومته فقال هذا الرجل الأسمر للحمدي: والعسكري، وسكت فرد الحمدي: لا تشترِ، وسكت فلما انتهى الجمع سألوا أحد الأدباء عما سمعوا، فقال الأديب: أما قول الرجل الأسمر للحمدي: والعسكري فقصده قول الزبيري:

والعسكري خبيث في مذاهبه كأن إبليس بالطغان رباه

وكان الحمدي حاكماً عسكريًّا

وأما قول الحمدي في رده: لا تشترِ فقصده قول المتنبئ:

لا تشترِ العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد

لأن الرجل أسمر.

وذكر في هذا بسرعة بديهة بعض الخلفاء والأمراء فأبو جعفر المنصور أخذ رجلاً يدله في المدينة ونسي أن يعطيه الأجرة فقال الرجل: يا أمير المؤمنين هذا بيت الشاعر الأحوص الذي يقول:

يا بيت عاتكة الذي أتغتزل

فقال أبو جعفر لأصحابه: أكملوا لي القصيدة فوجد فيها:

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق الكلام يقول ما لا يفعل

قال أبو جعفر : ادفعوا له الأجرة.

وأنا أوصي إخواني الدعاة والكتاب والأدباء بالبساطة والتيسير وترك التكلف والتعمق كما قال المتنبئ:

إنما يحصل النجاح مع الطبع وعند التعمق الزلل

وكان الشيخ محمد متولي الشعراوي آية في بسيط العبارة وقد سألت رجلاً عامياً مصرياً عن أسلوب الشعراوي، فقال إنه يذوب لنا الكلام في سكر في كوب من حليب.

والشيخ علي الطنطاوي كان آية في حسن العرض والبساطة وسهولة الطرح ففهم عنه الجمهور.

وكنا نجلس مع العلامة الشيخ ابن باز فيتكلم كلاماً سهلاً قريباً يفهمه كل أحد، فوضع الله له القبول وعم نفعه، وعرفت أناساً من أهل العلم يتكلفون في كلامهم ويصعبون العلم وأحدهم يلقي دروساً لا يحضرها إلا ستة لصعوبة شرحه فقل الانتفاع.

وعجبت لمن صرف علمه في بعض الفنون مع قلة نفعها وعدم الحاجة إليها، فأحدهم جمع مجلدات في الشعر الشعبي العامي وأخذ يترجم لهؤلاء الشعراء ويذهب أوقاته في تتبع قصائدهم فيا لقلة فائدة عمله ولم يقبل على مجلداته أحد.

وعلى ذكر ضياع العمر فبعضهم جالس في بيته ينتقد كل أحد ولم يفعل شيئاً من العمل النافع فتراه يسب الحكام صباح مساء، ويغتاب العلماء فهو مدة خمسين سنة متوتر غضبان محتد ولم يشعر به أحد وإنما أهلك نفسه .

وبعضهم خصص حياته وليله ونهاره في الرد على سيد قطب وتحذير الأمة مع العلم أنه ترك أعداء الإسلام ولم يتعرض لهم بل إنه لم يذكر جمال عبدالناصر قاتل سيد بكلمة واحدة.

عرفت شيخاً طيب القلب عابداً صادقاً يلقي بعض الكلمات ولا تخلو من عجائب، مرة أوصى الناس بتسبيح ٣٣ بعد الصلاة، وتحميد ٣٣ وتكبير ٣٣، ثم قال فهذه ٩٩ ريال، وأذن للعصر فقال: الصلاة خير من النوم ولما قام جهيمان بحادث الحرم قال: ليت جهيمان ترك الخروج على الدولة حتى تخرج الدولة عليه، ونحو ذلك من الحديث.

ووصيتي لمن ليس له فهم في مسألة أن يترك الحديث فيها.

وأعرف رجلاً عامياً في قرية مشغولاً بالأخبار وسماع إذاعة لندن ثم يقوم في المجالس بتحليل الأخبار فيأتي بعجائب فيقول مثلاً: يا ليتهم وافقوا أنور السادات على الصلح وليت القذافي يحتل إسرائيل، وأظن ما في العالم أقوى من جيشنا، وأخاف من اليمن يدخل على السعودية ولا تسمع إلا الضحك عليه والتعليق ولو ترك هذا كله وأكثر من ذكر الله لكان أنفع وأفيد لكن التوفيق للخير عطاء من الله.

تابعت أحد الكتاب مدة من الزمن فإذا كل كتاباته حول النيل من الدين وغمز المتدينين، مرة يتعرض للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويذكر أن هذا تطفل وتدخّل في خصوصيات الناس، ومرة يذكر أن الدعاة متسترون بالدين وأن لهم مقاصد أخرى ويهاجم الحجاب فطال عجبي ممن هذا صنيعه، ما سبب هذا العداء لدين الله فعلمت أن التوفيق من الله وحده.

دخلت على صاحب معرض سيارات في الرياض مشهور له ثلاثون سنة في بيع السيارات فقال متعجباً: لماذا ما يكون عندنا مصنع للسيارات وعندنا المال واليد العاملة والإمكانيات ولماذا نبقى على الاستيراد فقط؟

قلت: الاستيراد في كل شيء ليس في السيارات فحسب فمتى يكون عندنا اكتفاء وتصنيع واعتماد على النفس ونترك الدعاوى العريضة وقصائد المدح في سوق عكاظ والاستعراض بالتراث الشعبي البائد الذي ستره أحسن من إظهاره؟

فاصلة

الحمد لله الذي أنزل الحدود في القرآن، ولقد ذهبت في قضايا قتل في السعودية ووجدت بعض القتلة لو لم يكن هناك قصاص لعاثوا في الأرض فساداً ولو ألغيت الحدود كما يطالب مرضى القلوب لافترس الأقوياء الضعفاء، فكم رأيتُ من فاجر شرس يقسم لولا حكم الشرع لقتل فلاناً وفلاناً، فالإسلام هو الذي شرع حقوق الإنسان، أما الغرب فدوخونا بجمعيات الرأفة بالحيوان وقد قتلوا الإنسان في الشيشان وأفغانستان!!

فاصلة

وقع زواج كبير في الرياض لرجل أعمال مشهور فأسرف وأنفق المال جزافاً ودعا الناس من أنحاء المملكة وأحضر الشعراء واستأجر الفنادق وأرسل التذاكر، ثم الحصيلة أنه زوّج ابنه لفتاة كما يتزوج سائر الناس، لكن انظر إلى هذا وأمثاله في البذل في سبيل الله من بناء مسجد أو كفالة يتيم أو مساعدة فقير وإنما شح وتقتير ويا لسخافة من همه مراءاة الناس والبهرج الكاذب والمدح الزائن، والآن نسي الناس الزواج والحفل.

حدثني الدكتور عبدالله الجعيثين أن صديقاً له أصيب في حادث عطل عنده العمود الفقري فأصيب بالشلل ولزم منزله تسعة عشر عاماً فضجع على ظهره وملته زوجته وبقي معه ابنه ينام في الغرفة المجاورة ولا يستطيع أن يوقظه إذا أراد شيئاً وكوب الماء بجانبه لا يستطيع أن يرفعه إلى فمه ويقع الذباب على يمينه فلا يستطيع طرده -رحماك ربي- فهل فكر أحد في نعمة الله عليه وحمد ربه وأطاعه وحافظ على النعم بمزيد الشكر.

فاصلة

بعض الناس متفنن في الإرجاف ونشر الشائعات وأعرف رجلاً من الأصدقاء كلما جلست معه خوفنا بشيء سوف يحصل وعنده تحفظات وهواجس وأمور غيبيّة صعبة، المهم أنه لا بد أن يزعجك مرة أن الأسعار سوف ترتفع والبرد لهذه السنة

سوف يكون قارساً والأمطار قليلة ويخشى من حرب قادمة ثم بعد زمن يصبح كلامه هباءً منثوراً ثم يواصل الأراجيف والشائعات، وهذا رجل مريض نفسياً يجب الابتعاد عنه والدين يخبر وإن مع العسر يسرا والرسول ﷺ كان يعجبه الفأل.

فاصلة

كلما طالعت تلفازاً عربياً محلياً فإذا شغله الشاغل بالزعيم الأوحد ثناءً ومدحاً وتبجيلاً مع ذكر أخباره ودقائق تفصيل حياته، واختزلت حياة الأمة بأسرها في حياة رجل وقدس الأشخاص وصاروا أرباباً من دون الله، يا قوم لا تغلوا في دينكم، واقتصدوا من هذا المدح الزائف، يا كتّاب يا مذيعون، يا شعراء، يا ناس العظمة والكبرياء لله وحده كيف تغلو في رجل يدخل الخلاء وينام ويموت ثم ما هي الإنجازات والمعجزات الوهمية التي نسمعها والجهل منتشر والفقر فاش والمرض يفتك بالبشر، وإذا فتح طريق أسفلت طوله عشرة كم لقامت الاحتفالات وألقيت القصائد وصفق الجمهور وذبحت الجمال والخراف، مظاهر خادعة وزيف مكشوف، ولو صرفت هذه الأموال على الفقراء لحصل الأجر وسد الحاجة.

فاصلة

حضرت مجلساً فيه خليط من الناس وغالبهم يريد أحاديث دنيوية عامة فأردتُ أن أوجه المجلس إلى الدعوة وذكر الله فذكرتُ قصة عن عمر بن الخطاب، وفي أثناء القصة توقفت قليلاً فقاطعني أحدهم وسأل جاره عن أحوال شيخ قبيلة، كأنه يقول لي: كفى اسكت لو سمحت، فصمت متعجباً من عدم حبهم لما ينفعهم، ثم قضى المجلس كله في قيل وقال وكلام فارغ فأخذت أهرب من هذه المجالس، واعتذر عن الحضور، وهذه غالب المجالس أكل وشرب وكلام متهافت فارغ إن لم يكن فيه غيبة، ولكن سل الحضور: كم قرأ أحد منهم من القرآن؟ وهل طالع كتاباً نافعاً؟ وهل تصدق بصدقة؟ وهل نفع مسلماً؟ العمر يا إخوان يمضي ونحن واقفون.

فاصلة

ومن الدروشة لبس المزري من الثياب إذا تدين الإنسان فتراه يلبس المقطعات وثوبه إلى الركبتين فيصبح الثوب فنيلة علاقي والغترة مكوية من عيد الفطر الماضي

واللحية منتفشة شعثة غير ممتشطة ولا طيب ولا سواك!! لماذا يا إخوان هذه الدروشة، لماذا نزري بالإسلام حتى يظن من رآنا أن الإسلام أمرنا بهذا؟ لقد كان الرسول ﷺ طيباً نظيفاً زكي الرائحة يلازم السواك والغسل والمسك، وهذا قدوة الناس، فمن أين جئتمونا بهذا الزهد الأعرج والحالة المزرية ؟ وبعضهم تشم منه في الصلاة رائحة الثوم والبصل، وبعضهم لا يغتسل بالصابون والشامبو إلا نادراً وبعضهم لو غسل ثوبه لخرج الوسخ والدرن منه ما يصنع منه بلاطتين، فيا قوم دعونا من هذه الحماقات وجملوا الإسلام وعليكم بالترتيب والنظام والطيب والنظافة.

فاصلة

قام واعظ فذكر في نصف ساعة عشرة مواضيع من بر الوالدين وحسن الخُلق والصدقة وإكرام الجار إلى آخره، يقفز من موضع إلى آخر ثم يعود بلا تحضير ولا ترتيب للفكرة، فخرج السامع مبعثر الفكر مشتت الخاطر، يا وعَّاظ لا تطولوا على الناس وحضروا قبل الكلام والزموا موضوعاً واحداً واتركونا من افتعال البكاء والتلاحين بالقرآن في أثناء الموعظة ودعوا الحديث الموضوع والقصص المكذوبة حتى ينفع الله بكم، ما لكم يا وعّاظ زماننا تتصيدون الشهرة والظهور وجذب الناس إليكم، فتجد الواعظ عنده عشرة بشوت يخطب الجمعة ببشت أسود والعيد ببشت أحمر والزواج بأبيض والعزيمة بأصفر والسفر ببني والمهرجان بعودي وهكذا الله يعوضنا في الإخلاص ويرزقنا الصدق.

فاصلة

أعرف كاتباً سخر جهده ووقته في الغمز من قناة الإسلام تعريضاً وتلويحاً ونقداً وتشويهاً والعلماء عنده مدلسون والدعاة ملبسون والشباب إرهابيون ومناهج التعليم محرضة والخطباء أهل فتنة، يعني كل شيء له علاقة بالدين فهو باطل، قاتله الله مع العلم أنه نجعة مع الأمريكان والغرب فهو يثني عليهم ويدللهم ويشيد بأعمالهم ويتأدب مع أسياده ويتكلم بحفاوة وإعجاب، ﴿ **وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا**

إِنَّا مَعَكُمْ﴾ (البقرة: ١٤) عجباً لك تقف من دينك وأمتك هذا الموقف المزري المخجل الدنيء الخسيس بينما تدافع عن أعداء الإسلام وتحبهم وتتولاهم، إنها انتكاس الفطرة وخواء الضمير، ويا مقلب القلوب، ويا حسرتاه من الخذلان واتباع الشيطان، أين التشرف والفرح بالانتساب للإسلام؟

فاصلة

أعرف شاعراً شاب وما تاب من الغزل والسباب، ومدح القدود والخدود والأهداب، كل شعره في عيونها السود وقفتها ورمشة حاجبها وهو يشكو من سهام الحب وملاعق العشق وصحون الغرام وسكاكين الهجر أشغلنا بهذا الهلس الفاضي، الله يشغله، ودوخنا بقصائد طويلة عن تعلقه بالجمال وكيف تعرض لنظرة عشق فجأة وهو مار من عند الفوال بشارع منفوحة بجنب صيدلية العيدروس خلف فرن الفلاح وأمام بنشر التعاون وكاد يموت الله يأخذ روحه، ثم تشافى من مرضه لكن ما نسي حبيبه، ثم سافر إلى القاهرة فشاف في شارع فؤاد الغزلان ونظم قصيدة كلها آهات من الهوى والجوى والنوى، وراح إلى دمشق وفتن بدمشقية هيفاء صفراء عجفاء تمشي الهوينى وعليها جلباب أزرق هذا شاعر مهبول مريض شغلنا حسبنا الله.

فاصلة

رأيت في قناة فيلسوفاً مفكراً محنطاً شايباً وهو من المغرب ويقيم في فرنسا أصلع الرأس سقط حاجباه من الكبر كل حديثه عن سقراط وبقراط وبطليموس وجالينوس وأفلاطون وأرسطو، وهم لديهم مفاتيح المعرفة وهداة العالم وأبواب الفتح، وجاء يذكر آية فغلط ولحن وسعل وتنحنح ثم سكت ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر، فسبحان الهادي وحده، هذا العجوز المسن سخّر عمره كله في علم ظني وهمي بائد عن قوم محتارين شكواهم من القلق والحيرة والاضطراب، ليفهمنا أنهم عباقرة ومبدعون، الآن يا أعمى القلب يا خاوي الضمير جاءتنا شريعة ربانية عالمية فيها هدى ونور وشفاء لما في الصدور وأنت تبغي تشغلنا بهذا الكلام الفاضي

السخيف والتوهمات والترهات عن الآيات البينات انتبه يا غبي، استفق يا مخذول، اصحَ يا غافل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (يونس: ٥٧).

فاصلة

رأيت بعض الأطباء مهر في الوعظ والدعوة وعلى شكري له لكن أخشى أن يقصر في عمله ويقصر في الوعظ لعدم إلمامه بغير تخصصه ورأيت بعض المؤرخين يكتب في الفقه والحديث والأصل احترام التخصص؛ لأن الذي يتكلم في غير فنه يأتي بالعجائب ولا بأس بالمشاركة في أكثر من علم وفن بالحد الأدنى لكن لا يترك الإنسان تخصصه ويقفز لعلم آخر أو حرفة أخرى ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ (البقرة: ٦٠) والثوب لا يعرض على النجار والباب لا يصلح عند الخياط، ولكن بعض الناس رفض إلا أن يخبرنا على أن نصدق أنه شاعر وهو لا يقيم بيتًا وبعضهم خطيب بالغصب شاء من شاء وأبى من أبى وهو إذا تكلم أصابتك من كلامه حمّى، وغالب الناس مغرور بنفسه معجب بصوته هائم بشخصيته والعقلاء وحدهم يعرفون أنفسهم ويعترفون بأخطائهم.

فاصلة

نهينا عن التكلّف يا إخوان، بالله بسِّطوا الأمور يسِّروا على الناس في كلامكم وتصرفاتكم لماذا إذا أراد بعض الناس أن يتكلم تشدَّق وتقعَّر وأغرب في الكلام فيصبح ثقيلاً مملولاً فعليكم يا ناس بالبساطة حتى في اللباس والطعام والكلام، أريحوا نفوسكم من التشدد ولا تعذبوا الناس بالمشقة وثقالة الدم، من خطب منكم فليوجز ومن تكلم فليختصر ولا تتعبوا أنفسكم ولا تتعبوا الناس، وكم أعجبني الشيخ ابن باز بيسره وبساطته؛ فكان يكلم العامة بكلام عامي سهل ولا يحبِّر ولا يزوق الكلام بل يلقيه على سجيته فيجعل الله له نفعاً وقبولاً وأثراً وكذلك الشيخ الطنطاوي يتحدث ببساطة على سجيته فيسبي القلوب، ورأيت طلاب علم إذا أرادوا التحدث زوّقوا كلامهم وفخموا العبارات وتكلموا للعامة باللغة العربية الفصيحة فصاروا ثقلاء ونفر الناس منهم.

فاصلة

وجدت طلاباً ما ثبتوا على قسم يدخلون قسم الشريعة عاماً ثم قسم الاقتصاد عامين ثم قسم الطب وهكذا فلا ترك الدراسة وتوظف ولا واصل دراسته وتخرج بل هو مشتت العزمات مبدد الطاقة كما ذكر علماء الهند أن الحمار مات بين التبن والماء؛ لأنه يمشي إلى الماء فتذكر أنه جائع فيذهب إلى التبن فإذا قرب منه تذكر أنه عطشان فيهرول إلى الماء وهكذا، حتى مات بينهما، يا إخواني ادرسوا الموقف وصمموا وتوكلوا على الله فالعمر قصير والتذبذب بلوى وصرف السنوات في التنقل بين الأقسام فوضى، واعلم أن من ثبت نبت ومن فتح له في شيء فليلزمه والرجاء عدم إهدار الطاقات في الجري وراء الوهم، النجاح ثبات وصبر والفشل تضجر وقلق والسلحفاة سبقت الذئب؛ لأنه شغل بصيد في طريقه.

فاصلة

من نصدق؟ إذا وقعت بالأمة مصيبة أحالت طائفة السبب على الطائفة الأخرى، فالعامة يتهمون الحكام بالظلم والاستبداد والحكام يرون أن العامة أهل فتن ومشاغبات، والعلماء يشكون من جهل الناس وسوء أدبهم، والفقراء يتهمون التجار بالجشع والبخل، وكل فريق ناقم على الآخر، والصحيح أننا كلنا صنعنا المشكلة ونتشارك جميعاً فيما حل بنا، وإنما صلح وضع الخلافة الراشدة؛ لأن الخلفاء عدول صالحون والعلماء بررة أخيار والقضاة أتقياء والأغنياء متقون والعامة سامعون مطيعون، ثم اختلف الحال عندما وقع الحيف من المسؤول والتقصير من العالم وعدم النزاهة من بعض القضاة وسوء أدب العامة، فصار جسم الأمة مريضاً، فيا إخوان كل واحد يصلح سيارته ويكنس أمام بيته ولو نظف كلٌّ شارعه لنظفت كل الشوارع.

فاصلة

رأيت أناساً من كبار السن من العامة أشغلوا أنفسهم بتوافه الأمور من حفر آبار لا تخرج ماء وهم في سن الثمانين ومن بناء جدران في أرض ميتة ومن جلوس طويل مع أحاديث فارغة وأسمار تافهة فسألت الله السلامة، قرب الأجل، انصرم

العمر، ثم ما هو المردود من هذه الأفعال فلو ذهب أحدهم لأخذ عُمرة في البيت العتيق، أو صلى ركعتين وجلس يقرأ في المصحف كل حرف بعشر حسنات، أو سبح الله وذكره، أما هذا الإجهاد وضياع الوقت فأمر مؤسف وبعضهم في الثمانين ويلعب بلوت حتى الفجر ولا ذكر ولا تهجد ولا تلاوة، مثل هذا في هذا السن يكون لديه كفن معلق فوق رأسه ينظر فيه صباح مساء:

دنت الخيام وقد دنا الركب ... والنائمون مع الصبا هبوا

فاصلة

قرأت كتاب: (كيف تمسك بزمام القوة) لروبرت قرين فوجدته يعلم الخبث والمكر والخديعة والغدر، فقلت لو كان عنوانه: (كيف تكون خبيثاً) لكان أليق به، ما هي الحاجة لنعلم الجيل اللف والدوران والكذب والزور وقد أتتنا شريعة ربانية تعلم الصدق والطهر والعفاف فكيف نعلم الناس الختل والخيانة، عيب يا ناس، لا يجوز هذا العمل، حتى إن صاحب هذا الكتاب يوصيك أن تلفت الانتباه إلى شخصك ولو بفضيحة أعاذنا الله من ذلك، ويرى أن عليك أن تظهر غير ما تبطن لتنقض على فريستك إلى غير ذلك من الأساليب الذميمة الملتوية، فيا إخوان: الصدق الصدق ومراقبة الله وحده، ثم ما هي الدنيا حتى يحرص عليها ويتكالب عليها هذا التكالب؟ عمر قصير فتعلموا العلم النافع ودعونا من كتب الغدر والخيانة.

فاصلة

نعقد مجالس طويلة عريضة تحت لافتات العلم الإسلامي، ومصلحة الدعوة، وما يهم الأمة، وتدارس الأوضاع، واكتشاف أدواء الأمة وغير ذلك من العناوين البراقة الخادعة ثم لا نتيجة ولا ثمرة إلا تناول الكبسة بلحم خروف أو عصيد أو هريس مع مرطبات ومشروبات وحلويات وسمرات، فعلينا بالجد وعدم الذهاب وراء الأسماء والعناوين الخادعة فقد يجتمع اثنان على عمل نافع مفيد وقد يجتمع مائة رجل على كلام فارغ، تعبنا يا إخوة من ضياع الزمان وخديعة الناس بهذه الاجتماعات السخيفة، وخير للإنسان أن يبقى في بيته بلا اجتماع وقد حفظ وقته وأطاع ربه ونفع نفسه.

فاصلة

بعض الناس عنده أرشيف لقصاصات الأوراق، وملف لنتف الأخبار ودولاب لمنشورات العجائب، ومحفظة لصور الذكريات، وحقيبة لرسائل الأصدقاء، وهذا إشغال للنفس وإجهاد للذهن ثم ما هي الفائدة، كلام في كلام وخرافة وأوهام، ما ثمرة هذه التفاهات وما مردودها؟ وتحفظوا يا إخوان من العلائق والعوائق وعليكم بالحقائق والرقائق، ما فائدة أن تجمع الآثار في غرفة والتحف في غرفة والصور في غرفة ثم تشغل نفسك بالترتيب لها، حدثوا أن عالماً جمع كتباً كثيرة وملأ حجرات بيته ثم اشتغل بها ترتيباً ونسخاً وتنظيفاً حتى أشغلته عن قراءتها والاستفادة منها وتعليم الناس أو التنفل والتزود للآخرة.

وذهب رجل للحج فعرضت له حية في الطريق فقتلها ثم أخذ يبحث عن الحيات ويقتلها حتى حج الناس وفاته الحج.

الاستبداد بالرأي

بلينا بإعجابنا برأي شيخ القبيلة وحده المتكلم الرشيد السديد وهو على صح دائماً والقبيلة بأسرها على خطأ إذا خالفته، ومدير المدرسة ملهم عبقري ومن خالفه من الأساتذة فقد باء بالخسران، والمفتي ينبغي أن يؤخذ كلامه وحده دون غيره حتى في فروع المسائل وإن خالف الدليل، والصحيح أن الرأي يؤخذ ويرد والناس لهم اجتهادات ووجهات نظر تسمع وتناقش والمعصوم محمد ﷺ وحده، وعلينا أن لا نحصر الحق والصواب فينا فحسب بل نتهم آراءنا ونستفيد من غيرنا وقد ذم الله فرعون؛ لأنه قال: ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (غافر: ٢٩).

فاصلة

حضرت مأدبة طويلة عريضة فيها من كل ما لذ وطاب من ذبائح الجمال والبقر والغنم والدجاج والطيور والأسماك والحلو والحامض والحار والبارد وكل مشروب ومطعوم ثم ما أكل الناس إلا أقل من العشر ورمي الباقي في الحاويات

والنفايات وطرحوه في سيارات البلديات بلا خوف من الله، ثم خرجت وإذا ثكنة عمال هنود وباكستان لا يجد أحدهم إلا رغيف الخبز اليابس ولم يظفروا من هذه الوليمة الضخمة ولا بقطعة لحم، فهناك بذخ وإسراف وهنا جوع وفقر، أين نصوص الأخوة الإنسانية؟ أين التكافل الاجتماعي؟ ثم إلى متى هذا الجهل في صرف المال حتى تحوّل النعمة إلى النقمة؟ ينبغي الأخذ على يد السفيه المسرف في صرف المال في وجوه العبث، الإسراف في الوضوء حرام فكيف بالإسراف في المال؟

فاصلة

جمعنا مجلس في مكة عند أحد أعيانها وفي المجلس طالب علم كنت أتحاشى الجلوس بجانبه؛ لأنه كثير الردود على الجميع والانتقاد للكل يكتب الرسائل ويسجل الأشرطة يرد بها على طلبة العلم والدعاة ويتشفى بزلاتهم ويجمع أغلاطهم، فجاء وجلس بجانبي بجفاء وخاطبني بغلظة وقال: لماذا ما تتراجع عن أخطائك العلمية علناً؟ وعلمتُ أنني مهما أعطيته من جواب فلن يقتنع لأنه صنفني وانتهى وأغلق على هذا التصنيف، ثم ضيّع المفتاح فطلبت منه أن يتركني وشأني فأبى وألح علي فقمت من مكاني وذهبت، فإذا كان هذا أسلوبنا في الدعوة مع الدعاة فكيف ندعو غير المسلمين إلى الإسلام؟ إذا كانت هذه حالتنا فنحن بأمس الحاجة لمن يدعونا قبل أن ندعو الآخرين، واقعنا مؤسف.

فاصلة

أفلحنا في مجالات لا ثمرة كبرى من ورائها كمجال كرة القدم بهذا الزخم والاهتمام والحضور والمبالغة مع العلم أن الولايات المتحدة الأمريكية فريق لعبها لا يساوي في القوة فريق الكاميرون وهو البلد الضعيف الأفريقي ولا فريق الأرجنتين الدولة الغائبة في المسرح الدولي وإنما اهتمت أمريكا بالصناعة والإنتاج والإبداع.

واهتممنا بالفنون الشعبية من رقصات ولعب وموال وغير ذلك مع العلم أنها تنهب الوقت وتذهب المال في غير طائل فأين المصانع والمعامل؟

واهتممنا بالتراث القديم وهي قطع خزف وقدور فخار مهترئ، وجفان وصحاف مكسرة وتراثنا رسالة ربانية عالمية بدأت باقرأ في غار حراء فصارت آية للسائلين.

فاصلة

تعجبت من أناس ما كلفهم أحد بالفتيا وهم يورطون أنفسهم فيها مع وجود المفتين، فشاب صغير يطلب العلم وتراه يفتي في الطلاق ويدخل نفسه في كبار المسائل بلا ورع، ومثله من بدأ يؤلف وليس أهلاً للتأليف، حتى لقد عرض عليّ بعض طلاب العلم كتباً جمعوها ثم عرضوها بأسلوب ركيك هش وكتبوا على الغلاف تأليف فلان ويريدون مقدمة لما كتبوا فاعتذرت عن التقديم، التأليف مرحلة متأخرة لا ينبغي الاستعجال فيها، الرجاء الانتظار وطلب العلم والتمحيص والتدقيق، المكتبة الإسلامية مليئة بالكتب ونحتاج إلى قراءة وفهم الموجود قبل التفكير في الزيادة، أرجو أن نتدبر ما كتبنا وأن نحسن معرفة ما هو موجود لدينا وأن لا يكون همنا التأليف والتصنيف أقول هذا وأنا مكثر من ذلك ولكن على مذهب ابن الجوزي والسيوطي.

فاصلة

جلست مع أذكياء إلى درجة العبقرية ولكن ذكاءهم كله في الدنيا وكيف يصطادونها وما هي السبل في الحصول على المنصب والمال والشهرة والجاه ولو صرف هذا الجهد فيما هو أنفع لكان أحسن، أين العلم النافع والعمل الصالح؟ أين تزكية النفوس؟ أين تطهير الضمائر؟ أين الاستعداد للآخرة؟ حتى إنني سافرت مع بعضهم فكان يؤخر الصلاة ثم يقوم فينقرها مستعجلاً وكان قليل الذكر لله ولم أشاهده يقرأُ القرآن، بينما إذا حصل وقت الكلام فخذ كلاماً ومزحاً وضياعاً للوقت وتجده مهتماً بملابسه وهندامه وشكله وقد أهمل روحه، والواجب أن نفيق من غفلة الانسياق وراء الملذات الزائلة كأننا أطفال ونفكر بجدية لماذا خلقنا وماذا يجب علينا وهل أرضينا ربنا الذي بيده النفع والضر والحياة والموت؟ فعامله وحده يكفِك غيره.

فاصلة

غالب الناس إذا دخلوا المساجد صار الواحد منهم كالبلبل في القفص ينتظر متى يسلم الإمام ليخرج من بيت الله، ولكن انظر إليهم إذا خرجوا من المسجد تراهم وقوفاً يتحدثون في كل ما هب ودب والسبب أن النفوس فارغة من التلذذ بالعبادة، فهي ترى أن انتظار الصلاة كالحبس نهى عن مراداتها من التفكه بالكلام الفارغ من الفائدة، فصارت تهرب من مجالس الذكر والعلم، وقد جربت كثيراً من الناس إذا جئنا نقرأُ في كتاب أو نتذاكر مسألة تضجر وصاح: يكفي يكفي، بينما تجده يتلذذ عن ذكر أسعار البطاطا والفول والسكر وأخبار الصيد والرياضة وأسعار الأسهم، كيف يخرج منا علماء وحكماء وعباد ونحن لا نحب العلم والكتب والذكر والمساجد؟ كيف نربي مجتمعاً مثالياً وقد هجرنا القراءة والتثقيف؟! اصحوا يا ناس، لماذا ما تغارون من الغرب وهم يقرؤون ويبدعون ونحن نرقص ونلعب!!

فاصلة

النفوس في الغالب تنهار عند المال وتستسلم للدرهم والدينار، وقد جربت ذلك، فتجد بعض الناس يقترض منك ويحلف لك على السداد بل يكتب لك وثيقة ثم يتركك تشرب حبر هذه الوثيقة، وبعضهم يشهد زوراً لمبلغ مالي وآخرون يتناولون الرشوة ولا يخافون العار ولا العذاب، حتى إن بعض الناس يسعى في الإضرار بالآخرين لكسب المال، ولهذا يسمى عاشق المال، فهو عبد الدرهم وعبد الدينار وعبد الدولار، فلا تصغِ لأحد يذم المال لأنه أحد رجلين: رجل قد أحرز المال وخزنه وكدسه فهو مطمئن على امتلاكه له فلا يضر أن يسبه، ورجل حاول وحاول أن يكسب المال فما حصل له فأصبح يسبه على حد قول الثعلب: حامض يا عنب، ليتنا نكون صرحاء مع أنفسنا والآخرين وندع الضحك على الذقون بأقوال تكذبها الأفعال .

فاصلة

زرت مدينة (خليجية) فوجدت الدنيا بضجّها وضجيجها فهناك قصور شاهقة وأبراج عالية وفنادق فارهة وشواطئ ساحرة، ولكن غاب عني مشهدان: مشهد العلم

والثقافة، ومشهد الدعوة والعبادة وإنما رأيت الدنيا في كامل زينتها وزخرفها وفتونها، دنيا البهرج والخداع والمظاهر، دنيا التكالب على الحطام والشهرة والنجومية، فن وطرب وأسواق وأسهم وقنوات ولهو ولعب ولغو فأين مجالس العلم والحكمة والحوار والمعرفة والتأمل؟ نريد مع البناء الشامخ أفكارًا شامخة ومع الجسور همماً عالية ومع الحدائق الغناء حدائق المعرفة في العقول، لا ينفع القتيل كَفَنٌ جميل، ولا يشفي المريض سريرٌ فارهٌ، نريد بناء العقول والأرواح.

فاصلة

فتنة التلفاز فتنة عظيمة في ضياع الوقت وإضعاف التركيز فالكثير من الناس اليوم متصلبون أمام التلفاز وهو يعرض عليهم صور الحروب والمآسي والمصائب ومشاهد من الفن والهيام وعجائب وغرائب وهذه تهز النفس وتجعل الإنسان في حالة قلق وفي كتاب (مائة قاعدة بسيطة للسعادة) يرى المؤلف أن إدمان النظر إلى التلفاز يورث الكدر والهم ويشتت الذهن، أكثر الناس يجلس ثماني ساعات أمام التلفاز يقوم بعدها شارد الذهن كاسف البال، اجعل للتلفاز وقتاً تشاهد فيه النافع المفيد، ولا تضيع وقتك في متابعة كل ما يعرض، وأنقذ عمرك من الضياع، سعادتك أمانة عندك فلا تخن الأمانة بترك رعايتها.

فاصلة

غالب الناس يسهل عليه الكلام في الفضائل والأخلاق ولكنه عند العمل والتطبيق صفر، فالعمل أصعب من الكلام، لأن الكلام في المثل العليا سهل باللسان لأنه لا يكلف الإنسان إلا حركة الشفتين بينما التطبيق مرهق أو مكلف، بإمكانك أن تلقي مائة محاضرة عن الكرم، ولكنه يصعب عليك بذل ألف ريال للفقير، من السهولة أن تخطب عشر خطب عن الحلم، ولكن لو دهس رجلك أحد في الزحام لصرخت في وجهه، أنت قادر على أن تحدث الناس عن قيام الليل ولكن جرب نفسك هل تستطيع المداومة عليه، إذن فلا يغرك كلام الناس في المجالس عن الفضائل لكن انظر إلى عملهم بهذه الفضائل لقد رأينا الأحمق يتكلم عن فضل

العقل، ووجدنا البخيل يمدح الكرم، وأبصرنا الجبان يتغنى بالشجاعة، وسمعت رئيساً في دولة يتحدث عن حقوق الإنسان وفي سجونه أكثر من عشرة آلاف من سجناء الرأي وقد عذب شعبه وأذاقهم الويلات!!

فاصلة

بعض الناس مهموم ومشغول بهندامه وظاهره على حساب عقله وروحه، فتجده منهمكاً في كي ملابسه وتسوية هندامه وتسريح شعره وتلميع حذائه وزبرقة نظاراته ولكنه لا يتعلم ولا يقرأ ولا يتزوّد لآخرته، نحن مع النظافة والنظام والترتيب والله جميل يحب الجمال، لكن الإسراف في الهندام وكثرة الاعتناء بالظاهر على حساب الباطن إهدار للوقت والجهد، الإنسان بروحه وبعلمه وبإنتاجه وإبداعه كما قال علي: قيمة كل امرئ ما يحسن، وقد شغلتنا المظاهر عن الحقائق والأشكال والصور على المعاني والمقاصد، وفي الحديث: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"، إن البيت الخراب لا ينفعه طلاء جدرانه، وإن الميت لا يرده حياً جمال كفنه، نريد همماً نريد نفوساً مؤمنة وضمائر حية، وأفكاراً نيِّرة وجهوداً مثمرة ودعونا من الشكل والبريق الخادع.

فاصلة

ينبغي أن توجه فكرك توجيهاً صحيحاً قيماً، فتفكر في آيات الله وبديع صنعه، وما ينفعك في الدار الآخرة، وتفكر فيما يصلح عملك ويزكي أخلاقك، لا تجعل فكرك صندوق نفايات تدخل فيه هواجس الشيطان وبذور السوء والجريمة، طهِّر ذاكرتك من الانحراف والأفكار الخبيثة، إن الفكر الخبيث كالورم الخبيث في الجسم الذي يجب بتره، بعض الناس تفكيره في الكفر والذنب والحيرة والشك والإضرار بالناس، وبعضهم تفكيره طاهر يفكر في الإيمان والخير والفضيلة والإصلاح، الفكرة بذرة تسقى بالإيمان فتؤتي أكلها بالأعمال الصالحة، والفكرة الخاطئة كبذرة الحنظل خبيثة المنبت والطعم لا نفع فيها، فاحذر أن تدخل في ذهنك فكرة سيئة بل أوصد الباب عند أول خاطر واستعذ بالله من الشيطان الرجيم، أذهان الطهر نيرة فواحة بطيب الحق، وأذهان الخبيث منتنة برائحة السوء.

فاصلة

ما زلت متعجباً حائراً من أناس ولدوا في بلاد الإسلام وآباؤهم مسلمون ثم انقلبوا، فمنهم من فاح منه رائحة الإلحاد، ومنهم من شكك ومنهم من بدأ يغمز في قناة الدين، وعجبي أنهم لم يقنعوا بالبراهين التي أمامهم والأدلة الواضحة الساطعة، وأقواها هذا القرآن المعجز المفحم، بالله هل هناك من عنده ذرة عقل ويقرأ القرآن وينظر هذا البيان والإعجاز ثم لا يصدق أن الله قاله وأنزله على رسوله ﷺ، أجل هل يستطيع محمد ﷺ أن يقول هذا الكلام المعجز المفحم الذي بهر الناس وأدهش العلماء وحيّر الأدباء والرسول ﷺ أمي لم يقرأ ولم يكتب في أمة أميّة جاهلية؟ ألا يستحيي من هذا كلامه، ألا يخجل من يشكك في صدق هذا الكتاب العظيم؟ قاتل الله الكذب، لعن الله الإلحاد وأهله.

فاصلة

أشغلنا أنفسنا والناس بإبعادهم عن الوحي كتاباً وسنة بكثرة الشروح والمتون والحواشي، فضاع النص بين ركام هائل من كلام الناس، وإنما كان ميزة الصحابة تعلقهم بنصوص الوحي وفهمهم للنص مباشرة ثم تعاقبت القرون وزاد الناس كتباً وشرحوا وبسطوا الكلام واشتغل الناس بمتون الناس عن كلام رب الناس وعن كلام رسول الناس ﷺ، عودوا بنا يا قوم إلى القرآن والسنة حتى نروي قلوبنا من هذا النهر العذب الزلال، وقد سمعت بعض الفقهاء يفتي الناس فما أتى بآية ولا حديث إنما قال فلان وفلان ثم يورد قاعدة أصولية ثم يشرحها فعجبت له كيف ترك بركة الوحي، وذهب إلى كلام الناس وما علم المسكين أنه بهذا العمل قد أبعد الأمة عن النور وصدها عن بركة الدليل وسماع النص مباشرة فلنعد لنصوص الوحي كتاباً وسنة.

فاصلة

لا راحة إلا لشخصين: عالم نفعه علمه وعابد مع كتاب الله وذكره، وبقية الناس بين هم وقلق، فصاحب السياسة كل يوم في طارئ وحادث، والغني مهموم بثروته والفقير يكدح من أجل لقمة العيش، وتجد الشاب أمامه أهوال الحياة من دراسة وعمل وجمع

مال وزواج وهموم آسرة، وتجد الشيخ الكبير كل يوم يهبط درجة من آلام الشيخوخة مع وحدة قاتلة لا أنيس فيها ولا جليس، فكلٌ مشغول عنه، وقس على هذا سائر الناس، أما العالم العامل بعلمه فله الثناء الحسن والأجر العظيم لما كسبه من علم وفعل من عمل صالح ويعد العابد الصادق في جنة مع كتاب الله وذكره.

ولا تصدق من يتشدق بلفظ السعادة وهو ما عاشها فإن هذا منه وهم ومخادعة للنفس، السعادة رضىً ويقين وأمن وليست لعب أطفال بسيارة وڤيلا وراتب.

فاصلة

إذا شاهدت بعض المسلمين تظن أنه آيس من الآخرة لسوء عمله، ولقد عرفت رجلاً قد جاوز السبعين صاحب خصومات ومشاكل، يقترض ولا يهتم بالسداد وله مشاجرات ومنازعات مع جيرانه في مزارع وأراضٍ وإذا لقيته شكا لك ظلم الناس وعدم خوفهم من الله وقد نسي نفسه، يريد أن يفهمنا حضرته أن الناس كلهم ظلمة إلا هو، ثم لماذا كل يوم وهو في المحكمة يدِّعي ويطالب ويخاصم؟ أين الاستعداد للمعاد؟ الواجب على من هذا سنه أن يذرف الدمع الساخن ندماً على تفريطه ثم يعكف على ذكر مولاه ومراجعة نفسه وطلب السماح من الناس والتحلل من المظالم، ثم علامَ هذا التكالب والحرص على ثمن بخس ودنياً حقيرة كالجيفة بين الكلاب.

فاصلة

استمعت إلى كاتب من بلادنا يكتب في الصحف وأراد أن يخبرنا بأنه متقدم ومتطور ومثقف وعصري فأخذ يهمز ويغمز في علماء الدين ويذكر التقاليد القديمة والأفكار الموروثة التي عفا عليها الزمن -قصده قاتله الله الإسلام- بلا شك ولا ريب فعجبت من هذا المخذول يمجد أفكار البشر الحمقى الأغبياء ويهون من شريعة رب البشر الواحد القهار، وكأنه لا بد لك حتى تثبت أنك متحضر مثقف من أن ترمي كلمتين على الدين وتهز قناعتهم بعقيدتهم الصحيحة الثابتة، فقلت في نفسي لهذا المعتوه الغبي: يا حليلك سبقك آلاف من عتاة الملحدين حاولوا النيل من الدين فصاروا ضحكة للعالمين وفضيحة للناس أجمعين، هل تستطيع بفمك أن تطفئ الشمس؟!

فاصلة

جلست مع مسؤول كبير من صناع القرار في بلادنا فذكر كاتباً معروفاً مشهوراً بالنيل من الإسلام والخروج على الدين فقال هذا المسؤول عن ذاك الكاتب: والله العظيم لقد أصبح عندي أحقر من الكلب كيف ينال الإسلام؟ فوالله بعد هذا الكلام من المسؤول لقد زاد احترامي له وتقديري لشخصه على غيرته، وسمعت أنه حجب هذا الكاتب من زيارته، وهذا الكاتب المعروف متصالح مع كل أحد إلا مع الله جل جلاله، فهو يطالب بالحوار واللين والحكمة والتعقل وعدم الرفض والإقصاء ولكنه أقصى - المخذول - أعظم قضية مع الكون وهي لا إله إلا الله، وهذا الكاتب لم يعجبه الإسلام وما أدري ماذا سوف يعجبه؟ الإسلام دين الله في الأرض دين الحكمة والرحمة والعدل والسلام والمحبة.

فاصلة

مر بي يوم في الرياض أصابني ألم في ركبتي مع زكام حاد مع دوخة شديدة في رأسي فأردت السجود في الصلاة فدار رأسي وكدت أسقط وكنت أسجد على أطراف جسمي من ألم ركبتي فتعجبت من ضعف الإنسان وتفاهة الحياة وتكدّر العيش وتفكرت في جهلنا كيف نفرح فرح الأطفال بالدنيا وهي هموم وغموم، فرجائي عدم التعلق بها فليست بدار قرار، فقد رأيت أصحاباً منهم الشاب قوي البدن تام الجمال ثم مات فجأة بحادث مروري، وكان لي صديق طالب علم يحضر الدكتوراه ثم ظهر فيه السرطان فجأة فذاب جسمه وذهب إلى ربه، وعرفت شباباً مرقدين على الأسرة كُسر عندهم العمود الفقري، ورأيت شباباً أقوياء بترت أقدامهم، وعجبي ممن يرى هذه المشاهد ثم يطمئن إلى الدنيا ويسكن إليها وقد قرأت التاريخ فرأيت عجائب ونوائب ومصائب ولكن أهل الدنيا وعشاقها في سكار والسكران مذهب العقل.

فاصلة

رأيت أستاذاً دكتوراً في الجامعة شاب رأسه وشنباه وتعقد وجهه وهو يلوك عبارات التحرر والخروج على القديم ونحو ذلك، ورأيته في مقابلة تلفزيونية

ممسوخاً يجاهر بالنيل من الثواب وكل عدوه هو الإسلام فحسب، ليس له خصوم مع أحد إلا مع الإسلام!! فقلت في نفسي: تبّت يدك تتصالح مع الشيطان وتحارب الرحمن، ثم ما هو البديل عندك إذا لم ترض بالإسلام هل تحبذ حثالات الأفكار ونفايات العقول المريضة على الوحي المعصوم المنزل من رب العالمين، وأنا أعلم أن مثله ذكي ولكن الله طمس على بصيرته وأعمى قلبه ومن خذله الله فلا تطمع بهدايته، حتى إنه لا يؤثر فيه النصح ولا الوعظ ولا البرهان وحدثني أحد الأصدقاء أنه رافق أحد هؤلاء المردة ليجذبه للحق قال: فوالله ما زاد إلا انحرافاً.

فاصلة

زرت شيخاً كبيراً قارب المائة في القويعية فوجدته في الضحى وهو في المسجد قد نشر المصحف وهو يتلو وحده، قلت في نفسي: عرفت فالزم، ثم خرجت من المسجد فإذا صخب الحياة وضجتها ومشاكلها وخداعها فكأني خرجت من الجنة إلى النار، وأنا أعجب فقط ممن يعجبه هذا الصخب فتراه بإعجاب وحب يحدثك عن أسواقه وبقالاته ومزارعه وكأنه سوف يعيش ألف سنة، لكن القليل من يحدث عن جمال صلاة الفجر، وحسن التلاوة، وروعة الذكر، حتى إن بعض القبائل إذا حصلت عندهم مناسبات صلوا في مكان الحفل والمسجد منهم قريب وطلبوا من الإمام التخفيف لأن حفل العرضة والرقص سوف يبدأ قريباً فيصلون والسيوف بجانبهم وهم يلبسون الخناجر في زهو، فقلت في نفسي: يا فَرَاش سبقت في التاريخ أمم علت ثم هوت ودول سادت ثم بادت فما هذا الاغترار يا فراش.

فاصلة

جمعتنا مناسبة في الرياض فوجدت شاعراً جلس بجانبي ولم أكتشف شخصيته إلا تلك الليلة فإذا هو يحمل روح النمرود من إعجاب وغرور وأنانية ونرجسية وحديثه كله عن نفسه سرتُ، وقلت، ولقيت وقابلت، ولكمني، وقال لي، وكتب عني، فقلت في نفسي: على ماذا هذا الإعجاب إن كان على الشعر فشعره ليس بالفائق وقد سبقه آلاف الشعراء الذين ملؤوا الدنيا، وإن كان على الشهرة

فأكثر الناس في المملكة لا يعرفونه فضلاً عن العالم، ثم ليقارن نفسه بامرئ القيس أو بالمتنبي أو شكسبير فسوف يظهر صفراً، يا ناس تواضعوا ولا تعجبوا بنفوسكم أو علمكم أو شعركم أو مالكم، نحن يا ناس في حلم اسمه الدنيا وفي مسرحية تافهة اسمها الحياة.

فاصلة

جلست مع طائفة من الشباب الأصحاء الأغنياء فأخذت أحدثهم عن القراءة والكتاب والعلم والمعرفة وأدعوهم إلى حفظ الوقت في المطالعة، فرأيتهم يلتفت بعضهم إلى بعض كالمتعجبين غير مبالين، طبعاً وسوف لا ينفذون كلامي؛ لأنهم ربوا على الرفاهية واللهو وحب المال والجاه، فعندهم ثقافة أجسام لا ثقافة عقول، والواجب أن يبكوا على موت الهمة وأن يترحموا على العلم ويتأسفوا على حياة الروح، متى يصلح وضعنا وشبابنا لا يحبون القراءة ولا يعشقون الكتاب ولا يهيمون بالعلم هياماً؟ هم الشباب فقط الجنز والبنز والرز فأين العلم والحلم والفهم، يا أصحاب القروش والكروش، يا عبدة الدنيا والدولار، أين الهمم؟ أين القلم؟ أين الشمم أين رواد القمم؟

فاصلة

أطالع الصحف والمجلات والقنوات فإذا الكل يلمع نفسه، ولسان حاله يقول: إليّ أيها الناس، هلموا يرحمكم الله إليَّ أقبلوا إليّ فأنا الفارس الماهر، والمثالي الباهر، كل واحد يعلن الأفضلية على الآخرين، والكل يشارك في هذه المهزلة الدعاة والساسة والرياضيون والتجار والفنانون والشعراء ورجال الإعلام، فمن نصدق؟ الكل في تنافس محموم ينادي الواحد على الآخر: أنا خير منه، يا إخوة التنافس الشريف في ميادين العلم والمعرفة والعبادة والإبداع والخلق الراقي، ﴿**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ (المطففين: ٢٦) أما تنافسكم هذا فخسّة وحقارة وكذب وبهتان، سوف يكشف القناع، ويسقط البريق وتظهر المسألة أنها مهزلة.

فاصلة

لا تغتر بمجاملات الناس ومدحهم كقولهم لك: نفديك بالروح والدم، والله لو سجنت ما سجن معك أحد ولا بقولهم: نموت في حبك فالغالب أنها لمصلحة، المهم توجّه فوراً بقلبك إلى مقلب القلوب والأبصار جل في علاه، فهو النافع الضار، ودعنا من هذا الكلام الفاضي الذي يقوله الناس،؛ فقد رأينا من مدحنا إلى النجوم ثم طلب منا قرضاً فلم نحقق له ما أراد فسبّنا وأعرض عنا، ومنهم من رأيته يمدح شخصاً في وجهه فلما ذهب سلقه سلق البيض، مساكين الناس، كالذباب تماماً، لا نفع ولا ضر أهل عواطف وأهواء يميل مرة إلى يمين ومرة إلى شمال، الكلمة ترضي أحدهم، والكلمة تغضبه، وبعضهم يرضى عنك بمائة ريال فقط فلا تشغل نفسك به واشتغل بمن يملك حياتك وبيده نفعك وضرك وهو الذي يرزقك ويغفر ذنبك ويفرج كربك فأكثر ذكره وأطع أمره ولا تشتغل بالمساكين الفقراء وهم الناس.

فاصلة

كان لي صديق يقسم بالله العظيم إن روحه فدىً لروحي ودمه دون دمي وإني أغلى من عينيه فلما مسّنا الضر فرّ وما قرّ، وهرب وما استقر، وما علمت له بخبر إلا بعد سنوات وإذا به فتح محلاً تجارياً وصار منهمكاً في الدرهم والدينار ونسي شخصاً نكرة اسمه "عائض" فعجبت كل العجب من إيمانه وقت الرخاء وفراره وقت الشدة، وتيقنت أنه ليس معي إلا الله وحده وقد رأيت الشعراء يشكون من المجاملات الكاذبة التي فضحتها التجارب، فيا مسلم جود الحبال مع الواحد الأحد، وما عليك من زيد ولا عبيد، وأحسن صحبة الناس لكن اعلم أن زكاماً يصيب أحدهم ينسيه خبر موتي وموتك، ولا تفرح بمدحهم ولا تجزع من ذمهم فهم عبيد أهواء وأصحاب ميول ورغبات إنما عليك أن تفعل الجميل وتبذل الإحسان واطلب العوض من الله وحده فما أحسن معاملته بالطاعة والتوبة ومراقبته وسوف ترى الثمار اليانعة النافعة.

فاصلة

أكثر اللقاءات والمؤتمرات والاجتماعات جعجعات وبالونات وفقاقيع، فلا تنخدع بمؤتمر كبار المفكرين والمبدعين والرواد لدراسة حامض أكسيد الكلام الفاضي، ولا

تندهش من اجتماع فقهاء العصر ونجوم الدهر ليبحثوا في شأن امرأة المفقود إذا مرَّ على فقده خمسون سنة، ولا تذهل من اللقاء الكبير والحفل الرسمي لشعراء الدنيا لتقرير هل الأحسن أن يلقي الشاعر قصيدته واقفاً أو منسدحاً أو منبطحاً. نحن أمة اشتغلت في الآخر بالكلام فقط، وتركت العمل، عمر بن الخطاب جمع الصحابة قبل القادسية فعين القائد في جلسة وأعطى الألوية ونظم الجيش وأعد العدة ووقع النصر بإذن الله، كم حضر ابن تيمية من مؤتمر؟ كم عقد للشافعي من اجتماع؟ وأنا قد حضرت عشرات المؤتمرات واللقاءات وصدقني ما أعرف أنه نُفِّذ توصية واحدة فقط! صرفنا المال وسكنا في الفنادق مع التذاكر والموائد الدسمة مع التصوير في وسائل الإعلام، وبعدها ما حصلنا على طائل.

فاصلة

الدين المعاملة، وحسن الخلق من أرفع الأعمال، وهو الذي يثقل الموازين لكن الله المعطي وحده، أعرف أشخاصاً عبوسين دائماً (زعلانين) أبداً مع العلم أنه نزل المطر وارتفع سعر البترول ورخصت الفواكه ولكنهم (زعلانين)، نجح أبناؤهم وتزوجت بناتهم وزادت ثروتهم ولكنهم (زعلانين)، لا يبتسم أحدهم إلا مرة في عيد الفطر، ثم يبكي مغضباً عبوساً قمطريراً بقية العام كله، يا لطيف!! ما سبب هذا الزعل، الناس بخير، الدنيا طيبة، اليسر بعد العسر، يا إخوان تبسّموا في وجوه الناس، أدخلوا السرور على عباد الله، تحببوا للخلق بحسن الخلق، إن البعض يحمل نفساً شرسة متذمرة غضوبة أعانه الله عليها، فهو في عذاب دائم ويريد أن يعذبنا معه، لا يريدنا أن نمزح ولا نفرح ولا نمرح، إذا حضر صمتنا وسكتنا وإذا غاب أخذنا راحتنا في المباح ﴿**رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ**﴾ (الدخان: ١٢).

فاصلة

الحياة جميلة إذا نظرت لها بعينين جميلتين ففيها العلم النافع والعمل الصالح والأحباب والأصحاب وفيها السرور والفرح وفيها الحسن والعطاء، وفيها الخير والبركة، وهي مزرعة الأبرار وحقل الأخيار، لكن بعض الناس يرفض هذا كله فهو ينظر لها

بقنوط؛ لأن فيها الأشرار والفجار والظلمة وهي دنيا النكد والبؤس والمصائب، وهذا الصنف يعيش كئيباً محطماً ففر منه فرارك من الأسد؛ لأنه باختصار يريد نقل العدوى لك حتى تكون مثله، فهو دائماً يشتكي كل يوم يبحث عن مصيبة، فعنده أن الأسعار سوف ترتفع وسمع أن هناك مشاكل عند آل فلان، وأخبره ثقة أن الوزارة الفلانية تدهور وضعها وجاءه علم اليقين أن فلاناً يمر بظروف قاسية، إلى آخر تلك القائمة، وهذا كله هلس في هلس، وهو على منهج ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ (المنافقون: ٢٦) الدنيا بخير، في الناس كرماء، والعواقب طيبة وحميدة.

فاصلة

حضرت أشفع عند والد مقتول ليعفو عن القاتل فوجدت من تصلب والده وعزة نفسه ورفضه للعفو وحرصه على قتل القاتل ومدحه لابنه المقتول فسألت الناس عن ابنه فقالوا: ابنه رجل عادي ولم يكن كما زعم أبوه، فعلمت أن الأب مغرم معجب مفتون بابنه، فلا تصدق دائماً الابن في أبيه ولا الرجل في زوجته المحبوبة ولا المؤلف إذا تحدث عن كتابه؛ لأن العاطفة تغلب والهوى يحكم، فعليك بالتثبت عن سماع أخبار الثناء (فما كل مصقول الترائب زينب)، ثم عجبي من هذا الأب في حرصه على شرفه بزعمه في عدم قبول العفو وهو لم يحرص على تربية ابنه على الصلاة ومكارم الأخلاق، وإذا الشرف عند بعض الناس معرفة الرمي بالبندق وإجادة العرضة والرقصات الشعبية والصيد والسوالف بطلاقة، هذا مبلغهم من العلم، لكن الهمة في زكاة النفس وحمل الأمانة وحفظ حدود الله معدومة عند القليل، فالناس أحياناً يضعون مراسيم باطلة تناقض الشرع.

فاصلة

وقفنا في صالة المطار ننتظر إقلاع الطائرة فمنا من قرب موعد إقلاع طائرته فهو متهيئ، ومنا من ما زال فهو آخذ راحته وليس بمستعجل، فتذكرت حالنا مع الموت في الدنيا، فمنا من أعد العدة وهيأ للقدوم على الله فهو في عمل صالح وخير مستمر ونفع دائم، ومنا من هو في غفلة وذهول، وإعراض حتى يأتيه الموت فجأة، ونحن نريد الحياة في سبيل الله مثلما نريد الموت في سبيل الله لأن الحياة

في سبيل الله؛ عطاء ونماء وبركة ونفع، ولكن بعض الناس حوّل حياته إلى غفلة ونوم عميق: وصح النوم يا إخوان!! إلى متى التسويف والسعي وراء سراب الحياة، الشباب يقول: إذا كبرت، والعزب يقول: إذا تزوجت، والفقير إذا اغتنى، والصحيح أن المهمل والمتسوف في سكرة لا يستفيق منها إلا عند الموت (الناس سكارى فإذا ماتوا انتبهوا).

فاصلة

كان عندنا وزير مشهور وقع في عرضه بعض الناس ونسبوا إليه أفعالاً وأقوالاً ضد الإسلام وصدق الناس بلا بيّنة ولا برهان، واستقال الوزير وجاورته في حيه، فكان حمامة مسجد لا تفوته صلاة، وباحثته في بعض ما نسب إليه فأقسم بجلال الله ليس بصحيح وتحدى أن يأتوا ببرهان واحد وكتب في الصحف يتحدى من يثبت عليه ما نسب إليه فما فعل أحد، وصاحبت بعض من همزه ولمزه فوالله ما وجدتهم يحافظون على صلاة الجماعة، وهم الذين يدعون الغيرة على الإسلام!! هل الغيرة على الإسلام كلام في مجالس وأكل فصفص وولوغ في الأعراض؟ هل الإسلام ملعب كرة لاستعراض العضلات؟ يا من وقع في أعراض الأبرياء تأكدوا، فإن بعض الناس مصنف للناس، فالحكام عنده ظلمة، وطلبة العلم متلبسون مدلسون، والقضاة مرتشون، والتجار غشاشون، والعامة جهلة، يا سلام وأنت يا بطل وش تكون؟!!

فاصلة

كان هناك صحفي متخصص في نقدي، فإذا نظمت قصيدة ذمها وتنقص منها وإن ألفت كتاباً تصدى له ومقته، وإن خرجت في التلفزيون سخر مني، كل هذا في الصحف جهاراً نهاراً، وطال عجبي منه وهممت أن أسلخه بمقالة لا تبقي ولا تذر، ثم سلم الله، وشجعني بعض أصدقائي على الرد عليه في الصحف ولطف الله، ثم بدت لي فكرة أن أتجاهل ما كتب وأتغافل وكأني ما سمعت ولا رأيت وأهدي له بعض كتبي مع بعض عبارات التبجيل، ووصلت الهدية فتهلل واستبشر ووالله ما مر وقت قصير إلا وهو يمدحني ويثني علي في نفس الصحف التي سبني فيها وشتمني! وصدق الله ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾ (فصلت: ٣٤) ما أحسن الصفح ما أجمل التغافل، ما أنبل التغابي.

ليس الغبي بسيد في قومه　　　لكن سيد قومه المتغابي

فاصلة

اجتمعنا مرات كثيرة مع الدعاة في مجالس لدراسة الدعوة وماذا يجب علينا في هذه المرحلة فكان الواحد منا يحرص على تزويق الكلام واختيار العبارات الرنانة وتكلمنا جميعاً وكل واحد منا ذكر أمجاده إما تعريضاً أو تصريحاً وانتهى الاجتماع ولم نخرج بفائدة عملية إنما كلام في كلام لأننا إلى الآن لنا على بعضنا تحفظات، ثم إن الكلام سهل والفعل صعب فصرت لا أحرص على حضور الاجتماعات؛ لأنها استعراضات للعضلات فحسب ولأنه في كل مجلس عليك أن تنصت خاشعاً لعشر كلمات لإخوانك طويلات ثقيلات مملات ولو جلست في بيتك وحضرت محاضرة نافعة أو علمت أهلك أو قرأت جزءاً من القرآن لكان أفضل، مشكلتنا أننا لا نزال نخطط والآخرون يعملون، اجتمعت دول أوربا فأنشأت السوق الأوروبية المشتركة، ثم اجتمعت فاتفقت على عملة موحدة، ثم اجتمعت فوحدت التأشيرات، ثم اجتمعت فألغت الجمارك وعندنا عشرة دعاة فشلوا عشرين سنة في خطة.

فاصلة

يقول نيوتن: النجاح يحتاج إلى ثلاث مقومات: العمل ثم العمل ثم العمل، وهذا صحيح فقد شغلونا بكتب في فن النجاح وكيف تكون ناجحاً وذكروا لك سبعين شرطاً للنجاح مثل الهمة والإرادة والإصرار والنية والطهارة والغسل من الجنابة والسواك و. و . إلخ، والصحيح أن النجاح عمل وقد رأيت أنجح إنسان في حياتي الشيخ ابن باز ولم يقرأ كتاباً واحداً في النجاح، وهو طاقة متجددة من النشاط والحيوية والبذل والعطاء والتضحية تدريساً وفتيا وتأليفاً وشفاعة وتعليماً وضيافة ونفعاً عاماً وعلماً وحلماً وكرماً، ورأيت من قرأ عشرات الكتب في الهمة والنجاح وهو جثة هامدة، النجاح مثل السباحة لا تدرس في الدفتر إنها تتعلم في النهر، وكرة القدم لا تؤخذ من الكتاب إنها في ملعب الكرة، وقس على ذلك أبواب الحياة، فأقول: اعمل وثابر واقرأ وسبح وألف وانفع فهذا هو النجاح.

فاصلة

التثبت في النقل واجب شرعي، لكن من يخبر كل مهبول ومن يقنع كل أحمق، لأننا بلينا بأبطال الشائعات، أناس ما همهم إلا نشر المعلومة الخطأ يطيرون بالأخبار الغريبة بلا تثبت ويفرحون بالعجائب ويرتاحون للمصائب وينشرون الغرائب وأعرف أحدهم دائماً يشيع الأراجيف ويبث الأخبار بلا روية ولا تثبت فهو يقول مثلاً بلغني أن ألف جندي أمريكي البارحة في أفغانستان قتلوا على يد الطالبان، قلت: كيف يكون هذا وأين وكالات الأنباء ما أخبرتنا؟ قال: لا يهمونك متكتمين على الأخبار نكاية بالإسلام، ويخبرنا أن آل فلان كاد يقع بينهم فقتله، وخفنا وصار الخبر كذباً، وقال سمعنا أنه تاب مائة واحد من محاضرة فلان ولا تاب واحد، إنما المقصود أنه مغرم بالغرائب وكفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع، لماذا ننشر معلومات خاطئة؟ لماذا نربك الناس ونخلط أوراقهم؟ لنشتغل بالحق والخير ولنترك الأوهام.

فاصلة

ينبغي أن نستحيي من ممارسة التزوير الذي نقوم به صباح مساء، فقد عرفت بعض الناس جعل لنفسه لقب الدكتور وهو لم يحصل على الدكتوراه، وبعض طلبة العلم تظاهر بأنه يحفظ كذا وكذا متناً وهو لم يحفظها، وبعض التجار أوهم الناس أن لديه مشاريع مساهمات فتورط الناس معه وساهموا فأفلسوا، وقد زرت أحد التجار في السجن شافعاً في قضيته فوجدته رفض الاعتراف، وأخبرنا أنه إذا خرج من السجن سدد الديون، وخرج من السجن وما سدد دينه ولا أعطى أحداً ما له عليه، ورأيت أحد من يكتب في التاريخ ادّعى في المجلس أنه شاهد سور الصين العظيم وقد كذب بعد ظهور برهان كذبه، وبعضهم يدعي أنه رأى رؤيا منامية هائلة وهو كاذب وقس على ذلك صنوف التزوير، فلماذا هذا ؟! أمن أجل الناس؟! ومن هم الناس؟ ما قدرهم حتى يُعصى الله من أجلهم؟ فالصدق أيها الناس فالله لا تخفى عليه خافية.

فاصلة

حصلت بعض الشدائد فتنكر لنا من كنا نعرفه وترك حتى مجرد السؤال عن الحال وقيّض الله لنا أضعافاً مضاعفة ممن لم نكن نعرفهم فواسوا وأعانوا، فلا

تظن أن أصدقاء الرخاء هم أصدقاء الشدة، ولا تغلط فتحسب أن من تودد لك وقت اليسر سوف يبقى معك وقت العسر، وعلى العموم لا تعلق على أحد من البشر همك، بل تعلق بالله وحده، فكم من صديق يقسم لك إنك في منزلة نفسه وولده لكن جرّب ذلك واطلب منه قرضاً، أو كفالة مالية، إن التضامن باللسان سهل؛ لأنه غير مكلف لكن إذا وقع البأس وطلبت ضريبة الصداقة نكص الكثير، وأنا أعد هذه الصداقة الجوفاء أشبه ما تكون بهتافات الشعوب المغلوبة على أمرها التي تهتف بحياة الزعيم القائد الضرورة: بالروح بالدم نفديك يا فلان، فلما سقط رفسوه بالأقدام.

فاصلة

كان السابقون الأخيار ينادَوْن بأسمائهم المجردة ويذكر للواحد إنجازات عملية فيقولون أبو بكر الصديق حضر الغزوات كلها، وأنفق ماله كله في سبيل الله وكان مع الرسول ﷺ في الغار والهجرة والعريش يوم بدر.... ونحو ذلك فلما جاء المتأخرون قالوا للواحد: سماحة العلامة الفهامة، وحيد العصر، أعجوبة الدهر، النظّار المجتهد، المطلق فلان بن فلان ويقولون عنه: كان عنده أربع زوجات وثلاثون ابناً، وعشرة بيوت ومزرعتان، وخلَّف ثروة هائلة فانظر الفرق بين الترجمتين الأولى والثانية ولهذا علت وسبقت الأمة في أول عهدها وأخفقت ورسبت في عهدنا حتى إني رأيت بعض من يذكر سير بعض المتأخرين يقول: وما رأى مثل نفسه وعجزت النساء أن يلدن مثله، ولو كان في بني إسرائيل لكان عجباً ولو حلفت بين الركن والمقام ما رأيت مثله لصدقت ونحو هذا الكلام الفارغ الفاضي الفاضح الفاشل.

فاصلة

أسفتُ جداً لصديق عزيز عليّ أذهب عمره وذكاءه ووقته في دراسة أفكار الغرب وفلسفة الغرب وسياسة الغرب وكل شيء في الغرب فإذا ألّف ملأ الصحف بأسماء وليم وجورج ومايكل وروبرت ونحوها ونسي سامحه الله محمداً وعلياً وسلمان وعمر وإذا ذكر المدن ذكر قشجن وباريس ولندن وواشنطن ونحوها، وأغفل سامحه الله مكة والمدينة وبغداد ودمشق، والرجل مغرم بل عاشق بل مهووس مجنون

في شيء اسمه الغرب كما قالوا: عنز بدو طاحت في مريس، يا ساتر ما هذا الهيام بأناس لا شريعة لديهم ولا رسالة سماوية، إنما هم أهل آلة ومادة ومصنع ومعمل، أين التشرف والاعتزاز برسالتنا وقرآننا وسنة نبينا ﷺ، حرام يا قوم ترك القبلة والمصحف والهداية، عيب يا ناس خدمة البشر والإعراض عن دين رب البشر.

فاصلة

أخبرني أحد الأعيان أنه نزل سوق الذهب فوجد شباباً عاطلاً فارغاً يلاحق الفتيات أمام الناس في السوق، قال فتعجبت من جرأتهم وقلت لأحدهم: ما تستحي تعاكس بنات المسلمين أترضى هذا لأختك أو زوجتك؟ فكشر في وجهي وقال: وش دخلك؟ أي لماذا تتكلم في هذا الموضوع، وإذا وصل الحال بالشباب إلى هذا المستوى الذميم المنحط السافل فقد ذهب منه الحياء والوقار والرجولة، وسبب ذلك كله ضعف الدين والتربية أو عدمها فليس هناك أب غيور أو أم حريصة أو أستاذ مربٍ، إنما انفلات من الرعاية وخلل في التوجيه، وفشل ذريع في التربية فنشأ شباب هامشي مهزوم يسقط أمام نظرة أو همزة أو غمزة أو نغمة، هل لنا موعد مع التاريخ لنعيد تربية أنفسنا على ما رباها عليه ابن عباس وابن عمر وابن مسعود وابن الزبير، عندنا قرآن وسنة ولكن المرعى أخضر والعنز مريضة!!

فاصلة

نحتاج إلى كتابة تاريخ صادق لنا وشفاف وعادل بدل تاريخنا الذي أغرق في سيرة الملوك والخلفاء فقط حتى ذكر لنا جواريهم وغلمانهم وأهمل تاريخ الأمة العلمي والإصلاحي والاجتماعي، ثم الواجب أن تذكر الحسنات والسيئات بلا أهواء ولا عواطف ولا ظلم وإنما الإنصاف مع ذكر سنن الله في الأمم والشعوب واستخلاص الدروس النافعة من كل حادثة وواقعة تستحق الدراسة، تاريخنا في غالبه سرد قصصي وتهويل مع ذكر عجائب وغرائب أحياناً لا يصدقها العقل مع المبالغة في الأوصاف والأرقام، ونحن بحاجة لمن يمحص تاريخنا ويغربله من الأوهام ويقدمه في أحسن صورة، ويقوم بذلك فريق من العلماء الملمين بالتاريخ وفقه

التاريخ وحبذا لو ربط هذا التاريخ بالقرآن بحيث تتجلى سنة الله في كتابه في الأمم والدول والعبر المذكورة في كتابه عن هذا الباب، التاريخ لا يجوز أن يزوَّر.

فاصلة

درسنا النحو في المعهد العلمي بطريقة شاقة صعبة ونحن أطفال في المتوسطة فقرروا علينا شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك وتخيل أطفالاً في القرن الرابع عشر يقرؤون لعلماء القرن السادس مع شواهد شعرية صعبة ولغة غريبة، ولو أن الله فتح على المشرفين لسهلوا لنا النحو بكتاب عصري ميسَّر وأمثلة واضحة، ولكن لله الحكمة، حتى إن من الشواهد التي حفظناها ونحن أطفال قول الشاعر:

أُمُّ الحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ

تَرْضَى مِنَ اللَحْمِ بَعَظْمِ الرَقَبَهْ

ثم يقولون: الشاهد كذا، وجه الاستشهاد كذا، فنبقى في حيرة، فيا جماعة سهِّلوا العلوم على الجيل ولطفوا المقررات وقربوا المعلومات فالله عز وجل يقول عن كتابه: ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ فما لكم تصعِّبون على الناس العلم؟ ولماذا نقدم كتاباً ألف قبل ألف سنة لقوم لهم لغة خاصة وواقع خاص وقد تغير العصر وفترت الهمم وشغل الجيل بما جدّ وحدث من وسائل لم تكن موجودة من قبل كالتلفاز والصحف والإنترنت، إن البساطة عظمة، والتيسير رحمة وكما قال أبو الطيب:

أَبلَغُ ما يُطلَبُ النَجاحُ بِهِ الـ   طَبعُ وَعِندَ التَعَمُّقِ الزَلَلُ

نصيحتي لمن تكلم ألا يتعمق ولا يتشدق ومن ألّف ألا يتقعر ومن دعا ألاّ يتكلف، ومن وجه أو نصح ألا يتعسف، الدين يسر، الشريعة سمحة ﴿ **ونيسرك لليسرى** ﴾.

فاصلة

نهى الدعاة والعلماء نهياً جازماً عن الانهماك في السياسية؛ لأن غالبها خساسة ونجاسة، وهي لا تليق بالعالم؛ لأنها مبنية على المكر والخديعة عدا

السياسية الشرعية، ثم إن السياسة وهي فن الممكن متقلبة المزاج لها ألوان مثل ألوان الحرباء كل يوم لها لون، فيا أيها العالم أدمن النظر في علم الشريعة وقرّب الناس من الله ومن الجنة، ولا يغرك كلام بعض المفكرين والمتعطشين إلى الحكم من أن السياسة تفتح عقل العالم وتزيد من بصيرته وعلمه بالواقع وهذا كله كلام فاضٍ وفارغ وهلس ووسواوس، العالم تزيده الطاعة وروح التجديد وحسن الفقه في النصوص وتقوى الله والعمل بالعلم والبيان للناس وحمل الميثاق، أما أن ينغمس العالم في السياسة إلى أذنيه فهذا يصبح مثل السفير المفوّض والناطق الرسمي والقائم بأعمال القنصلية وكبير طاقم الدبلماسية، ومن ثم ينطفئ نور العلم وتنطمس شمس الفهم ويبقى العالم يردد مصطلحات باردة باهتة ولا يثق الناس بعلمه؛ لأنه متهم عندهم بحب المنصب والسعي للشهرة والصدارة، فيا طلاب العلم تعلموا وعلموا، ولا أدعوكم إلى الغباء بواقعكم والجهل بحياتكم حتى يصبح الإنسان مغفَّلاً، لا، ليس هذا. قصدي أن علماء الإسلام كمالك وأحمد والشافعي وأبي حنيفة وابن تيمية كانوا أذكياء ويفهمون واقعهم ولكنهم لم يكونوا دهاقين للسياسة ولعبة للحكم وشماعات لأخطاء الملوك وجلاسًا وسمارًا للخلفاء ﴿**وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾ (آل عمران: ٧٩).

بريال واحد تنقذ الأمة

لو أنا أنشأنا صندوقاً للفقراء ودفع كل واحد منا ريالاً واحداً في اليوم كبارنا وصغارنا رجالنا ونساؤنا؛ لجمعنا في اليوم الواحد في بلادنا عشرين مليون ريال، وفي الشهر ستمائة مليون، وفي السنة سبعة مليارات ومئتا مليون، فلن يبقى عندنا فقير واحد، بل لو وضعنا هذه المليارات في مشاريع واستثمار لعمرنا للفقراء بيوتاً وعلمنا أبناءهم ورفعنا مستوى معيشتهم وأنهينا شبح الفقر المخيف، المشكلة أن عندنا ثراءً فاحشًا وفقرًا مدقعًا، عندنا أناس بلغوا الثريا في البذخ والسرف، وأناس يسكنون الصفيح ويفترشون التراب، وما الذي يضير الواحد منا لو أنشأ في بيته مع أسرته صندوقاً اسمه صندوق الفقراء، وفي كل صباح يقوم الأب أو الأم بأخذ ريالٍ

واحدٍ عن كل فرد من أفراد الأسرة أبناءً وبناتٍ حينها سوف تحل بركة الصدقة في البيت وتنزل السكينة ويربى الأطفال على حب الصدقة، ويدفع البلاء والمصائب والأمراض عن أهل البيت، وتحل أزمة الفقر في بلادنا، وقس على ذلك العالم الإسلامي كله، إن بعضنا يحرق خمسين ريالاً يومياً في شرب الدخان، وآخرون يعدون ولائم وعزائم كلها بذخ وإسراف ورياء وسمعة، وإذا طلب من الواحد الصدقة بمائة ريال تثاقل وبخل ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾ (محمد: ٣٨)، جربوا يا مسلمون الصندوق المبارك في البيت صندوق الصدقة، وقبل أن يذهب ابنك أو ابنتك إلى المدرسة اطلب منهم ريالاً عن كل واحد يضعه بيده في الصندوق، إن هذه الطريقة أفضل من عشر محاضرات شفوية يقولها الإنسان، ثم لا يعمل بها، تصدقوا يا قوم؛ لأن الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار.

فاصلة

كثير من الناس يفنون أعمارهم في خدمة الدنيا، فهم من صباح كل يوم إلى مسائه يلهثون في البناء والتعمير والتجارة ونحوها من المهن والصناعات والحرف، وهذا إذا أخذ بقدره حسن جميل لكن المشكلة أن هؤلاء أهملوا عقولهم وأرواحهم وأجسامهم فتركوا الحد الأدنى من العلم والمعرفة، وأهملوا أدب نفوسهم وزكاة أرواحهم ونظافة أجسامهم، فتجد الواحد جاهلاً لا يعرف لماذا خلق وإلى أين يذهب وماذا يجب عليه، إنما همه كيف يجمع المال من أي وجه، فتجد التجار لا يفكرون إلا في المال وطرق جمعه وأما مسائل العقيدة والأخلاق والآداب فليس لها ذكر عندهم، وهؤلاء عبيد الدرهم والدينار والدولار وهم في سكرة لا يصحون منها إلا وقت الموت، يا جماعة نحن خلقنا لهدف عظيم وحكمة باهرة خلقنا نعبد الله وحده فلماذا نشتغل بالوسائل ونترك المقاصد أهملنا الأصل واشتغلنا بالفرع، الله كفل لنا الرزق فعلينا أن نطلبه بطاعة الله لا أن نصرف العمر في طلب الرزق بمعصية الله، فيكون وبالاً علينا، نحن عبيد الله في المسجد والمصنع والميدان والمزرعة والمكتب

والصيدلية، فرق بين أن تطلب لقمة العيش لتعبد الله وبين أن تنسى الله لتكون عبداً للمال، وسوف يظهر لكل مغبون مقدار الخسارة إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور، لكن المبنّج لا يشعر والمسحور مصروف والسكران مسلوب الإرادة، وعشاق الدنيا مبنجون مسحورون سكارى.

الشــمس

الشمس

أقسم الله بالشمس لعظم جرمها وكبر جسمها، فقال : ﴿ **وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا** ﴾ (الشمس: ١) وإنما ذكرها بالضحى لأنها تكون فيه أضحى وأظهر ولهذا قالوا في الحسناء: كأنها شمس الضحى.

وقد ذكر أحد الشعراء الخليفة المكتفي وكان آية في الحسن فقال:

والله لا كلّمتها ولو انها كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفي

وهي آية النهار وما ينكرها إلا مكابر، يقول أبو الطيب:

وكيف يصح في الأذهان شيء
إذا احتاج النهار إلى دليل

وهذا البيت من ناصع شعره ونفيس ورده فلله دره، ويقول البوصيري:

قد تُنْكِرُ العينُ ضَوْءَ الشَّمْسِ من رَمَدٍ
ويُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ الماءِ من سَقَمِ

وقال المعري في قصيدته الشهيرة المذهلة:

...... والعيب للعين لا للشمس في النظر

ويصفون الحجة والظاهرة بالشمس الباهرة، وقد ذكر المولى جل اسمه الشمس فقال: ﴿ **لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ** ﴾ (يس: ٤٠) لأن القمر قبلها في الجري؛ إذ إن الليالي قبل الأيام فقطع الشبهة إدراك الشمس للقمر أعظم منه في إدراك القمر للشمس. ويسمونها أخت يوشع، قال شوقي:

قِفي يا أُختَ يوشَعَ خَبِّرينا
أَحاديثَ القُرونِ الغابِرينا

ويوشع هو النبي الكريم عليه السلام وكما في الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام: **"أن الله حبس الشمس ليوشع حتى قاتل الكفار حتى انتصر عليهم ثم غابت"**.

وفي حديث باطل ترويه بعض الطوائف أن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - نام عن صلاة العصر حتى غابت الشمس ثم استيقظ فسأل الله أن يرد عليه الشمس فردها عليه فصلى ثم غابت، وهو خبر منكر اغتر بسنده بعض أهل السير فصححه، فصار بهذا التصحيح كالأعرابي الذي طلب لبناً يشربه فوضع له أحد اللعابين خمراً وصب فوقه لبناً فشرب حتى سكر فلما استفاق خلط وقال:

إن كنت أدري فعليَّ بدنهْ   من كثرة التخليط أني من أنهْ

وقد اغتر بهذا الشاعر أبو تمام فقال في قصيدة تذوب رقة وتسيل عذوبة وتقطر شهداً مصفى:

فَرُدَّت عَلَينا الشَمسُ وَاللَّيلُ راغِمٌ   بِشَمسٍ لَهُم مِن جانِبِ الخِدرِ تَطلُعُ

فَوَاللَهِ ما أَدري أَأَحلامُ نائِمٍ   أَلَمَّت بِنا أَم كانَ في الرَكبِ يوشَعُ

ولعظم الشمس عبدها بعض الناس، قد أنكر الهدهد على بلقيس وقومها عبادة الشمس فقال: ﴿**وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ**﴾ (النمل: ٢٤) فانظر لهذا الهدهد الموحد كيف أنكر على من جحد وعبد غير الواحد الأحد.

والشمس أظهر الكواكب وأشهرها في المشارق والمغارب يقول النابغة في النعمان بن المنذر:

فَإِنَّكَ شَمسٌ وَالمُلوكُ كَواكِبٌ   إِذا طَلَعَت لَم يَبدُ مِنهُنَّ كَوكَبُ

فانظر ما أفخم اللفظ وأرق الديباجة مع سلامة ذوق وجلالة معنى وبعد من التكلف والتنافر والغرابة حتى قال الأصعمي عن شعره: ألين من الحرير وأقوى من الحرير.

وأخوه في المعلقات العبقري الثائر المتمرد الشاب طرفة يقول في بيت له من المعلقة ولو لم يقل إلا هذا البيت لكان شاعراً:

وَوَجهٌ كَأَنَّ الشَمسَ حَلَّت رِدائَها   عَلَيهِ نَقِيُّ اللَونِ لَم يَتَخَدَّدِ

وفي حديث صحيح أن أبا هريرة سُئِل : هل كان وجه الرسول ﷺ كالسيف، قال: لا، كالشمس، وقال واصفوه عليه الصلاة والسلام: كأن الشمس تجري في وجهه، فقد جمع الله له بين الهيبة والجمال، والصباحة والجلال، والملاحة والكمال.

والشمس لها ميل، قد تميل مع الفصول بدرجة على حسب الفصول، وهذا ازورار حتى جاء هذا اللفظ رشيقاً خلاباً في قوله تعالى: ﴿ **وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ** ﴾ (الكهف: ١٧). أي: تميل يمنة ويسرة، يقول عنترة في فرسه:

فَازوَرَّ مِن وَقعِ القَنا بِلَبانِهِ وَشَكا إِلَيَّ بِعَبرَةٍ وَتَحَمحُمِ

وفي جريان الشمس يقول الله تعالى: ﴿ **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا** ﴾ (يس: ٣٨) وقرئ (لا مستقر لها) والأول أظهر، وفي الصحيح أن أبا ذر سأل النبي ﷺ أين تذهب الشمس؟ فأخبره أنها تسجد تحت العرش، وسمع ﷺ بيتاً لأمية بن أبي الصلت يذكر سجود الشمس تحت العرش قال: صدق.

وأراد عمر - رضي الله عنه - أن يولّي رجلاً ولاية فقال له الرجل رأيت البارحة أن الشمس والقمر يقتتلان فكنت مع القمر على الشمس فقال عمر: كنت مع الآية الممحوّة لن تلي لي ولاية، وهذه من فراسته - رضي الله عنه - ويشير إلى قوله تعالى: ﴿ **فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً** ﴾ (الإسراء: ١٢) فالقمر آية الليل والشمس آية النهار، وقال: محوها ذهاب شعاع القمر، وقد ترجم بعضهم لشيخ الإسلام ابن تيمية فقال عنه: كان أبوه نجماً وجده قمراً وهو شمس ﴿ **فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً** ﴾ (الإسراء: ١٢) يقول أبو الطيب:

غُصنٌ عَلى نَقَوى فَلاةٍ نابِتٌ شَمسُ النَهارِ تُقِلُّ لَيلاً مُظلِما

يصف حبيبته فيقول: هي (غصن) يعني قامتها، نابت على كثيبي رمل يعني ردفها، ووجها شمس تحمل ليلاً مظلماً يعني شعرها، ونقوى مثنى نقا وهو الكثيب من الرمل، والفلاة المفازة وهي بيت بارد سامج، وللعبقرية فتور وللإبداع خدوش والتميز كالقصر الجميل ولكن فيه المجلس وغرفة الطعام والمطبخ، ولكنه قصر في مجموعه.

ومدح نزار قباني الشام فأراد أن يفخر بدمشق فقال:

اركبي الشمس يا دمشق إلى المجد

حصاناً حسبك الله حافظ وأمين

واقتخر أحد المعاصرين بقومه فقال:

نحن وجـه الشـمس إسـلامـاً وقـوة

نسب حـر ومـجـد وفـتـوّة

ولما تطاول بشار في شعره قال:

إِذا مـا غَـضِـبنا غَـضـبَـةً مُـضَـرِيَّةً

هَتَكنا حِجابَ الشَـمسِ أَو تُمطِرَ الدَما

وكان العبقري الحافظ ابن حزم الظاهري يفتخر ويقول:

وإني لشـمس في السـمـاء مضيـئـة

ولكن عـيـبـي أن مطلعي الغـرب

ولما مدح بديع الزمان أحد الأمراء قال:

وكـاد يحكيك صـوب الغـيث منسكبـاً

لو كـان طلق المحـيَّـا يُمطر الذهبـا

.... والشـمس لو نطقت

والليث لو لم يصـد والبـحـر لو عـذبا

ولما مدح زهير هرماً قال:

لو كـان يقـعـد فـوق الشـمس من كـرم

قـوم بآبائهم أو مـجـدهم قـعـدوا

وهذا مدح أجمل من در البحور على النحور أبقى ذكر هرم فلم يهرم، وذهب ما أعطاه من دينار ودرهم، والشمس تملأ القلب جلالاً والعين جمالاً ولهذا بدأ بها إبراهيم الخليل عليه السلام في مناظرته لقومه: ﴿ **فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ** ﴾ (الأنعام: ٧٨) وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه نهى عن

الصلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها؛ لأن الكفار كانوا يسجدون لها، فمنع من ذلك لئلا يقع التشبه أو يحصل اللبس، وأمرنا أن نسبح قبل طلوع الشمس وقبل الغروب؛ لأن في إقبال النهار وإدبار الليل آية لعظمة الباري وبديع خلقه والتسبيح عند التعظيم، ثم إنه ينزه أن يعبد غيره سبحانه، والتسبيح أنسب وهو قبل الشروق والغروب أطيب وصح عن رسولنا ﷺ أنه كان يسبح حتى تطلع الشمس حسناء، ومن المبالغة الممقوتة قول بعض الشعراء لهارون الرشيد:

لما رأتك الشمس طالعة   سجدت لوجهك طلعة الشمس

وهذا مدح باطل.

والبياض إذا غلب صار برصاً فالزم أهل الاعتدال واتبع آثارهم قصصا.

والمتنبئ أراد أن يمدح وجه حبيبته فما وجد أحسن من الشمس فقال:

رَأَت وَجهَ مَن أَهوى بِلَيلٍ عَواذِلي   فَقُلنَ نَرى شَمساً وَما طَلَعَ الفَجرُ

وهو بيت متماسك من قصيدة ذائعة شائعة منها:

وَأَستَكبِرُ الأَخبارَ قَبلَ لِقائِهِ   فَلَمّا اِلتَقَينا صَغَّرَ الخَبَرَ الخُبرُ

وله كلمة بديعة في سيف الدولة يقول فيها:

الشَمسُ مِن حُسّادِهِ وَالنَصرُ مِن   قُرَنائِهِ وَالسَيفُ مِن أَسمائِهِ

ونهى ﷺ في حديث عقبة بن عامر عن مسلم عن الصلاة إذا قام قائم الظهيرة، قال العلماء: إذا توسطت الشمس السماء وأصبحت بلا ظل، وكان ﷺ إذا مالت الشمس وزال ظلها قاتل في سبيل الله وهو حديث صحيح.

ولما انكسفت الشمس في عهده ﷺ صادف انكافسها موت إبراهيم ابنه عليه السلام فقال بعضهم: كسفت الشمس لموت إبراهيم فلو كان ﷺ كزعماء الدنيا هواة الجاه والعلو في الأرض.... ولكن الله عصمه وطهر قلبه وسمعه وبصره فأخبر أن الشمس والقمر لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياته وإنهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما من يشاء .

ومن قولي:

كأنك الشـمس لو دامت على ألق　　　والبدر لو لم يغب والليث لو عقلا

وأبو تمام يقول:

نَسَبٌ كأَنَّ عَلَيهِ مِن شَمسِ الضُحى　　　نوراً وَمِن فَلَقِ الصَباحِ عَمودا

وأبو الطيب له قصيدة فذة خالدة مدح بها منصوراً الحاجب وكان بخيلاً فأعطاه ديناراً والقصيدة تساوي قنطاراً منها:

كَالشَمسِ في كَبِدِ السَماءِ وَضَوؤُها　　　يَغشى البِلادَ مَشارِقاً وَمَغارِبا

بِأَبي الشُموسُ الجانِحاتُ غَوارِبا　　　اللابِساتُ مِنَ الحَريرِ جَلابِبا

وعند مسلم عن ابن عباس أن الرسول ﷺ رأى رجلاً جالساً في الشمس قال: من هذا؟ قال: أبو إسرائيل نذر أن يصوم وأن يصمت وأن يبقى في الشمس قال: مروه فليتكلم وليستظل وليتم صومه، وانظر لهذه الجملة السديدة الرشيدة من معلم الخير ﷺ فإنه نهى عن أمرين غير مشروعين إدامة الصمت والبقاء في الشمس وأجاز بقاء صومه لأن الصوم مشروع في الأصل.

وتفنن أبو الطيب فقال:

بَياضُ وَجهٍ يُريكَ الشَمسَ حالِكَةً　　　وَدُرُّ لَفظٍ يُريكَ الدُرَّ مختلبا

وليته لم يكرر يريك مرتين في بيت واحد لأن إعادة اللفظ بحاله مع تقارب الجمل ثقيل، ألم تر إلى أفصح ولد آدم عليه السلام كيف يغاير بين الألفاظ حتى قال النووي في المجموع في حديث "كتب الله الصلاة وفرض الزكاة"، الكتب والفرض واحد لئلا يتكرر اللفظ، ولما ذكر الله أهل الكهف قال: ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾ (الكهف: ١٧) قال الحربي في وجه النهار: تتركهم وتتجاوزهم فجعل سبحانه الشمس مذكورة لأثرها في الأرض من حيث الظل والضوء والظلمة.

ومدح شاعر كريماً فقال:

إذا حضر الشتاء فأنت شمس وإن حضر المصيف فأنت ظل

لأن شمس الشتاء دافئة مقبولة كأنها ماء ساخن في شدة البرد.

وقد ذكر الذهبي عن أحد الحمقى أنه قال: اللهم أمتني ميتة أبي عمران قالوا: كيف مات؟ قال أكل فالوذجاً حتى شبع وشرب نبيذاً حتى روي ثم خرج في الشمس فمات شبعان ريان دافئاً!! والشمس جميلة مصورة، عالية مدورة، ذات هيئة مكورة، وفي الذكر الحكيم: ﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**﴾ (التكوير: ١) قال المفسرون: لُفّت كما تلف العمامة وذهب ضوءها.

وقد صحح الألباني حديث تكور الشمس والقمر ثم ترمى في النار: وإذا جمال الوجه وحسنه انعكس ضوء الشمس فيه ولهذا يقول أبو الطيب:

شَمسٌ إِذا الشَمسُ لاقَتهُ عَلى فَرَسٍ تَرَدَّدَ النـورُ فيها مِن تَرَدُّدِهِ

والقمر عند أهل الفلك يعكس نوره من الشمس كما قال أبو الطيب:

تَكَسَّبُ الشَمـسُ مِنكَ النورَ طالِعَةً كَما تَكَسَّبَ مِنها نورَهُ القَمَرُ

والشمس سراج يزهر والقمر نور يبهر ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا**﴾ (الفرقان: ٦١) وبعض علماء الفلك قال عن الشمس: إنها أكبر من الأرض بأربعين مرة كما في الموسوعة العربية، وسألت أحد المختصين فقال: هذه معلومة قديمة والصحيح أنها أكثر من هذا العدد بكثير.

وكانت العرب في جاهليتها تقري الضيف عند طلوع الشمس وعند غروبها فتذبح وتنحر، ولهذا قالت الخنساء في أخيها صخر:

يُذَكِّرُني طُلوعُ الشَمسِ صَخراً وَأَذكُرُهُ لِكُلِّ غُروبِ شَمسِ

لأنه كان مضيافًا.....

والشمس تبهر البصر وتكسر النظر إذا قوي ضوءها وظهر، قال أبو الطيب:

كَأَنَّ شُعاعَ عَيْنِ الشَمسِ فيهِ ... فَفي أَبصارِنا مِنهُ اِنكِسارُ

وكان المقنع له وجه كالشمس فاحتجب خوف العين، فقال المعري:

أفِق إنما البَدْرُ المُقَنَّعُ رأسُه ... ضَلالٌ وغَيٌّ مثْلُ بَدْرِ المُقَنَّع

ويقول أبو الطيب:

فَلا زالَتِ الشَمسُ الَّتي في سَمائِهِ ... مُطالِعَةَ الشَمسِ الَّتي في لِثامِهِ

وقد أخرج الحاكم عن أنس قال: سألت أمي عن فاطمة والشمس لظهورها يورد ذكرها في المجادلة والاحتجاج يقول إبراهيم عليه السلام: ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ** ﴾ (البقرة: ٢٥٨) لأن الشمس وطلوعها من المشرق آية ظاهرها لا يمتري فيها عاقل حتى المكابر بهت عن مثل هذا الدليل القاطع، وفي تاريخ ابن عساكر أن أمية بن أبي الصلت مدح أخواله آل جدعان في مكة بقصيدة رائعة ذائعة منها قوله:

وَإِذا دَعَوتَهُم لِكُلِّ مُلِمَّةٍ ... سَدّوا شُعاعَ الشَمسِ بِالفُرسانِ

وإنما ذكر الشمس لأن الغارة تكون صبحاً عند طلوعها كما قال جل ذكره: ﴿ **فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا** ﴾ (العاديات: ٣)، ونعمة اغتسال النفس بضياء الشمس من أجلِّ النعم، ولهذا يوصي الأطباء بتعرض الأطفال للشمس لأن فيها فيتامين D (دي) الذي يمنع من هشاشة العظام.

الأحاديث الواهية

خطر الكذب على الله ورسوله

إن من أعظم ما يُخْشى على الأمة الكذب على الرسول - عليه الصلاة والسلام - والافتراء عليه، فقد صح عنه ﷺ أنه قال:

«من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

والله - عز وجل - يقول: ﴿**انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا**﴾ (النساء: ٥٠) فبين - سُبحَانَهُ وَتَعَالَى - أن الكذب من أكبر الذنوب والخطايا؛ وبخاصة إذا كان على الله - عز وجل - وعلى رسوله ﷺ.

والكذب على الناس كبيرة، فكيف إذا كان على رب الناس سُبحَانَهُ وَتَعَالَى؟!

وكيف إذا كان على رسول الناس؟!

قال سبحانه: ﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ**﴾ (الزمر:٦٠) مسودَّة من الكذب ؛ لأن الكاذب خجول دائمًا، ودائمًا حقير وذليل.

خساسة الكذب

الكذب عادة ذميمة عند العرب في الجاهلية فكيف بالإسلام؟!

يقول أبو سفيان عند هرقل: «فلولا أن يَأْثروا عني الكذب لكذبت» أي: أخاف أن ينقل عني العرب أني كذبت فتركت الكذب. وهو يومئذٍ مشرك!

والنابغة الذبياني وفد على النعمان بن المنذر - وهو أحد الملوك في الجاهلية - وكان النابغة رجلاً شاعرًا افتري عليه عند النعمان بن المنذر فأمر بقتله ؛ فوفد وقال له:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة
وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بُلِّغت عني وشاية
لمبْلِغُك الواشي أغش وأكذب

ويقول كعب بن زهير للرسول عليه الصلاة والسلام:

لا تأخذنّي بأقوال الوشاة ولم
أذنب ولو كثرت فيَّ الأقاويل

وذلك في قصيدته الرائعة الجميلة التي يقول في مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم إثرها لم يفد مكبول

إلى أن قال:

إن الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

إلى أن يقول في مدحه عليه الصلاة والسلام:

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة
القرآن فيه مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم
أذنب ولو كثرت فيَّ الأقاويل

ثم انتهى منها فأعطاه - عليه الصلاة والسلام - بردته، وعفا عنه وسامحه.

يقول - عليه الصلاة والسلام - عن سمرة عند مسلم: «**من حدَّثَ عني بحديث يرى أنه كذب؛ فهو أحد الكاذِبِين**»، أي: أحد الكاذبين على الله؛ لأن الكذب على الرسول ﷺ ليس كالكذب على أحد؛ ولأن كلامه وأفعاله ﷺ تشريع، وهو مسؤول من الله، ومبعوث لإحياء جيل، ولإقامة شريعة، فمن كذب عليه فقد سنَّ للناس الكذب.

ظهور الكذب في آخر الزمان

قال ﷺ في حديث أبي هريرة عند مسلم في المقدمة: «**سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم**»، أي: يتركون القرآن

والسنة، ويتحدثون بالخزعبلات والمضحكات، والقصص الواهية التي ليس لها أساس، وليس لها عمق، وإني لأعجب كثيرًا من بعض المطبوعات والصحف التي تحسب على الإسلام! فطالما أتت بخزعبلات، فما ندري ما المقصد من هذه الصحف؟.

هل الذين يكتبون فيها بأقلامهم جهلة؟ أم في قلوبهم مرض؟ أم ارتابوا من هذه الرسالة الخالدة؟

يأتون بقصص واهية، ويظهرون شناعة لهذا الدين، وفي ظاهرهم أنهم يريدون الدفاع عن الإسلام، لكن يزرون بالإسلام وأهله.

قبل أشهر ذكروا امرأة من إحدى مناطق المملكة وصوروا المرأة، وقالوا: هذه تشفي المرضى، وتخرج الزجاج من العيون، ثم أظهروها وهي تدخل لسانها في عين مريض.

ماذا يقول الغربيون إذا رأوا هذه الصحيفة وهي تقرأ في كل بلاد العالم؟! كلما أتت خزعبلة في مكان من الأمكنة من بلاد الإسلام نقلوها للناس، وكأنهم يدافعون عنها وهم يحللونها ويطرحونها، مثل بعض المبتدعة يقولون: يُؤتى بالشبهة فيتوسع فيها كثيرًا، ثم يرد عليها ردًّا ضعيفًا، فتتمكن الشبهة في قلوب الناس، والمسلم مسؤول عمَّا يكتب ويقرأ.

يقول تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم:٢٤-٢٥).

جزاء من كذب على الرسول ﷺ

يقول - عليه الصلاة والسلام - كما في صحيح البخاري: «**من يقل عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار**»، أي: من قال عليَّ كلامًا لم أقله فليتهيأ وليتجهز لمقعد

في النار جزاءً له على فعله الشنيع، بالتشريع للأمة بشيء لم يشرعه عليه الصلاة والسلام، والحمد لله على أن حديثه محفوظ عليه الصلاة والسلام.

عُمُر الإسلام ألف وخمس مئة سنة وهو محفوظ قال تعالى:

﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ (الحجر:٩)، والشيوعية عمرها اثنتان وسبعون سنة، منذ أن كتب ماركس مذكراته في سويسرا، ودخول لينين موسكو؛ عمرها اثنتان وسبعون سنة ثم انهارت، ولكن الإسلام يزداد قوة، والإسلام الآن ينتشر انتشارًا كبيراً حتى انتشر في روسيا وألمانيا الشرقية، هذه البلاد يدخل أهلها في الإسلام زرافات ووحدانا؛ لأنه الدين الحق: ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾(التوبة:١٠٩).

أسباب وضع الأحاديث

نتساءل: ما أسباب الكذب؟

لماذا يكذب الإنسان؟

ما الحامل للإنسان على أن يكذب؟

هناك أسباب عدة تجعل الإنسان يتجه إلى هذا المنزلق الخطر منها:

أولاً: نقص الإيمان.

إذا نقص الإيمان - وهو: مراقبة الله - عزَّ وجلَّ - في قلب العبد كذب، والكَذِب درجات، ولكن من يكذب ففيه شعبة من النفاق «**ولا يزال الرجل يكذب، حتى يكتب عند الله كذاباً**» ونعوذ بالله من الكذب!

ثانيًا: التزلف إلى السلاطين والأثرياء

وذلك مثلما فعل بعض الناس من الكذابين عند الخلفاء العباسيين، ووضعوا لهم أحاديث في فضل الخلفاء.

ومن ذلك عندما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة قال أحد المتزلفين:

(أبو جعفر المنصور خير أمتي) وهذا كذب عليه ﷺ.

وعندما تولى المهدي بعده الخلافة وضعوا فيه حديثًا، ثم مات المهدي فأتى الهادي فوضعوا فيه حديثًا، فأتى هارون الرشيد فوضعوا فيه حديثًا، فهم مستعدون لكل خليفة.

أحدهم دخل على المهدي وهو يلعب بحمام عنده، فقال: ما رأيك يا فلان، في لعب الحمام؟

قال: يقول - عليه الصلاة والسلام -: «لا سبق إلا في خف أو نصل أو حافر أو جناح»، الجناح: من كَذِبه من أجل أن يُسوغ للخليفة أن يلعب بالحَمَام.

والرسول ﷺ صح عنه أنه يقول: «**لا سبق إلا في خف أو نصل أو حافر**».. خف، أي: في الجمال ونحوها، وحافر: الخيل، ونصل: الأسهم، فأتى هذا، فقال: «لا سبق إلا في خف أو نصل أو حافر أو جناح» فأدخل الحَمَام، فنعوذ بالله من الكذب.

ومن ذلك أن كذاباً قام في مسجد والإمامان أحمد ويحيى بن معين جالسان في هذا المسجد - في البصرة - وهذا الكذاب تورط؛ وذلك أنه لا يعرف الإمامين أحمد ولا يحيى بن معين، والإمامان أحمد ويحيى بن معين محدثا الدنيا، فقال هذا الكذاب: حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا: حدثنا فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ أنه قال: من قال لا إله إلا الله؛ خلق الله له طائرًا منقاره من ذهب، ونونيته من زبرجد، وريشه من جوهر...إلخ، فأتى بقصة طويلة، وبعد ذلك وفي آخر الموعظة طلب من الناس دراهم، فاستدعاه الإمام أحمد وقال: تعال، فأتى وظن أن الإمام سيعطيه، فاقترب من الإمام أحمد ومد يده (أي: أعطني)، فأمسكه الإمام أحمد وقال: أنا أحمد بن حنبل وهذا يحيى بن معين، ما حدثناك بهذا الحديث.

فماذا قال هذا الكذاب؟

قال: سبحان الله ما أجهلك! - يقول ذلك للإمام أحمد - ما في الدنيا إلا أنتما أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، لقد حدثت عن سبعة عشر رجلاً أسماؤهم يحيى

ابن معين، وعن سبعة عشر رجلاً أسماؤهم أحمد بن حنبل، أنت فقط في الدنيا؟! هذه جريمة، وهذا سبب من أسباب الكذب.

ثالثًا: تحسين مهنة أو بضاعة أو تقبيحهما

ومنها: أن بعضهم يريد تحسين عمل من الأعمال أو مهنة من المهن، أو حرفة من الحِرف، وبعضهم يحقد على بعض الناس فيضع عليهم أحاديث، مثل حديث موضوع موجود في كتاب الموضوعات، رجل يبغض الصباغين الذين يصبغون الفضة، قال: يقول عليه الصلاة والسلام: «**أكذب أمتي الصواغون والصباغون**»، وهذا كذب!، نعوذ بالله من الكذب.

ورجل لديه باذنجان يريد أن يبيعها، لأنها ما بيعت منه، فوقف في السوق قال: قال رسول الله ﷺ: «الباذنجان لما أكل له».

ورجل آخر ذكره أهل العلم، أنه كان عنده ديك فنزل في السوق يحرج عليه: من يشتري الديك؟ من يشتري الديك؟

فبقي إلى صلاة الظهر فلم يشتره أحد، فقال: سمعت فلانًا قال: حدثنا عن فلان عن رسول الله ﷺ قال: «الديك من حيوان الجنة»، ثم أتى بقصة طويلة فاشتُري الديك منه.

رابعًا: حسن المقصد

ومن أسباب الكذب: أن بعضهم عنده مقصد حسن، ولكن وسيلته سيئة، فيريد الخير ولكن بالكذب، قيل لابن أبي مريم: لماذا تكذب على الرسول ﷺ؟ قال: - الرسول عليه الصلاة والسلام - يقول: «**من كذب عليّ متعمداً**» فأجاب وقال: أنا أكذب له لا أكذب عليه، وقد وضع في فضل كل سورة حديثًا، حتى أتى بمئة وأربعة عشر حديثًا، كلها موضوعة في فضائل السور، فهذا مذموم وقصده أن يدفع الناس إلى قراءة القرآن وقد أخطأ، وضل سبيله، وكذب على رسول الله عليه الصلاة والسلام.

خامساً: الزندقة والعِدَاءُ للإسلام.

ومنها: أغراض أخرى قد تكون في نفس الكاذب يريد أن يحققها مثل: العِدَاء للإسلام.

أحد الزنادقة أتى هارون الرشيد ليقتله، فقال لهارون الرشيد: اقتلني أو لا تقتلني والله لقد وضعت على الأمة، وكذبت على أمة محمد أربعة آلاف حديث، قال هارون الرشيد: أقتلك وأتقرب بدمك إلى الله، وأربعة آلاف حديث سوف يقيض الله لها رجالاً يخرجونها ومنهم ابن المبارك، فذبحه هارون الرشيد، ثم نقحت أحاديث المصطفى ﷺ من قبل المحدثين.

ومنها: أن يكون أعطي الزندقة، مثل: أن يأتي بحديث يطعن في الإسلام والعياذ بالله! أو في الرسالة، ومن الأحاديث التي تخالف المعتقد والتي لم يأتِ بها الرسول ﷺ، ما قالوا: إن الرسول ﷺ، أحيا الله له أباه وأمه فكلمهما حتى أسلما ثم عادا ميتين في القبر، وهذا خطأ.

أو أن أبا طالب أسلم قبل أن يموت، وهذا يعارض الأصول الصحيحة التي جاءت في الكتاب والسنة.

تثبُّت الصحابة والتابعين في قبول الأحاديث.

وقبل أن أبدأ في سرد الأحاديث الضعيفة الواهية أو الموضوعة التي أحذر نفسي وإياكم من الاستدلال بها في المجالس، أو في الأندية، أو في المجامع العامة، أذكر فصلاً: وهو تثبت الصحابة والتابعين - رضوان الله عليهم - في قبول الحديث.

أبو موسى الأشعري يأتي بشاهد.

في الصحيحين عند البخاري ومسلم: أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه وأرضاه أتى إلى عمر بن الخطاب - و عمر خليفة - يريد أن يكلمه في بيته، فطرق على عمر الباب فلم يرد أحد، فاستأذن مرة ثانية، فلم يفتح له، فاستأذن ثالثة فلم يفتح له؛ فذهب أبو موسى، وفتح عمر الباب ونادى أبا موسى، قال: تعال، ما لك عدت؟ قال:

سمعت الرسول - عليه الصلاة والسلام - يقول: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع**»، قال عمر - رضي الله عنه -: والذي نفسي بيده لتأتينَّ بشاهد لك على هذا أو لأوجعنك ضربًا، وهو - رضي الله عنه - يعلم أنه صادق، ولكن يريد أن يتثبت من الرواية، ولا يكون الإنسان كلما تأتيه قضية يقول: قال رسول الله ﷺ، في الحديث وفي الأثر، وهذا خطر عظيم على طلبة العلم فكيف بالعامة؟!

فذهب أبو موسى إلى الأنصار، فاستشهدهم فقام معه أبو سعيد فشهد عند عمر أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - قال الحديث.

احتراز ابن مسعود

وكان ابن مسعود فيما صح عنه - وهذا يرويه جمع من أهل العلم كابن ماجه وغيره- إذا قام يوم الخميس يعظ الناس، يرتعد وينتفض ويرتعش خائفًا أن يوقع كلمة مكان كلمة، أو يخطئ في لفظة، حتى إذا انتهى قال: أو شبه هذا أو نحو هذا أو مثلما قال الرسول - عليه الصلاة والسلام -؛ حذرًا أن يزل في حرف لم يقله عليه الصلاة والسلام.

خشية الخطأ

ويقول الدارمي راويًا عن أنس: " لولا أن أخطئ على الرسول - عليه الصلاة السلام - لحدثتكم بأشياء سمعتها منه ".

حديث كالسحابة

وصح أن عروة بن الزبير - رضي الله عنه وأرضاه - قال: كان أبي إذا أراد أن يتبرد في الحر وضع ثيابه أي: نزع ثيابه، وكنت ألعب في آثار الجروح التي أصيب بها في المعارك.

ولا عَيْبَ فِيهم غَيْرَ أنَّ سَيُوفَهُم

بِهِنَّ فُلولٌ من قراعِ الكتائب

تخــيِّــرنَ مـن أزمــانِ يَومِ حَليْـمَــةٍ

إلى اليَـومِ قَـدْ جُـرِّبـنَ كُلَّ التَّـجـارِبِ

هذا الزبير بن العوام يأتي يوم القيامة والشهادات في آثار جسمه - رضي الله عنه وأرضاه - مما أصيب به في سبيل الله، يقول له ابنه: ما لك لا تتحدث إلا كالسحابة؟

فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**» فكانوا يحذرون أشد الحذر!!

العالِم الحقيقي

قال الإمامان أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه: «إن العالم إذا لم يعرف الصحيح والسقيم والناسخ والمنسوخ من الحديث لا يسمى عالماً». هذا ذكره صاحب معرفة علوم الحديث، لا يسمى عالماً من يجيء بالسقيم، حتى يقول الشاعر:

أوردها سَــعْــدٌ وسَــعْــدٌ مُــشْــتَــمِل

مــــا هَكَذا يا سَــعْـــدُ تُوردُ الإبلُ

هل يُستَشهَدُ بالأحاديث الضعيفة؟ ومتى.. وما شروط ذلك؟

يقول سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**وَلا تَقْفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ (الإسراء:٣٦)، ومعنى (لا تقفُ): قيل: لا تتبع، وقيل: لا تقف على ذلك، وقيل: لا تورده على الناس وأنت لم تتحقق منه، وقيل: لا تشيعه بين الناس، فإن بعض الناس يحدث بكل ما سمع.

وقد صح عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه قال:

«**كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع**»، أي: يكفي الإنسان إثماً وخطيئة أنه كلما سمع قصة ومقالة قالها ونشرها بين الناس.

وفي الصحيح عنه – عليه الصلاة والسلام – أنه قال: «**إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال، وحرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات**»، ومعنى قيل وقال: أي: كثرة الكلام، قال فلان ورد عليه فلان، وقالوا وقلنا، وهذا معناه: ضياع الوقت والعمر والدين.

يقول سبحانه: ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ (ق:١٨)، وهذا تهديد لمن يتكلم في غير مرضاة الله عز وجل.

والمقصود هنا من الحديث: أن أبين بعض الأحاديث التي يستدل بها بعض الخطباء وبعض المتحدثين، وهي منتشرة بين العوام فيُحَذَّر منها؛ لئلا تنتشر، وفي الأحاديث الصحيحة خير وغنى والحمد لله.

آراء الاستدلال بالحديث الضعيف

لأهل العلم آراء للاستدلال بالحديث الضعيف:

منهم من يرى الاستدلال بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال بثلاثة شروط:

الأول : ألا يعتقد أن الرسول ﷺ قاله.

الثاني: ألا يكون شديد الضعف.

الثالث: أن تؤيده قواعد الإسلام.

ورأى قوم من العلماء ألا يستدل بالحديث الضعيف لا في الأحكام ولا في الفضائل، وهذا هو الصحيح والراجح إن شاء الله.

كيف تعرف الحديث المكذوب؟

هناك وسائل في كيفية كشف الأحاديث المكذوبة:

الأمر الأول: السند: إذا كان في السند رَاوٍ كذاب عُدَّ الحديث واهياً ومنكراً وموضوعاً.

الأمر الثاني: أن ينبه أحد علماء الإسلام عليه، وهو عالم ثقة، مثل: أحمد أو ابن معين، أو ابن أبي حاتم، أو ابن المديني، أو سفيان، أو البخاري ونحوهم فيقول: هذا حديث كذب، لا يصح عنه عليه الصلاة والسلام.

الأمر الثالث: أن يعارض قواعد الدين، فيطعن في قواعد الدين الكلية وأصوله الثابتة، فهذا يرد.

الأمر الرابع: أن يكون ركيك الأسلوب، فيستحيل أن يتكلم ﷺ بمثل كلام العجم، أو مثل قول: (بطني توجعني)، أو غير ذلك من الألفاظ الركيكة، هذا كلام لا يقوله محمد ﷺ، محمد - عليه الصلاة والسلام - أفصح الناس، أوتي جوامع الكلم: «**إنما الأعمال بالنيات**» «**مطل الغني ظلم**» «**احفظ الله يحفظك**» «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»، وهذه الأحاديث الجميلة من كلامه عليه الصلاة والسلام.

أما حديث ثقيل المعاني فإنه لا يقوله - عليه الصلاة والسلام -، مثل: أن يعلم القلب أن الرسول ﷺ لا يقول ذلك، مثل حديث: إن جبريل نزل فأمرني بالهريسة، وقال: إنها تشد الظهر وتزيد في الجماع، فحديث الهريسة هذا لا يصح، وأحاديث أخرى باطلة.

والأحاديث الواهية تعرف في كتب، مثل:

اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للقارئ.

الفوائد المجموعة للشوكاني.

كتاب: الموضوعات لابن الجوزي.

كتاب: المقاصد الحسنة للسخاوي.

كتاب: تمييز الطيب من الخبيث لابن الديبع.

كتاب: كشف الخفاء للعجلوني. فهذه الكتب تبين لك الأحاديث الموضوعة.

أما كتب الأحاديث الصحيحة: البخاري ومسلم، ومثل ما يجمع بين الصحيحين، وصحيح ابن خزيمة في الراجح، وصحيح ابن حبان في الراجح، أما الحاكم فلا

يوثق بتصحيحه، ويعاد إلى الكتب المصححة الآن في هذا العصر، مما أجمع أهل العلم على تصحيحها، والله أعلم.

نصيحة

ونصيحتي للإخوة خطباء المساجد وطلبة العلم والمعلمين، إذا أرادوا أن يحضِّروا موضوعًا أن يراجعوا الأحاديث، وأن يخرجوها أو يسألوا طلبة العلم، ولا يقول: قال الرسول ﷺ، حتى يدري من أخرجه ومن رواه، وهل هو صحيح أو ضعيف أو باطل؟ حتى يكون على بينة؛ لئلا يفتري على الله.

والعجيب أن بعضهم يورد عن الرسول - عليه الصلاة والسلام - أحاديث لم يتأكد منها، ولم يلقِ لصحتها بالاً، وهذا خطر عظيم، نسأل الله العافية.

بعض الأحاديث الواهية المنتشرة بين الناس

أما الأحاديث التي أريد أن أذكرها ففيها ضعيف، وفيها موضوع، وفيها ما بينهما، وفيها ما ينجبر؛ لكنني سأذكر الضعيف والواهي؛ ليتنبه العبد المسلم عند سماعه الحديث؛ لأنها طالما تذكر في كتب التفسير والقصص وبعض المحاضرات.

- **حال حديث: «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد».**

- حديث: «**لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد**».

هذا الحديث ضعيف، أخرجه الدارقطني والحاكم والبيهقي وفيه سليمان بن داود اليمامي، قال ابن معين: ليس بشيء، وقال البخاري: منكر الحديث. وقال الذهبي: قال البخاري: من قلت فيه منكر الحديث فلا تحل رواية حديثه.

وهذا الحديث على الصحيح أنه من كلام علي بن أبي طالب، وهو موقوف على علي بن أبي طالب، لكن كأنك تفهم أن معنى ذلك ما دام أنه لا يصح هذا الحديث، فإنه يجوز للإنسان أن يصلي في بيته.. وهذا خطأ؛ بل جاءت أحاديث أن صلاة الجماعة واجبة وليست سنة، إذًا واجب عليك أن تصلي جماعة في المسجد مع الناس.

وقد صح عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه قال: «**لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم أخالف إلى أناس لا يشهدون الصلاة معنا فأحرق عليهم بيوتهم بالنار**» وقد صح عنه - عليه الصلاة والسلام - عند ابن ماجة وأحمد وصححه ابن تيمية وعبد الحق الإشبيلي أنه قال: «**من سمع النداء فلم يأتِ، فلا صلاة له إلا من عذر**».

● **حال حديث: (أدبني ربي فأحسن تأديبي).**

- حديث: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**».

هذا الحديث رواه ابن عساكر، وهو حديث باطل لا يصح، معناه صحيح وسنده باطل لا يصح، وابن تيمية يقول في «مجموع الرسائل الكبرى»: معناه صحيح ولكن لا يعرف له إسناد ثابت، وأيده السخاوي والسيوطي.

● **حال حديث: (الأقربون أولى بالمعروف).**

- حديث: «**الأقربون أولى بالمعروف**».

هذا لا يُعْرف حديثًا؛ وهو مشهور بين الناس، حتى يظن بعضهم أنها آية، وهي ليست بآية ولا توجد هذه الآية في القرآن من أوله إلى آخره، إذًا هذا الحديث لا أصل له بهذا اللفظ كما أشار إليه السخاوي في «المقاصد الحسنة».

● **حال حديث: (أحب الأسماء ما عُبِّد وحُمِّد).**

- حديث: «**أحب الأسماء ما عُبِّد وحُمِّد**».

هذا الحديث لا يصح عنه - عليه الصلاة والسلام - ذكره السيوطي، وهو موجود بيانه في كشف الخفاء.

● **حال حديث: (اعمل لدنياك كأنك تعيش)**

- حديث: «**اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً**».

هذا الحديث لا يصح ولا أصل له، وليس مرفوعًا إليه - عليه الصلاة والسلام - وأخرجه ابن قتيبة، وهو في «غريب الحديث»، وأخرجه البيهقي في سننه مرفوعًا، ولكنه ليس بصحيح.

● **حال حديث: (أحبوا العرب لثلاث).**

- حديث: «**أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي**».

هذا الحديث موضوع، أخرجه الحاكم في «المستدرك» والعقيلي في «الضعفاء» وفي سنده العلاء بن عمر، فلا يصح هذا الحديث.

● **حال حديث: (صوموا تصحوا).**

- وكذلك حديث: «**صوموا تصحوا**».

هذا الحديث سنده ضعيف، رواه الطبراني في «الأوسط» وأبو نعيم في «الطب النبوي» من حديث أبي هريرة بسند ضعيف.

● **حال حديث: (حسبي من سؤالي علمه بحالي).**

- قال إبراهيم عليه السلام: «**حسبي من سؤالي علمه بحالي**».

هذا لا أصل له، وقد ذكره ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة والموضوعة» قال ابن تيمية: هذا الحديث موضوع.

وذكره البغوي في تفسير سورة الأنبياء، وأشار إلى ضعفه، ومعنى الحديث باطل؛ لأنه يخالف القرآن والسُّنة.

وقصة الحديث: أن إبراهيم - عليه السلام - لما وضع في المنجنيق ليلقى في النار جاءه جبريل - عليه السلام - فقال: ألك إليَّ حاجة؟

قال: أما إليك فلا، وأما إلى الله فنعم، ثم قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي، وهذا يخالف القرآن والسنة، ويخالف أصول الشريعة، وليس بصحيح.

ومعنى الكلام: يقولون: إن إبراهيم - عليه السلام - يقول: حسبي من سؤالي علمه بحالي، أي: ما دام الله يعرف حالي فلا داعي أن أسأله، وهذا خطأ، لا يكفي أن يعرف الله حالك عن الدعاء، هو يعلم أنك فقير ومريض ومحتاج إليه، فلا يصح أن تقول: الله يعلم أني فقير فلا داعي أن أدعوه.

أو لو كنتَ مريضًا في المستشفى وقيل لك: ادعُ الله أن يشافيك، فتقول: لا، الله يعلم أني مريض.

نقول: هذا خطأ، وهو خلاف كلام أهل السنة، يقول سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر:٦٠).

وقال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (الأعراف:٥٥).

وقال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ * الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة:١٨٦) .

والله - جل وعلا - يذكر الأنبياء في القرآن فيقول: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء:٩٠).

إذًا الحديث معناه لا يصح؛ بل هو موضوع؛ لأن إبراهيم - عليه السلام - يقول: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم:٣٧).

وكل نبي دعا الله - عز وجل - فكيف يقال: إن علم الله يكفي عن السؤال، لا يكفي، ولو كفى لما كتب علينا الدعاء: "الدعاء هو العبادة" فأصل الدعاء مطلوب سواء وقعت الإجابة أم لم تقع؛ لأن الدعاء عبادة، فلا يكفي أن تقول: ما دام الله يعلم أني فقير، إذًا لا أدعوه.

لذلك فإن غلاة الصوفية يأخذون هذا المبدأ، فمنهم من يقول: أنا لا أدعو.

قلنا: لماذا؟

قال: أستحي أن أذكر مسألتي بين يدي ربي، كأن الله جاهل عن مسألتي..! سبحان الله! الرسول - عليه الصلاة والسلام - يدعو وإبراهيم ونوح وموسى وعيسى - عليهم السلام - وأنت لا تدعو!

وكان الصوفية هؤلاء يستشهدون ببيت لشاعر عربي وهو أمية بن أبي الصلت يقول لابن جدعان:

أَأَذْكُرُ حَاجَتِي أمْ قَدْ كَفَانِي

حَبَاؤكَ إنَّ شَيْمَتَكَ الحَبَاءُ

إذا أثْنَي عَلَيْكَ المرءُ يَوْمًا

كَفَاهُ من تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ

يقول هذا الشاعر لعظيم من عظماء الجاهلية: أنا لا أطلب منك سؤالاً؛ لأنك تعرف حالي، وهذا خطأ.

ومن غلاة الصوفية من يذكر الاسم مجردًا دون سؤال، يأتون في الليل ويقولون: يا كريم! يا كريم! يا كريم! يا كريم! يا كريم! يا كريم! ولا يسأل.

يقول أحدهم وهو جالس عند روضة المصطفى - عليه الصلاة والسلام - في المسجد النبوي بجانب القبر - صوفي من الغلاة، عنده مسبحة طولها ما يقارب مترين، فيقول: «يا لطيف! يا لطيف! يا لطيف! يا لطيف! يا لطيف! يا لطيف!» من صلاة العشاء إلى صلاة الفجر.

فيقول له أحد طلبة العلم: «أنت تدعو من العشاء إلى الفجر يا لطيف.. يا لطيف، ماذا تريد من اللطيف؟ قال أوصاني شيخي - شيخ الطريقة - أن أردد يا لطيف! يا لطيف! سبعة آلاف مرة.

● **حال حديث: (الصبر نصف الإيمان).**

- حديث: «**الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله**».

رواه أبو نعيم في (الحلية)، ومن باب الفائدة: أنبهكم على أن أحاديث الحلية أكثرها واهية، وحلية أبي نعيم مثل السراب، والخطيب البغدادي في تاريخه (تاريخ بغداد) يقول: وهو حديث منكر، وعلته محمد بن خالد المخزومي.

قال عنه ابن الجوزي: مجروح.

وقال الحافظ في (اللسان): هذا حديث منكر لا أصل له.

إذًا: حديث: «**الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله**» ليس بصحيح، ولفظه وسنده منكر، ولا يصح رفعه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام.

أما قوله: «**الصبر نصف الإيمان**». فلا أعرف في ذلك حديثًا لكن جاء «**الصوم نصف الصبر**» وهذا معناه صحيح.

● **حال حديث: (من خاف من الله خوَّف الله منه كل شيء).**

- حديث: «**من خاف من الله خوَّف الله منه كل شيء، ومن لم يخف من الله خوفه الله من كل شيء**».

هذا الحديث يذكر في كثير من الأمكنة والمناسبات، وهو ليس بصحيح.

روى هذا الحديث القضاعي، وذكره المنذري في «الترغيب» من رواية أبي الشيخ، ثم قال: ورفعه منكر، وضعفه العراقي وغيره، فيظهر لنا تضعيفه.

● **حال حديث: (المؤمن كيّس فطن حَذِرٌ)**

- حديث «**المؤمن كيّس فطن حذر**».

لا يصح بهذا اللفظ، وجاء: «**المؤمن كيس فطن**» أما زيادة (حذر) فلا تصح، بل هي موضوعه عند أهل العلم، رواه كذلك القضاعي عن سليمان بن عمرو النخعي عن أبان عن أنس بن مالك مرفوعًا. وهو موضوع؛ لأن النخعي هذا وضّاع كذاب، وأبان هو أبان بن أبي عياش وهو متروك متهم.

فكلمة «حَذِر» زيادة في الحديث تُضَعِّفه في هذا السياق، بل تجعله موضوعًا.

ومن الطرف - كما ذكرها ابن الجوزي وغيره - أن أحد الحمقى من المصحِّفين كان يقرأ على الناس في المسجد: فأراد أن يقرأ: المؤمن كيّس فطن، فقال: المؤمن كيّس قطن! وهذه يضعفونها كثيرًا.

ويذكر ابن الجوزي -أيضًا- عن أحد من الحمقى الذين لا يعرفون القراءة، يقول: كان عنده مصحف قديم، ويدرس الأطفال في المسجد، فقرأ قوله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ **فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ** ﴾ (الحديد:١٣)، فقال هو: فضرب بينهم بسنور له ناب، وهذا من جهله.

ومر ابن تيمية على أحد الجهلة وهو يقرأ: فخر عليهم السقف من تحتهم، بدلاً من "من فوقهم"، والسقف دائمًا لا يخر إلا من فوق، وما سمعنا أبدًا أن سقفًا خر من تحت، فقال ابن تيمية: لا قرآن ولا عقل، أي: ليس عندك قرآن ولا عندك عقل تعرف به أن السقف يكون من فوق دائماً.

يقول الله – عز وجل – يقول: ﴿**فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ**﴾ (النحل:٢٦)، والسقف لا يأتي من تحت، وخذها قاعدة: العرصة من تحت والسقف من فوق.

● **حال حديث: (الفاجر خب لئيم).**

– وكذلك حديث: «**والفاجر خب لئيم**».

والفاجر أي الخدّاع؛ ولذلك الآن المصطلحات العصرية تجعل من الفاجر ذكيّاً، ومن المؤمن غبيّاً.

يقولون: سياسي وداهية، وعنده أفكار دبلوماسية، ويستطيع أن يخدع الناس بسهولة، وهذا يعني أنه منافق، وكذاب، ومخادع، بينما يقول الله عز وجل: ﴿ **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ**﴾ (النساء:١٤٢).

ويقول سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ **وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** ﴾ (البقرة: ١٤).

وكثير من الفجرة يتمدح لإخوانه ويقول: لا عليكم من فلان أنا سأخدعه، وسوف أضحك عليه، وسوف ألعب على عقله، وسوف أجعله لا يدري أين شماله من يمينه..، وهو ما ضحك إلا على نفسه..!.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (البقرة:١٤-١٥).

● **حال حديث: (مفتاح الجنة لا إله إلا الله).**

- حديث «**مفتاح الجنة لا إله إلا الله**».

ذكره الحافظ ابن رجب الحنبلي وقال: أخرجه الإمام أحمد بسند منقطع.

وهو على كل حال ضعيف، وقد أخرجه في «الجامع الصغير» برواية الطبراني عن معقل بن يسار: «لكل شيء مفتاح ومفتاح السماوات قول: «لا إله إلا الله» وهو ضعيف، لكن يصح حديث: «**من قال: لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة**».

أما: «مفتاح الجنة لا إله إلا الله» فليس بصحيح؛ بل هو ضعيف.

● **حال حديث: (توسلوا بجاهي).**

- حديث «**توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم**».

هذا الحديث لا أصل له، نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في «القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة» فقال: لا أصل له.

وهذا طريق للمبتدعة، فيتوسلون بجاهه - عليه الصلاة والسلام - ويتوسلون بمشايخهم وبالأولياء في الأضرحة كـ (السيدة زينب)، و (أحمد البدوي)، و(الجيلاني).

وهؤلاء إذا قلت لهم: ما لكم؟ هذا شرك.

قالوا: لا.. نحن نريد البركة فقط، ونحن لا نعبد إلا الله، وهؤلاء حالهم مثل المشركين، قالوا: ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** ﴾(الزمر:٣)، قال لهم ﷺ: «**لا تعبدوا الأصنام**». قالوا: نحن لا نعبد الأصنام ولا نسجد لها ولكن نتقرب بها إلى الله.

وهذا مثل من يطوف بضريح الحسين، والسيدة زينب، وأحمد البدوي، والجيلاني وأمثالهم في العالم الإسلامي، هؤلاء تمامًا مثل من قال:

﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** ﴾ (الزمر:٣).

﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا ﴾ (الفرقان:٣) .

وهنا كلمة مفيدة جداً للشيخ العظيم شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة يقول: «والأحاديث الواردة في التوسل به ﷺ تنقسم إلى قسمين: صحيح وضعيف، أما الصحيح فلا دليل فيه ألبتة على أنه توسل بذات أو بجاه النبي ﷺ، مثل توسلهم به ﷺ، في الاستسقاء، وتوسل الأعمى به ﷺ؛ فإنه توسل بدعائه لا بجاهه ولا بذاته ﷺ ولما كان التوسل بدعائه ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى غير ممكن، كان التوسل به ﷺ بعد وفاته غير ممكن وغير جائز» انتهى..

وأحسن من كتب في هذا الموضوع هو شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: (التوسل والوسيلة)، فلينتبه لذلك.

لك أن تقول: اللهم بحبي لك اغفر لي، اللهم بمتابعتي لرسولك - عليه الصلاة والسلام - ارحمني، اللهم ببري والديَّ اغفر لي، وهذا نص عليه ﷺ في الحديث الثابت: «**أن ثلاثة انطبقت عليهم الصخرة في الغار، فقام أحدهم يتوسل ببره والديه، والثاني أن بنت عمه دعاها فلما تمكن منها تركها خوفاً من الله، والثالث أنه كان له أُجراء فأعطاهم حقهم إلا أجيراً فرَّ ثم أعطاه حقه، فأزاح الله عنهم الصخرة حتى خرجوا**».

فهؤلاء توسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة فهذا يصح، أما من يذهب إلى قبر صالح ويقول: يا أيها الرجل - وهو في قبره - اغفر لي، أو ادعُ الله أن يغفر لي أو افعل بي كذا، كما فعل البرعي وهو شاعر يمني يجيد الشعر، ولكن أساء في العقيدة.

فقد أتى هذا الشاعر إلى المسجد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام، فوقف عند قبر الرسول عليه الصلاة والسلام وقال:

يَا رسُولَ اللهِ! يا من ذِكْرُه

في نَهَارِ الحَشْرِ رَمْزاً ومَقَامَا

فَـأَقِلْنِي عَـثْـرتِي يا سَـيِّـدِي في

اكْـتِـسَـاب الذَّنْب سَـبْـعِينَ عَـامًـا

وهذا شرك وخطأ وابتداع.

ويقول البوصيري:

يا أكْـرمَ الرُّسل مَـا لِي مَنْ أَلُوذُ بِه

سِـوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الحَـادِثِ العَـمَمِ

إنْ لَمْ يَكُنْ في مَـعَـادي آخِـذاً بِيَـدِي

فَـضْـلاً وإلا فَـقُل يَا زلَّةَ القَـدَمِ

وهذا شرك وابتداع.

ويقول أحدهم، وهو ابن عربي الطائي فيما يُنْسب إليه - نسأل الله أن يعافينا مما ابتلاه به - وهو واقف عند قبر الرسول ﷺ: يقول في بيتين جميلين لكنه أساء فيهما:

في حَالَةِ البُعْدِ نَفْسِي كُنْتُ أُرْسِلُهَا

تقَـبِّلُ الأرضَ عَنْكُم وهَي نَائِبَـتِي

وهذِه دَولةُ الأشْبَـاحِ قَـدْ حَـضَـرتْ

فَامْـدُدَ يَمِينكَ كَي تَحظَى بها شَفَتِي

قال الخرافيون: فانشق القبر، ومد الرسول ﷺ يده وقبلها.. وهذا كذب.. ﴿ **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا** ﴾ (الكهف:٥)، وهذه القصة موجودة يذكرها مثل النبهاني وأمثاله من الخرافيين.

- **حال حديث: (نية المؤمن خير من عمله).**

- حديث «**نية المؤمن خير من عمله**».

من الأحاديث الضعيفة التي لا يستند إليها.

وقد رواه العسكري في «الأمثال» والبيهقي في «الشُّعب» عن أنس مرفوعًا.

وقال ابن دحية: لا يصح، وقال البيهقي: إسناده ضعيف.

ولو أن ابن تيمية في «مختصر الفتاوى» قال: «يروى في الحديث» وكلمة يروى في الحديث تشعر بالتضعيف. وقد يكون معناه صحيحًا؛ لكن من حيث السند لا يصح، وإلا فأحيانًا تكون نية المؤمن خير من عمله إذا نوى الخير، ثم لم يدرك هذا الخير، مثلاً: نوى أن يصوم وما وفق للصيام، خير من أن يصوم ويرائي بصيامه الناس..

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً ﴾ (الفرقان:٢٣).

● **حال حديث: (من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مئة شهيد).**

- حديث «**من تمسك بسنتي عند فساد أمتي؛ فله أجر مائة شهيد**».

هذا الحديث ضعيف جداً، ولا يُستَشهد به.

رواه ابن عدي في «الكامل»، وابن بشران في «الأماني»، وعلته الحسن بن قتيبة، قال الذهبي في «الميزان»: هالك، أي: هالك منهار.

لا إله إلا الله! هذه الأمة - الأمة المحمدية - مَحَّصت الرجال مثل علم الماس، فبينت الصحيح منهم والضعيف، فحفظت الشريعة، ومعجزتنا عند الغربيين والمستشرقين كما قال جولد زيهر: «ليست معجزة المسلمين في الفقه، أو التفسير، أو أصول الفقه؛ فهذه علوم قد يشترك فيها الناس، لكن العجيب في الحديث النبوي: قالوا: فلان ثقة، وفلان ثبت، وفلان ضعيف، وفلان هالك، وفلان كذاب، وفلان متروك، وفلان لين، وفلان سيئ الحفظ، كل محدثي الأمة وضعوا عليه اسمًا معروفًا». ولذلك يخرجون الأحاديث المكذوبة إخراجًا، ويعرفونها تمحيصًا، ويدركونها إدراكًا عظيمًا، لا يوضع حديث إلا وفي اليوم الثاني تنبيه على هذا الحديث». قال تعالى: **﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾** (الحجر:٩).

وقال الدارقطني في الحسن بن قتيبة: هذا متروك الحديث، وقال أبو حاتم: ضعيف، وقال الأزدي: واهي الحديث، إذًا هذا الحديث لا يصح.

- **حال حديث: (المتمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر شهيد).**

- حديث «**المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد**».

هذا الحديث لا يصح، وهو ضعيف أخرجه أبو نعيم في «الحلية» من طريق الطبراني.

وأنا أنصح إخواني ألا يعتمدوا على كتاب «الحلية» لأبي نعيم دائمًا؛ إنما عليهم أن يعتمدوا على صحيح البخاري وصحيح مسلم.

وأنا أرى يا أخي، أن يكون لك مكتبة ولو مَصَغَّرة، واصنع قائمة صغيرة بالكتب التي تكون في مكتبتك مع الأشرطة الإسلامية، مثل: القرآن الكريم، وتفسير ابن كثير أو أحد مختصراته، ورياض الصالحين، وبلوغ المرام، وجامع العلوم والحكم، وكتاب الاستقامة، ومنهاج المسلم، وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب وشرحه، وفتح المجيد، وهذا إن شاء الله خير كثير.

كما أرى أن تقرأ في هذه الكتب لكي تنفعك وتقربك من الله:

إذًا هذا الحديث: «المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد» لا يصح عنه - عليه الصلاة والسلام - أخرجه أبو نعيم في «الحلية» والطبراني، وقال الهيثمي في المجمع - مجمع الزوائد - رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن صالح العذري ولم أجد له ترجمة، وبقية رجاله ثقات.

- **حال حديث: (اختلاف أمتي رحمة).**

- حديث «**اختلاف أمتي رحمة**».

هذا الحديث ضعيف، يقول ابن تيمية في مختصر الفتاوى: "والإجماع حجة قاطعة، واختلاف الأمة رحمة واسعة".

لكن ليس الاختلاف مقصودًا، والله لا يحب الاختلاف، وقد ذمه الله ورسوله فقال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (آل عمران: ١٠٥) .

فاعلموا أن هذا الحديث ليس بصحيح، ولا بثابت عنه عليه الصلاة والسلام.

وهذا الحديث: «**اختلاف أمتي رحمة**» ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية تعليقًا، وأسنده في المدخل من حديث ابن عباس: «**اختلاف أصحابي لكم رحمة**» وإسناده ضعيف كما قال العراقي في «تخريج الإحياء».

لكن أهل السنة يختلفون في الفرعيات ولا يختلفون في الأصول، واختلافهم في الفرعيات رحمة للأمة ليوسع الله على العباد، لكن هذا اللفظ ليس بثابت عنه ﷺ، فلتعلموا ذلك ولتكونوا على حيطة.

- **حال حديث: (أصحابي كالنجوم).**

- حديث «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**».

هذا الحديث لا يصح، وهو موضوع.

رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» وابن حزم في «الأحكام» وهذا إسناد لا تقوم به حجة؛ لأن الحارث بن غصين مجهول.

وقال ابن حزم: هذه رواية ساقطة، أبو سفيان ضعيف، والحارث بن غصين هذا هو أبو وهب الثقفي وسلام بن سلمان يروي الأحاديث الموضوعة؛ وهذا منها بلا شك فليعلم.

وأظن ممن ذكر هذا الحديث صاحب الروض المربع وهو لا يتحرى - رحمه الله - في الأحاديث؛ يروي أحاديث بعضها موضوعة وبعضها ضعيفة جداًّ. إذًا هذا الحديث لا يصح.

- **حال حديث: (خذوا شطر دينكم عن الحميراء).**

- حديث «**خذوا شطر دينكم عن الحميراء، أو عن هذه الحميراء**».

وهذا الحديث لا أصل له.

ويقصد بالحميراء: عائشة رضي الله عنها؛ وهي من أوثق نساء الأمة، بل هي عالمة الأمة، وكان الصحابة يعودون إليها في كثير من الأحكام.

وقد صح استخدام لفظ الحميراء في ثلاثة أحاديث عنه عليه الصلاة والسلام.

يقول ابن القيم في زاد المعاد: لم يأت في حديث صحيح ذكر الحميراء. فرد صاحب الحاشية الأرناؤوط وقال: بل جاء في ثلاثة أحاديث صحيحة، وأتى بها وبأسانيدها وقد صدق.

أما هذا اللفظ: «**خذوا شطر دينكم عن الحميراء أو عن هذه الحميراء**» فليس بصحيح.

قال ابن حجر: لا أعرف له إسنادًا، وابن حجر إذا قال: لا أعرف له إسنادًا فحسبك به:

خَذْ ما رأيتَ ودَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ

في طَلْعَةِ البَدْرِ ما يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ

ويقول: ولا رأيته في شيء من كتب الحديث إلا في «النهاية» لابن الأثير، ولم يذكر من خرجه.

وذكر الحافظ عماد الدين ابن كثير أنه سأل المزي والذهبي عنه فلم يعرفاه، وإذا لم يعرف الحديث المزي ولا الذهبي فمن يعرفه؟!!

- **حال حديث: (الخيرُ فيَّ وفي أمتي).**

- حديث «**الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم القيامة**».

الحديث معناه صحيح، ولكن لا أصل له، فلا تَسْتشهد به، ولا تقله، مع أن معناه صحيح، ولا يعني أنه إذا كان معنى الحديث صحيحًا فإنه وارد.. لا، وبعض المفكرين العصريين يقولون هذا، وقد نشرته جريدة الشرق الأوسط في عدد لها، ونشرت هذه المقالة في ملحق لها عن أحد المفكرين الإسلاميين يقول: إذا كان معنى الحديث

صحيحًا يكفي، وهذا خطأ فاحش، بل لا بد من صحة سنده ومتنه، فحديث: «**الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم القيامة**» لا أصل له.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: لا أعرفه، وقال ابن حجر الهيثمي: لم يرد بهذا اللفظ.

وذكره السوقي في «ذيل الأحاديث الضعيفة».

ويغني عنه حديث البخاري ومسلم: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**».

- **حال حديث: (ما فضلكم أبو بكر).**

- حديث «**ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره**».

هذا الحديث أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» من قول بكر بن عبد الله المزني، ولا أصل له مرفوعًا، قاله العراقي في «تخريج الإحياء» وأقره السخاوي في «المقاصد الحسنة».

هذا الحديث مشهور بين الناس: «**ما سبقكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولا صدقة ولكن بإيمان وقر في صدره**» لكنه ليس من كلامه عليه الصلاة والسلام.

- **حال حديث: (من توضأ ومسح عنقه).**

- حديث «**من توضأ ومسح عنقه لم يغل بالأغلال يوم القيامة**».

هذا الحديث لا يصح لا معنىً ولا سندًا، ولم يرد فيما أعلم في مسح العنق حديث صحيح.

فأنت إذا توضأت لا تمسح عنقك، ولا تستدل بهذا الحديث، فهو حديث موضوع، رواه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» ورُوي عن الدارقطني وقال: منكر الحديث.

وقال الحاكم: ساقط؛ وضعفه العراقي في «تخريج الإحياء».

● **حال حديث: (صلاة بسواك أفضل).**

- حديث «**صلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بغير سواك**».

هذا الحديث في مسند الإمام أحمد لكنه ضعيف.

وقد رواه أحمد وابن خزيمة والحاكم في صحيحيهما، والبزار في مسنده، وقال البيهقي: إسناده غير قوي ؛ وذلك لأن مداره على محمد بن إسحاق عن الزهري.

ويغني عنه حديث: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة**» أو: «**عند كل صلاة**» أو: «**عند كل وضوء**».

أما حديث: «**صلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بغير سواك**» فهو حديث ليس بصحيح؛ بل هو ضعيف، فليتنبه لذلك.

● **حال حديث: (الصلاة عماد الدين).**

- حديث «**الصلاة عماد الدين، فمن تركها فقد هدم الدين**».

هذا الحديث ليس بصحيح.

ولفظ «**الصلاة عماد الدين**» مشهور، ويذكرونه كثيرًا؛ يقولون: قال الرسول - عليه الصلاة والسلام -: «**الصلاة عماد الدين**» وهو ليس بثابت، بل هو واهٍ، ولم يقله عليه الصلاة والسلام.

وقد رواه البيهقي في «الشعب» بسند ضعيف من حديث عمر، قال الحاكم: عكرمة لم يسمع من عمر، ولم يقف عليه ابن الصلاح فقال في «مشكل الوسيط»: «إنه غير معروف»، كذلك في «الإحياء»، لذلك فهذا الحديث: «**الصلاة عماد الدين، فمن تركها فقد هدم الدين**» لا يصح عنه ﷺ.

● **حال حديث: (كان رسول الله ﷺ يحدثنا).**

- حديث «**كان رسول الله ﷺ يحدثنا، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه**».

هذا الحديث لم يصح عنه ﷺ، بل هو من كلام عائشة، - رضي الله عنها -.

ولكن مع ذلك فهو ضعيف، أخرجه الأزدي في «الضعفاء» من حديث سويد ابن غفلة مرسلاً، كذا في «تخريج الإحياء»، وهو ضعيف لا يصح.

- **حال حديث: (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر).**

- حديث «**من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر؛ لم يزدد من الله إلا بعداً**».

هذا الحديث ضعيف سندًا ومعنىً.

ومعناه: أن الإنسان إذا كان يصلي ويرتكب الفحشاء، مثل أن يصلي ويزني، أو يصلي ويشرب الخمر، أو يصلي ويسرق، أو يصلي ويكذب، فإن الصلاة تزيده بعدًا؛ لأنه يرتكب الفاحشة ويصلي، إذًا فليترك الصلاة، ويقصد بذلك: لو أنه يزني ويترك الصلاة أحسن ؛ لأنه لو صلى وزنى زادته الصلاة بعدًا من الله..!

وهذا خطأ سندًا ومتنًا ومعنىً؛ لأن الصلاة لا تزيد العبد إلا قربًا من الله؛ حتى لو كان يرتكب الفواحش فإنه سوف تمر به فترة إذا داوم على الصلاة بخشوع وخضوع وصدق وإنابة وإخلاص فإنها سوف تدفعه إلى تقوى الله، والخشية منه، وترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت:٤٥) .

وهنا قضيتان من قضايا الساعة عندنا نحن المسلمين، وهما قضيتان مطروحتان:

القضية الأولى: المخدرات، والقضية الثانية: البث المباشر.

أما المخدرات الآن فقد أحدثت ضجة إعلامية في العالم، فروسيا تحارب المخدرات، وأمريكا كذلك، بل كل دول العالم كافرها ومؤمنها، يحاربون المخدرات، ولا نعلم شعبًا في الأرض يرضى بالمخدرات، لكن يحاربونها بالحديد والرصاص، ونحن نحاربها بالإيمان والإخلاص، يحاربونها بالتنديد والتهديد، ونحاربها نحن بكلمة التوحيد.

فنحن متى ننجح في منع الناس من المخدرات؟..

إذا أتينا بالشباب إلى المسجد، وإلى القرآن.

ولكن إذا كان الشاب يسمع الأغنية، ويطالع الصورة الخليعة، ويسهر مع الفيلم، والسهرة، والبلوت، هذا وشيك وقريب أن يقع في المخدرات.

إذا نجحت بإدخال الشاب إلى المسجد، وإجلاسه في مجالس الحديث والدروس والمحاضرات، إذا نجحت في أن تُهدي له كتيبًا أو شريطًا فقد قدته إلى الله، وقد جعلت بينه وبين المخدرات حائلاً.

نحن لا نستطيع أن نسيطر على الفواحش والمنكرات إلا بالصلاة، وبالإيمان، والقرآن، وذكر الله، وخشيته. فهذا علاجنا.

البث المباشر أصبح الآن أخطبوطًا في العالم، وبخاصة في العالم المسلم، أما العالم الغربي فهو الذي أنتجه، والذي وجاء عن المحققين، ومن أهل الصحافة والمراقبين أن هذا البث المباشر سوف لا يجدي فيه التشويش، وسيصبح مثل الراديو، ينقل المحطات والقنوات مباشرة، ولا يُستطاع أن يشوش عليه.

لا تُحَدِّثني عن البَّثِ المباشر
والعَرْب ساتِ وأقمَارِ المقَامِر
أنا بَثِّي دعَوة قُدْسِيَّة
تُطفِئ الشَّمسَ وتُخْزِي كُلَّ كَافِر
والمذِيْعُونَ عَليٌّ والبَرَاء
وأبو بكرٍ وعَمارُ بن يَاسِر

فأكبر ما يشوش على هذا البث الإيمان، وعندنا أناس من أبنائنا من السعودية، ومن مصر، والكويت، والإمارات، والسودان، واليمن، والعراق يدرسون في أمريكا، لكنهم يعيشون مثل حياة الصحابة، مؤمنون كإيمان أبناء الصحابة وهم هناك..!؛

عندهم مئات القنوات، عندهم قناة في الشارع وفي المكتبة وفي الفندق وفي الطريق وفي المقهى، ولكنهم بإيمانهم انتصروا عليها، عندهم زوجاتهم وأطفالهم ويعيشون كحياة الصحابة؛ وعندهم قيام ليل وصيام الأيام البيض، ويقرؤون القرآن وهم في أمريكا..!

وعندنا أناس قد يسكنون بجانب الحرم لكنهم فجرة بل من أكبر الفجار..!

ذاك في «أريزونا» وهو مؤمن، وهذا في مكة وهو فاجر، فلا يجدي المكان ولا الزمان، ولا يجدي إلا الإيمان، بأن نأتي بهذا الإيمان ونغرسه في قلوب الناس حتى ننتصر على هذه التخطيطات التي يخطط لها الكافر شرقيه وغربيه.

وقد ذكرت هذا بمناسبة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر؛ لأن الناس إذا سمعوا مثل هذا الحديث، قالوا: ما دام أنها لا تزيدنا من الله إلا بعدًا؛ إذن نرتكب الفواحش ونترك الصلاة معها، ثم نتوب فيما بعد ونقضيها مرة واحدة..! وهذا خطأ كبير في الفهم نسأل الله العافية والسلامة.

- **حال حديث:** (**رأى رسول الله ﷺ رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة**).

- حديث «**رأى رسول الله ﷺ رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة، فقال: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه**».

هذا الحديث لا يصح، بل هو حديث موضوع.

وقد عزاه السيوطي في «الجامع الصغير» إلى الحكيم الترمذي في النوادر.

وقال العراقي في شرح الترمذي: فيه سليمان بن عمر وهو متفق على ضعفه.

وقال ابن عدي: إن سليمان يضع الحديث. هذا من بركة سليمان..! سليمان بن عمر من بركته هذا الحديث أن وضعه للناس!

ويقولون: إنه من كلام سعيد بن المسيب رحمه الله.

لذلك حديث: «**رأى رسول الله ﷺ رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة، فقال: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه**» ليس من كلامه عليه الصلاة والسلام.

● **حال حديث: (إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد)**

- حديث «**إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالإيمان فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾** (التوبة:١٨)».

هذا الحديث رواه الترمذي، وابن حبان، والحاكم وفي سنده دراج أبي السمح وهو ضعيف في حديثه عن أبي الهيثم.

وقال الذهبي: دراج كثير المناكير. فالحديث ضعيف.

● **حال حديث: (اطلبوا العلم ولو في الصين).**

- حديث «**اطلبوا العلم ولو في الصين**».

هذا الحديث لا يصح عنه - عليه الصلاة والسلام - وهو باطل، موضوع وكذب، رواه ابن عدي وابن عبد البر في جامع «بيان العلم وفضله» وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» وعلته أبو عاتكة طريف بن سلمان، قال عنه البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة.

● **حال حديث: (من صلى بعد المغرب ست ركعات).**

- حديث «**من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء؛ عدلن له بعبادة اثنتي عشرة سنة**».

هذا الحديث ضعيف جداً، أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب، وفيه عمر ابن أبي خثعم قال عنه البخاري: منكر الحديث، وتعرف هذه الصلاة بصلاة الأوابين، التي لم يرد في فضلها حديث صحيح.

لذلك حديث: «**من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء؛ عدلن له بعبادة اثنتي عشرة سنة**» لم يصح عنه ﷺ.

● **حال حديث: (من عمل بما يعلم).**

- حديث «**من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم**».

هذا الحديث لا يصح، وهو موضوع، وكذب، أخرجه أبو نعيم من طريق أحمد بن حنبل عن يزيد بن هارون عن حميد الطويل عن أنس مرفوعًا، وهذا لا يصح؛ لأن فيه وهماً عن الرسول - عليه الصلاة والسلام - وبعض التابعين يجعله عن عيسى عليه السلام.

● **حال حديث: (كلمة من الحكمة).**

- حديث «**كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعلمها ويعمل بها خير من عبادة سنة**» هذا الحديث ضعيف، أخرجه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» من رواية زيد بن أسلم مرسلاً، ونحوه في مسند «الفردوس» من حديث أبي هريرة قال العراقي في «تخريج الإحياء»: *سنده ضعيف*.

● **حال حديث: (صنفان من أمتي إذا صلحا).**

- حديث «**صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس: الأمراء والعلماء**».

هذا الحديث لا يصح؛ بل هو موضوع وكذب، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» وفي سند هذا الحديث محمد بن زياد اليشكري قال عنه أحمد: كذاب أعور يضع الحديث، وقال ابن معين والدارقطني: كذاب.

● **حال حديث: (إذا أتى عليَّ يوم).**

- حديث «**إذا أتى عليَّ يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله تعالى؛ فلا بورك لي في طلوع شمس ذاك اليوم**».

هذا الحديث لا يصح عنه ﷺ، وهو موضوع، فليتنبه له، وهو موجود في بعض المذكرات والمدارس، فليتنبه له وليشطب؛ لأنه كذب، وليس من كلامه - عليه الصلاة والسلام - أخرجه ابن عدي في «الكامل» وأبو نعيم في «الحلية» من طرق كثيرة كلها باطلة.

● **حال حديث: (من حمل من أمتي أربعين حديثًا)**

- حديث «**من حمل من أمتي أربعين حديثًا لقي الله عز وجل يوم القيامة فقيهًا عالمًا**».

هذا الحديث لا يصح عنه ﷺ.

أخرجه ابن عبد البر، وذكره العراقي في «الإحياء» وهو حديث باطل لا يصح، وبعض أهل العلم يجمعون له طرقًا، ويقولون: بمجموع طرقه يستشهد به، لكن يظهر أنه واهن شديد الوهن، ولا يستشهد به ولا يستدل به.

حمل هذا الحديث بعض الناس أن يضعوا أربعين حديثًا في الفنون مثل: الأربعين النووية، والأربعين في الجهاد، والأربعين في العلم، والأربعين في الزهد؛ بسبب هذا الحديث.

● **حال حديث: (من أخلص لله أربعين يومًا).**

- حديث «**من أخلص لله أربعين يومًا ظهرت ينابيع الحكمة على لسانه**».

هذا الحديث ضعيف، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» ثم قال: لا يصح، فيه يزيد بن أبي يزيد عبد الرحمن الواسطي كثير الخطأ، وحجاج مجروح، ومحمد بن إسماعيل مجهول، ولا يصح سماع مكحول لأبي أيوب.

● **حال حديث: (إنكم في زمان).**

- حديث «**إنكم في زمان من ترك منكم عُشْر ما أمر به هلك، ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا**».

هذا الحديث منكر، رواه الترمذي وأبو نعيم في «الحلية»، ولا يصح سنده.

● **حال حديث: (فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة).**

- حديث «**فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة**».

هذا الحديث موضوع، ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات».

● **حال حديث: (النظر في وجه العالم عبادة).**

- حديث «**النظر في وجه العالم عبادة**».

هذا حديث لا يصح، وهذا الحديث ذكره الديلمي بلا سند عن أنس مرفوعًا، قال السخاوي في «المقاصد الحسنة»: لا يصح.

ولو نظر فاجر في وجه عالم أو في وجه الرسول ﷺ مئة سنة ما نفعه ذلك.

كان عبد الله بن أبي ينظر في وجه النبي ﷺ، ومع ذلك أدخله الله النار، وكذلك أبو جهل نظر في وجهه - عليه الصلاة والسلام - ومع ذلك هو من أهل النار فهذا لا يصح سندًا ولا متنًا.

● **حال حديث: (النظر في الكعبة عبادة).**

- حديث «**النظر في الكعبة عبادة**».

هذا الحديث ضعيف.

● **حال حديث: (ذاكر الله في الغافلين).**

- حديث «**ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارين**».

هذا الحديث ضعيف جداًّ، رواه الطبراني وعنه أبو نعيم، وفيه الواقدي ولا يصح حديثه.

● **حال حديث: (الدعاء مخ العبادة).**

- حديث «**الدعاء مخ العبادة**».

هذا الحديث لا يصح وهو ضعيف، أخرجه الترمذي من حديث أنس وضعفه بقوله: غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، وقد صح عنه - عليه الصلاة والسلام - حديث: «**الدعاء هو العبادة**» عند الحاكم وغيره.

● **حال حديث: (أكثروا ذكر الله).**

- حديث «**أكثروا ذكر الله، حتى يقولوا: مجنون**».

هذا الحديث ضعيف، أخرجه الحاكم وأحمد، وهو ضعيف بأسانيده، وهذا الحديث لا يصح عنه ﷺ فليعلم هذا.

- **حال حديث: (ما خاب من استخار).**

- حديث «**ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد**».

هذا الحديث موضوع، رواه الطبراني في «الصغير» عن عبد القدوس بن عبدالسلام بن عبد القدوس إلى الحسن مرفوعًا، وعبد القدوس الجد كذاب وابنه اتهم بالوضع، وكذلك ابنه، فهم سلسلة كذابين، الأب والولد والجد كلهم كذابون، ورث أبوه الكذب عن جده بصك شرعي، ثم ورث ابنه الكذب عن أبيه، فهو سند مظلم فلان عن فلان عن فلان كلهم كذابون؛ فلا يصح هذا الحديث.

- **حال حديث: (أوحى الله إلى الدنيا).**

- حديث: «**أوحى الله إلى الدنيا أن اخدمي من خدمني، وأتعبي من خدمك**».

هذا الحديث موضوع أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» والحاكم في معرفة علوم الحديث، ولا يصح مرفوعًا أبدًا.

- **حال حديث: (رجعنا من الجهاد الأصغر).**

- كذلك حديث: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**».

هذا الحديث ليس بصحيح لا معنىً ولا سندًا، والجهاد الأكبر هو جهاد الكفار؛ لأن من يجاهد الكفار في الجبهة يجاهد نفسه ويجاهد الكفار، فكيف يقول - عليه الصلاة والسلام -: «رجعنا من الجهاد الأصغر» هذا لا يصح؛ لأن من كان في الجبهة يجاهد نفسه مثل من هو مقيم، ويزيد على جهاد نفسه مجاهدة الكفار، إذًا هذا لا أصل له.

قال ابن تيمية: لا أصل له، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله وجهاده، ثم يقول: وجدت أن البيهقي أخرجه في «الزهد» من حديث جابر وقال: هذا إسناد فيه ضعف ولا يصح، بل الجهاد الأكبر جهاد الكفار.

● **حال حديث (يا عم! والله لو وضعوا الشمس).**

- حديث: «**يا عم! والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يظهره الله أو أهلك فيه**».

هذا الحديث مشهور وموجود في السير مثل ابن إسحاق وغيره أن الرسول ﷺ نازله الكفار، وقال: «**يا عم! والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يظهره الله أو أهلك فيه**» وهذا لا يصح، وقد ذكره بعض الشعراء في قوله:

صوت من الغور أم نور من الغار
أم ومضة الفكر أم تاريخ أسرار
يا عيد عمري ويا فجري ويا أملي
ويا محبة أعمارٍ وأقطار
تطوي الدياجير مثل الفجر في ألق
تروي الفيافي كمثل السلسل الجاري
الشمس والبدر في كفيك لو نزلت
ما أطفأت فيك ضوء النور والنار

لكن هذا اللفظ لا يصح، بل هو ضعيف الإسناد، أخرجه ابن إسحاق من طريق ابن جرير، وكذلك أخرجه ابن جرير عن ابن إسحاق، وهو لا يصح لعلل كثيرة في سنده.

● **حال حديث: (كما تكونوا يولَّ عليكم).**

- حديث: «**كما تكونوا يولَّ عليكم**».

هذا الحديث ضعيف الإسناد، ولو أن في معناه صحة لقوله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿ **وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ (الأنعام:١٢٩)، فالله يولي على الناس مثل أعمالهم؛ إن كانوا عدولاً وأخيارًا ولَّى عليهم عدولاً وأخيارًا، وإن كانوا ظلمة وفجرة ولَّى عليهم ظلمة وفجرة.

يُذْكر في التاريخ: أن عبد الملك بن مروان تولى الحكم، وكان هذا الرجل يحب الإقدام والشهرة، فكان الناس يحبون الشهرة، وتولى الوليد بن عبدالملك بعده فكان يحب العمار والتوسعة، فكان الناس يحبون العمار، وتولى سليمان بن عبد الملك فكان يحب الأكل كثيرًا وكان مغرمًا بالأكل، وكان أكثر الناس أكلاً - رحمه الله - فكان الناس يحبون الأكل، ولا يتحدثون في المجالس - دائمًا - إلا بالأكل، وتولى بعده عمر ابن عبدالعزيز فكان رجلاً صالحًا عابدًا خاشعًا زاهدًا وليًا فأصبح الناس يزهدون ويتوجهون إلى الآخرة.

﴿ **وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾(الأنعام:١٢٩) .

أما لفظ هذا الحديث فلا يصح: «كيفما تكونوا يولى عليكم» أخرجه الديلمي عن أبي بكرة مرفوعًا، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» في إسناده إلى مبارك مجاهيل.

- **حال حديث: (كل إناء بما فيه ينضح).**

- حديث: «**كل إناء بما فيه ينضح**».

هذا الحديث لا يصح عنه - عليه الصلاة والسلام - بل هو مثلٌ ونصف بيت شعر، كما يقال: المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء، هذا لا يصح، بل من كلام الحارث بن كندة الطبيب العربي المشهور، وقد كان عنده فلسفة، ومن أذكى الأطباء الذين يكتشفون العقاقير، لكن - سبحان الله - أخفق في عالم الروح، يقول: أنا أستطيع أن أعارض القرآن، وأستطيع أن آتي بكلام مثل القرآن؛ قال له الناس: اتق الله يا حارث! لأنه ذكي، فغره ذكاؤه، قال: لا، أنا آتي بمثل القرآن؛ فدخل في غرفة، وأغلق عليه الباب، وفتح المصحف لينظر وليعارض المصحف بكلام مثل المصحف، ففتح على سورة المائدة وأخذ القلم وأخذ الورقة يكتب مثل القرآن، فقرأ أول سورة المائدة:

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ** ﴾ (المائدة:١) فبقي مذهولاً والقلم في يده وقال: سبحان الله..! نادى ثم أمر ثم نهى ثم استثنى ثم بين ثم

حكم ثم ختم في آية..! هذا لا يستطاع له، فلما أراد أن يرد يده وجدها قد شلت؛ وأصبح يأكل بيساره:

شلت يمينك إن قـــتلت لمسلمـــاً

حلت عليك عــقــوبة المتــعــمــد

● **حال حديث: (من حج ولم يزرني).**

- حديث: «**من حج ولم يزرني فقد جفاني**».

هذا الحديث لا يصح، بل هو موضوع، ذكره الصاغاني في «الأحاديث الموضوعة» وكذا ابن الجوزي ووافقه الذهبي في «الميزان» ولا يصح هذا الحديث؛ بل هو موضوع.

● **حال حديث: (لا شفاعة في الحدود).**

- حديث: «**لا شفاعة في الحدود**».

روى هذا الحديث البيهقي بسند ضعيف، وقال البيهقي: إسناده منكر، وكل الآثار لا تخلو من مقال، لكن معناه صحيح، فإنه لا شفاعة في الحدود في الإسلام.

● **حال حديث: (بيع الكالئ بالكالئ).**

- حديث: «**نهى ﷺ عن بيع الكالئ بالكالئ**» أي: بيع الدين بالدين.

هذا الحديث رواه البزار بسند ضعيف، وله آثار تشهد له، لكنه من هذا الطريق ضعيف.

● **حال حديث: (بيع الحيوان بالحيوان نسيئة).**

- حديث: «**نهى ﷺ عن بيع الحيوان بالحيوان نسيئة**».

هذا الحديث يقول الترمذي: حديث صحيح، وأخرجه ابن الجارود، لكنه ليس بصحيح، فقد رواه الحسن البصري عن سمرة بن جندب، ولم يسمع الحسن من سمرة إلا حديث العقيقة، فالحديث هذا ضعيف.

● **حال حديث: (أبغض الحلال إلى الله الطلاق).**

- حديث: «**أبغض الحلال إلى الله الطلاق**» .

هذا حديث ضعيف، رواه أبو داود بسند مرسل، وهو مرسل عند أهل العلم، وما علمت أحدًا صححه.

● **حال حديث: (كل قرض جر منفعة فهو ربا).**

- حديث: «**كل قرض جر منفعة فهو ربا**».

هذا الحديث رواه الحارث بن أسامة بسند واهٍ، وفي سنده سوار بن مصعب ولا يصح حديثه، لكن معناه صحيح، بل إنه مجمع على معناه، وأما هو من هذه الرواية فلا يصح مرفوعًا إليه عليه الصلاة والسلام.

● **حال حديث: (اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين).**

- حديث: «**اللهم أعز الإسلام أو انصر الإسلام بأحد العمرين**».

هذا الحديث لا يصح عنه عليه الصلاة والسلام.

● **حال حديث: (إن الله جميل).**

- هل حديث «**إن الله جميل يحب الجمال**» صحيح؟

الجواب: حديث صحيح عند مسلم.

حديث: «**اللهم بارك لنا في رجب و شعبان و بلغنا رمضان**» رواه أحمد و الطبراني في الأوسط.

قال عنه الهيثمي: رواه البزار وفيه زائدة بن أبي الرقاد قال البخاري: منكر الحديث، وجَهَّله جماعة.

وضعفه النووي كما في «الأذكار» والذهبي كما في «الميزان».

حديث: «**فضل شهر رجب على الشهور كفضل القرآن على سائر الكلام**».

قال ابن حجر: إنه موضوع.

حديث: «**رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي**».

رواه الديلمي وغيره عن أنس مرفوعًا لكن ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» بطرق عديدة، وكذا الحافظ ابن حجر في كتاب «تبيين العجب فيما ورد في رجب».

حديث: «**رجب شهر عظيم يضاعف الله فيه الحسنات فمن صام يومًا من رجب فكأنما صام سنة، ومن صام منه سبعة أيام غلقت عنه سبعة أبواب جهنم، ومن صام منه ثمانية أيام حسنت له ثمانية أبواب الجنة، ومن صام منه عشرة أيام لم يسأل الله إلا أعطاه، ومن صام منه خمسة عشر يومًا نادى منادٍ في السماء قد غفر لك ما مضى فاستأنف العمل، ومن زاد زاده الله، وفي رجب حمل الله نوحًا فصام رجب، وأمر من معه أن يصوموا فجرت سبعة أشهر آخر ذلك يوم عاشوراء أهبط على الجودي، فصام نوح ومن معه والوحش شكراً لله عز وجل، وفي يوم عاشوراء فلق الله البحر لبني إسرائيل، وفي يوم عاشوراء تاب الله عز وجل على آدم ﷺ، وعلى مدينة يونس وفيه ولد إبراهيم ﷺ**».

قال الإمام الذهبي: هذا باطل و إسناد مظلم.

وقال الهيثمي: رواه الطبراني في «الكبير» وفيه عبدالغفور وهو متروك.

حديث: «**من صام ثلاثة أيام من شهرٍ حرامٍ الخميس والجمعة والسبت كتب الله له عبادة تسع مئة سنة**). وفي لفظ: (ستين سنة).

وقال الهيثمي: رواه الطبراني في «الأوسط» عن يعقوب بن موسى المدني عن مسلمة، ويعقوب مجهول ومسلمة هو: ابن راشد الحماني قال فيه حاتم: مضطرب الحديث، وقال الأزدي في «الضعفاء»: لا يحتج به.

و حكم بعدم صحته ابن الجوزي في كتابه «العلل المتناهية».

حديث: «**كان رسول الله - ﷺ - يصوم ثلاثة أيام من كل شهر فربما أخَّر ذلك حتى يجتمعَ عليه صوم السنة فيصوم شعبان**».

وهذا الحديث ضعيف أخرجه الطبراني في «الأوسط» عن عائشة - رضي الله عنها -، قال الحافظ في «الفتح» فيه ابن أبي ليلى ضعيف.

حديث: «**عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - لم يصم بعد رمضان إلا رجب وشعبان**» .

وقد حكم عليه الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في «تبيين العجب» بالنكارة من أجل يوسف بن عطية، فإنه ضعيف جداً.

حديث: «**تدرون لم سمي شعبان ؛ لأنه يُتَشَعَّبُ فيه لرمضان خير كثير، وإنما سمي رمضان ؛ لأنه يرمض الذنوب أي يذيبها من الحر**».

حكم السيوطي - رحمه الله - على هذا الحديث بالوضع، والحديث رواه أبو الشيخ من حديث أنس، وفيه زياد بن ميمون وقد اعترف بالكذب.

حديث: «**أفضل الصوم بعد رمضان شعبان لتعظيم رمضان، وأفضل الصدقة صدقة في رمضان**» .

والحديث رواه الترمذي والبيهقي في الشعب، عن أنس -رضي الله عنه-، وقال الترمذي: غريب، وضعفه السيوطي والألباني -رحم الله الجميع-.

والحديث فيه صدقة بن موسى، قال عنه الذهبي في «المهذب» صدقة ضعفوه، ويزاد على هذا أن في متنه نكارة ؛ لمخالفته ما جاء في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- مرفوعا: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم**........ الحديث».

حديث: «**عن عائشة، قالت: كان رسول الله - ﷺ - يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وكان أكثر صيامه في شعبان، فقلت: يا رسول الله، ما لي أرى أكثر صيامك في شعبان، فقال: يا عائشة، إنه شهر ينسخ لملك الموت من يقبض، فأحب أن لا ينسخ اسمي إلا وأنا صائم**».

قال ابن أبي حاتم في «علل الحديث»: سألت أبي عن هذا الحديث فقال أبي: هذا حديث منكر.

حديث: «**إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور**».

قال ابن تيمية: "فهذا الحديث كذب مفترى على النبي ﷺ بإجماع العارفين بحديثه، لم يروه أحد من العلماء بذلك، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة"، القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة (ص ١٧٤).

وقال الشيخ ابن باز: "وهذا الكلام دعوة إلى الشرك بالله -عز وجل- فإن الاستعانة بأصحاب القبور والاستغاثة بهم من أعظم أنواع الشرك بإجماع أهل العلم والإيمان".

حديث: «**لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب، أسألك بحق محمد لما غفرت لي...**» الحديث.

رواه الحاكم في «المستدرك» (٦١٥/٢) من طريق عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر، وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: "بل موضوع".

وقال ابن تيمية: "ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه، فإنه قد قال في كتاب «المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم» عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة، لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه" القاعدة الجليلة (ص٩٨، ٩٩).

وقال الألباني: «وجملة القول أن الحديث لا أصل له عنه ﷺ، فلا جرم أن حكم عليه بالبطلان الحافظان الجليلان الذهبي والعسقلاني» - الضعيفة (٤٠/١).

حديث: «**من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً**» حديث ضعيف، والصحيح أنه من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

حديث: «**من صلى في مسجدي أربعين صلاة لا تفوته صلاة، كتبت له براءة من النار، ونجاة من العذاب، وبرئ من النفاق**» حديث منكر.

حديث: «**الأضاحي سنة أبيكم إبراهيم، قالوا: فما لنا فيها، قال: بكل شعرة حسنة، قالوا: فالصوف، قال: بكل شعرة من الصوف حسنة**» حديث موضوع.

حديث: «**عظموا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم**» حديث ضعيف جداً.

حديث: «**الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش**». وفي لفظ: «**الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**». قال الحافظ العراقي: لم أقف له على أصل، قال عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي: لم أجد له إسنادًا، قال الألباني: لا أصل له.

حديث: «**اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً**». قال الألباني: لا يصح مرفوعًا أي: ليس صحيحًا عن النبي ﷺ.

حديث: «**أنا جدُّ كل تقي**» قال السيوطي: لا أعرفه. قال الألباني: لا أصل له.

حديث: «**إنما بعثتُ مُعَلِّمًا**» قال العراقي: سنده ضعيف، قال الألباني: ضعيف.

حديث: «**أوحى الله إلى الدنيا أن اخدمي من خدمني وأتعبي من خدمك**» قال الألباني: موضوع.

حديث: «**إياكم وخضراءُ الدِّمن فقيل: ما خضراء الدِّمن؟ قال المرأةُ الحسناء في المنبت السوء**». قال العراقي: ضعيف، وضعفه ابن الملقن. قال الألباني: ضعيف جداً.

حديث: «**من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاي هذا .... أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له ألفُ ملكٍ**». ضعفه المنذري، قال البوصيري: سنده مسلسل بالضعفاء. قال الألباني: ضعيف.

حديث: «**من نام بعد العصر، فاختُلس عقله، فلا يلومنَّ إلا نفسه**». ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات». والسيوطي في «اللآلئ المصنوعة» والذهبي في «ترتيب الموضوعات».

حديث: «**من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني.....**». قال الصغاني: موضوع، وقال الألباني: موضوع.

حديث: «**من حج، فزار قبري بعد موتي، كان كمن زارني في حياتي**». قال ابن تيمية: ضعيف، وقال الألباني: موضوع.

حديث: «**من عَرَفَ نفسهُ فقد عرف ربَّه**». موضوع.

حديث: «**سؤر المؤمن شفاء**». لا أصل له.

حديث: «**الناس كلهم موتى. إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم غرقى إلا المخلصون. والمخلصون على خطر عظيم**». قال الصغاني: هذا الحديث مفترى ملحون، والصواب في الإعراب: العالمين والعالمين. وذكره الشوكاني في «الفوائد المجموعة»، والفتني في «تذكرة الموضوعات».

حديث: «**إذا رأيتم الرايات السود خرجت من قبل خراسان، فأتوها ولو حبواً؛ فإن فيها خليفة الله المهدي**». ضعيف. ذكر في "المنار المنيف" لابن القيم، وفي "الموضوعات" لابن الجوزي، وفي "تذكرة الموضوعات".

حديث: «**التائب حبيبُ الله**». لا أصل له.

حديث: «**أما إني لا أنسى، ولكن أُنَسَّ لأُشَرِّع**». لا أصل له.

حديث: «**الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا**». لا أصل له.

حديث: «**من حدث حديثاً، فعطس عنده، فهو حق**». موضوع.

حديث: «**تزوجوا ولا تطلقوا، فإن الطلاق يهتز له العرش**». موضوع.

حديث: «**تعاد الصلاة من قدر الدرهم من الدم**». موضوع.

حديث: «**السخي قريب من الله، قريب من الجنة. قريب من الناس، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب من النار، وجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل**». ضعيف جداً.

حديث: «**الحجر الأسود يمين الله في الأرض، يصافح بها عباده**». موضوع.

حديث: «**أوصاني جبرائيل - عليه السلام - بالجار إلى أربعين داراً. عشرة من ها هنا، وعشرة من ها هنا، وعشرة من ها هنا، وعشرة من ها هنا**». ضعيف.

حديث: «**لولاك ما خلقت الدنيا**». موضوع.

حديث: «**من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً**». ضعيف.

حديث: «**من أصبح وهمّه غير الله - عز وجل - فليس من الله في شيء، ومن لم يهتم للمسلمين فليس منهم**». موضوع.

حديث: «**من ولد له مولود، فأذَّن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان**». موضوع.

حديث: «**أنا ابن الذبيحين**». لا أصل له.

حديث: «**النظر في المصحف عبادةٌ، ونظر الولد إلى الوالدين عبادةٌ، والنظر إلى علي بن أبي طالب عبادةٌ**». موضوع.

حديث: «**آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة، يقال له: جهينة، فيسأله أهل الجنة: هل بقي أحد يعذب؟ فيقول: لا، فيقولون: عند جهينة الخبر اليقين**». موضوع.

حديث: «**شاوروهن - يعني: النساء - وخالفوهن**». لا أصل له.

حديث: «**يدعى الناس يوم القيامة بأمهاتهم ستراً من الله - عز وجل - عليهم**». موضوع.

حديث: «**السلطان ظل الله في أرضه، من نصحه هدي، ومن غشه ضل**». موضوع.

حديث: «**قال الله تبارك وتعالى: من لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي، فليلتمس ربّاً سواي**». ضعيف.

حديث: «**ليس لفاسق غيبة**». موضوع.

حديث: «**إذا مات الرجل منكم فدفنتموه فليقم أحدكم عند رأسه. فليقل: يا فلان بن فلانة! فإنه سيسمع، فليقل: يا فلان بن فلانة! فإنه سيستوي قاعداً .... اذكر ما خرجت عليه من دار الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ... إلخ**». ضعيف.

حديث: «**كان إذا أخذ من شعره أو قلم أظفاره، أو احتجم بعث به إلى البقيع فدفن**». موضوع.

حديث: «**يا أيها الناس، قد أظلكم شهر عظيم، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً.. إلخ**». ضعيف.

حديث: «**يا جبريل، صف لي النار، وانعت لي جهنم: فقال جبريل: إن الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة.. إلخ**». موضوع.

حديث: «**لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي**». ضعيف.

حديث: «**إذا انتهى أحدكم إلى الصف وقد تم، فليجبذ إليه رجلاً يقيمه إلى جنبه**» ضعيف.

حديث: «**الأبدال في هذه الأمة ثلاثون. مثل إبراهيم خليل الرحمن - عز وجل - كلما مات رجل أبدل الله تبارك وتعالى مكانه رجلاً**». موضوع.

حديث: «**إن العبد إذا قام في الصلاة فإنه بين عيني الرحمن، فإذا التفت قال له الرب: يا ابن آدم، إلى من تلتفت؟ إلى من هو خير لك مني؟ ابن آدم أقبل على صلاتك، فأنا خير لك ممن تلتفت إليه**». ضعيف جداً.

حديث: «**وقع في نفس موسى: هل ينام الله تعالى ذكره؟ فأرسل الله إليه ملكًا. فأرقه ثلاثًا، ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة ... ثم نام نومة فاصطفقت يداه وانكسرت القارورتان قال: ضرب الله له مثلاً أن الله لو كان ينام لم تستمسك السماوات والأرض**». ضعيف.

حديث: «**تحية البيت الطواف**». لا أصل له.

حديث: «**النظرة سهم من سهام إبليس، من تركها خوفًا من الله آتاه الله إيمانًا يجد حلاوته في قلبه**». ضعيف جداً.

حديث: «**يعاد الوضوء من الرعاف السائل**». موضوع.

حديث: «**ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه الفعل... إلخ**». موضوع.

حديث: «**تخرج الدابة، ومعها عصى موسى - عليه السلام - وخاتم سليمان - عليه السلام -.. فتقول هذا: يا مؤمن، وتقول هذا: يا كافر**». منكر.

حديث: «**انطلق النبي ﷺ وأبو بكر إلى الغار، فدخلا فيه فجاءت العنكبوت فنسجت على باب الغار... إلخ**». ضعيف.

حديث: «**وجد النبي ﷺ ريحًا فقال: ليقم صاحب هذا الريح فليتوضأ. فاستحيا الرجل أن يقوم فقال رسول الله ﷺ: ليقم صاحب هذا الريح فليتوضأ، فإن الله لا يستحي من الحق، فقال العباس: يا رسول الله، أفلا نقوم كلنا نتوضأ؟ فقال: قوموا كلكم فتوضؤوا**». باطل.

حديث: «**إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء: إذا كان المغنم دولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً .... إلخ**». ضعيف.

حديث: «**حب الدنيا رأس كل خطيئة**». موضوع

حديث: «**طلب الحلال جهاد، وإن الله يحب المؤمن المحترف**». ضعيف

حديث: «**لكل شيء عروس، وعروس القرآن الرحمن**». منكر.

حديث: «**سيد القوم خادمهم**». ضعيف.

حديث: «**عليكم بالشفائين: العسل والقرآن**». ضعيف.

حديث: «**آمن شعر أمية بن أبي الصلت، وكفر قلبه**». ضعيف.

حديث: «**البر لا يبلى، والإثم لا ينسى، والديان لا ينام، فكن كما شئت، كما تدين تدان**». ضعيف.

حديث: «**لمعالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف**». ضعيف جداًّ.

حديث: «**بادروا بالأعمال سبعًا، هل تنتظرون إلا مرضًا مفسداً وهرمًا مفنداً، أو غنى مطغيًا أو فقراً منسيًا أو موتًا مجهزًا، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر**». ضعيف.

حديث: «**أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار**». ضعيف.

حديث: «**اتقوا فِرَاسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**». ضعيف.

حديث: «**الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له**». ضعيف جداًّ.

حديث: «**لا تجعلوا آخر طعامكم ماءً**». لا أصل له.

حديث: «**إن للقلوب صدأ كصدأ الحديد، وجلاؤها الاستغفار**». موضوع.

حديث: «**من أفطر يومًا من رمضان في غير رخصة رخصها الله له، لم يقض عنه صيام الدهر كله، وإن صامه**». ضعيف.

حديث: «**إن عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً**». موضوع.

حديث: لما قدم النبي ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقولون:

طلــع البــدر علينا　　　من ثنيــات الــوداع

وجب الشــكر علينا　　　ما دعـــا للـــه داع

أيهــا المبعــوث فينا　　　جئت بالأمر المطاع

جئت شرفت المدينة　　　مرحباً يا خير داع

فقال لهن رسول الله ﷺ: «**هزوا غرابيلكم بارك الله فيكم**» ضعيف. قال عنه ابن تيمية: حديث النسوة وضرب الدف في الأفراح صحيح، فقد كان على عهد رسول الله ﷺ، وأما قوله: «**هزوا غرابيلكم**» هذا لا يعرف عنه.

حديث: «**إن الله - عز وجل - يقول: أنا الله لا إله إلا أنا، مالك الملوك، وملك الملوك، قلوب الملوك في يدي، وإن العباد إذا أطاعوني حولت قلوبهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك..... إلخ**». ضعيف جدّاً.

حديث: «**الحكمة ضالة كل حكيم، فإذا وجدها فهو أحق بها**». ضعيف.

حديث: «**نومُ الصائم عبادة**» ضعيف. ضعّفه أيضًا الحافظ العراقي في المصدر نفسه.

حديث: «**لو يعلم العبادُ ما في رمضان لتمنَّتْ أمّتي أن يكون رمضان السَّنَةَ كلَّها**» موضوع. حكم عليه بالوضع الإمام ابن الجوزي.

حديث: «**إن الجنَّةَ تَزَيَّنُ لرمضانَ من رأس الحول**» موضوع

حديث: «**شهر رمضان معلَّق بين السماء والأرض، ولا يرفع إلى الله إلا بزكاة الفطر**» ضعيف.

أسئلة يجيب عنها الشيخ

حال الأحاديث في كتاب رياض الصالحين

- السؤال: هل الأحاديث الموجودة في كتاب رياض الصالحين صحيحة؟

- الجواب: أكثرها أو كلها صحيحة إلا ثلاثة عشر حديثًا فيها ضعف، لكن لا بأس أن تُقْرأ على الناس ويعمل بها، فليس فيه أحاديث باطلة والحمد لله.

سؤال عن المختصر للصابوني.

- السؤال: هل المختصر للصابوني فيه أخطاء؟

- الجواب: نعم، فيه بعض الأخطاء، ولكن يستفاد منه، بالرغم من الأخطاء التي في بعض الأسماء والصفات، ينبه عليها، وقد نبه عليها بعض الفضلاء فلينتبه له.

هارون أخو مريم ليس هو هارون أخا موسى

- السؤال: قال سبحانه: ﴿**يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا**﴾ (مريم:٢٨)، فهل هارون المذكور في الآية أخو موسى عليه السلام، فتكون مريم أخت موسى، أم هارون هو رجل آخر؟

- الجواب: بل صح عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه رجل آخر، وليس أخو موسى، وقال ﷺ: «**كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم**» فسموا أخا مريم هارون، على اسم هارون أخي موسى، وليس أخو موسى هو أخو مريم في هذه القصة، فليتنبه لذلك.

- **حال حديث: (إن الله نظيف).**

السؤال: هل حديث: «**إن الله نظيف يحب النظافة**» صحيح؟

الجواب: عند الترمذي بسند ضعيف.

- **حال حديث: (من كان في قلبه مثقال ذرة من الحقد).**

السؤال: ما صحة حديث: «**من كان في قلبه مثقال ذرة من الحقد والحسد لن يدخل الجنة**»؟

الجواب: لا يصح هذا عن رسول الله ﷺ.

- **حال حديث: إن في جهنم لواد تتعوذ منه جهنم.**

السؤال: ما صحة حديث: «**إن في جهنم لواد تتعوذ منه جهنم في اليوم سبع مرات، وإن في الوادي لبركة يتعوذ منها الوادي سبع مرات، وإن في البركة لحية يتعوذ منها الوادي والبركة سبع مرات، يقال: أعده الله لحملة القرآن**»؟

الجواب: هذا حديث موضوع وباطل، إذا سمعت السبع في السبع، أو السبعين في السبعين فهذه باطلة، مثل حديث يقول: يرزق الله - عز وجل - الشهيد في الجنة سبعين قصرًا، في كل قصر سبعون حورية، على كل حورية سبعين حلة، ويبقى في سبعين ساعة، هذا حديث باطل.

- **حال حديث: (اللهم أجرني من النار).**

السؤال: ما صحة قول: «**من يقول بعد صلاة الفجر والمغرب: اللهم أجرني من النار (سبع مرات)**»؟

الجواب: هذا حديث صحيح يقال به بعد الفجر والمغرب، وهو حديث مسلم بن الحارث التميمي.

- **حال حديث: (سووا صفوفكم).**

السؤال: هل حديث «**سووا صفوفكم فإن الله لا ينظر إلى الصف الأعوج**».

الجواب: لا يصح بهذا اللفظ، وليس بثابت عنه عليه الصلاة والسلام.

رأي الغزالي في الحديث المعارض للعقل.

السؤال: نشر في جريدة «المسلمون» أن الغزالي قال: إنه يرد الحديث إذا عارض العقل، ولو كان في البخاري.

الجواب: رأي الغزالي معروف، غفر الله له، وقد كتب هذا في كتبه وذكره في مقابلاته، وقد خالف العلماء جميعًا، وهذا رأي المعتزلة الفرقة المبتدعة، وقد رُدَّ عليه، وتجدون الرد عليه في كتاب «حوار هادئ مع الغزالي» لسلمان العودة، وكتاب: الغزالي في مجلس الإنصاف.

نبذة عن الواقدي.

السؤال: من هو الواقدي؟

الجواب: الواقدي صاحب السير كذَّاب وضَّاع، يقول الإمام أحمد: اغتررت به، وكنت أظن أنه عالم. فلما اكتشف الإمام أحمد أنه ليس بعالم أخذ الكتب التي كتبها الواقدي كلها، وجعلها مجلدات يجلد بها كتبه تحميها من المطر والشمس، أي جعل كتب الواقدي أغلفة لكتبه.

العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

السؤال: عَرَّضَ سيد قطب رحمه الله بوجوب دعوة الناس إلى العقيدة قبل الخطوات الأخرى، لكن عند دعوة الناس إلى العقيدة فإنهم يتضايقون لوجود هذه المعلومات عندهم.

الجواب: من يتضايق فهو لا يعرف شيئًا في الإسلام، نبدأ بالعقيدة ولا ننتهي عنها، ونكررها في المجالس والمحاضرات وفي الدروس، وهي قضيتنا الكبرى.

ومن خطط العلمانية الآن التهوين من شأن العقيدة، فهم لا يريدون عقيدة ولا سلوكًا، ويقولون: الآن العقيدة مفهومة عند الناس، وبعض الدعاة السذج صدقوهم، ويقولون: انتهى عصر العقيدة، ويقولون: دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب انتهى عصرها، وهي تصلح للعوام وللقبوريين الذين كانوا يعبدون القبور وينذرون لها، وقد انتهى عصرها، ونحن الآن في عصر التكنولوجيا، وعصر تحديث الناس عن الصناعات، وسر الخلق وعن هذه المعلومات.

ونحن نقول: إن قضيتنا الكبرى قضية الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – وهي العقيدة، لا بد أن نكررها ونبدأ بها ونعيدها ونقول للناس: لا ينذر ولا يذبح

لغير الله، ولا يستغاث بغير الله، ونخبرهم بالوسيلة والتوكل وأحكام العقيدة بكل صيغة وبكل أسلوب.. وهذا هو الصحيح.

تقويم كتاب: المستطرف في كل فن مستظرف.

السؤال: ما رأيك في كتاب المستطرف في كل فن مستظرف؟

الجواب: هذا الكتاب غير جيد، ولا يليق أن يدخل الدور، يبدأ في أول الموضوع بآية وحديث لكن يخلط المسألة بشيء يُستحى منه، ولا يليق بالمسلم أن يقرأ هذا الكتاب، إلا أن يكون طالب علم حاذق وحذر، يقرأ ما يفيده، ويحذر من مزالقه، ولكن يتجنبه، ولو قرأ مثلاً في (العقد الفريد) كان أسهل وأهون ولو أن فيه مزالقه، و(عيون الأخبار) أحسن منهما، وأحسن منها كلها (أنس المجالس) لابن عبد البر؛ لأن ابن عبد البر محدث يخاف الله، وأقبح منها كتاب الأغاني لأبي فرج الإصفهاني، فيه كلام ماجن تستحي أن تذكرَ في المجالس - خمر وخمريات وسفاهات وخزعبلات - فعليك (بأنس المجالس) لابن عبد البر وهو من أحسن ما كتب.

من أحسن القصص
و
أعذب الشعر

تمهيد

فهذا فصل (من أحسن القصص.. ومن أعذب الشعر) جمعت فيه طائفة من القصص الحق الذي لا يأتيه الباطل، ومن الصدق الذي لا يعارضه الكذب؛ لأن القصة أكثر تأثيرًا، وأقوى إيقاعًا، وأعظم نفوذًا في ذهن القارئ وقلب السامع؛ ولذلك قال – سبحانه – لرسوله ﷺ: ﴿ **فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾.

وجيلنا بحاجة إلى قصص بريئة، صادقة مؤثرة، لا زيف فيها، ولا انحراف، ولا كذب، ولا افتراء، في عصرٍ راج فيه الزور، وتعاظم فيه البهتان، وكثر فيه الشطط.

كما أن الله – عز وجل – ذكر الشعراء في القرآن، فقال سبحانه وتعالى:

﴿ **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ** ﴾.

ولمّا أنزل الله – عز وجل – هذه الآيات، أتى حسان بن ثابت وابن رواحة وأمثالهما من الصحابة الشعراء يبكون عند الرسول ﷺ، فقال: ما لكم؟

قالوا: يا رسول الله، ربنا يقول: ﴿ **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ** ﴾، ونحن شعراء، فأنزل الله – عز وجل – قوله: ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾.

وهناك أسباب عدة جعلتني أطرح هذا الموضوع (من أعذب الشعر)، ومنها:

أولاً: أنه ينبغي للواعظ والخطيب وطالب العلم أن يكون عنده أبيات يتمثل بها، والشعر فيه جمال، وفيه ارتياح وفيه حكمة، وقد صح عنه – عليه الصلاة والسلام – أنه قال: «**إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة**».

ثانيًا: للترويح عن النفوس، فإن الكتب والمحاضرات إذا بقيت كلها جدية وصارمة ملت النفوس، فلا بد من التنويع خوف الملل والسأم.

ثالثًا: حتى يكون هذا الكتاب لمن أراد أن يحفظ بعض القصص الحق، أو بعض الأبيات المنتقاة، فإنه سوف تقرأ في هذا الكتاب مجموعة من القصص والأبيات إن شاء الله، وستكون حاضرة في ذهن الخطيب والواعظ والمعلم والمربي.

وهذا الكتاب عبارة عن: محاضرتين نُشرتا في شريطين سمعيين، وتحت رغبة كثير من الإخوة قدمتا في هذا الفصل الذي هو الآن بين يديكم.

فأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب من كتبه ومن قرأه، كما أسأل الله أن يهدينا إلى ما يحبه ويرضاه، إنه على كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

الرسول المعجز

ومن هذا المنطلق جمعت أحاديث صحيحة - إن شاء الله - لقصص محمد ﷺ، لمعجزاته. لما آتاه الله - عز وجل - من آيات باهرات في الحياة، وهو ﷺ معجز. معجز في شخصه، ومعجز في هيئته، ومعجز في القرآن الذي أتى به، ومعجز في حالاته كلها، بل حتى في جسمه عند بعض العلماء أنه معجز، فقد أوتي قوة ثلاثين رجلاً؛ لذلك فهو مهيأ لأن يقود العالم.

كان ﷺ يدور في ساعة واحدة على تسع نسوة من نسائه - عليه الصلاة والسلام - ويغتسل غسلاً واحدًا.

ويأتي ﷺ إلى الخندق، والصحابة وهم عشرات ما استطاعوا في صخرة أن يدهدهوها، فنزل وشمر عن ذراعيه فحملها حتى أخرجها.

كان ﷺ يقف في المعركة ولا يفر، وإنما يبقى صامدًا حتى آخر لحظة من لحظات المعركة.

من خصائصه عليه الصلاة والسلام

من خصائصه أنه ما كان يتثاءب. التثاؤب من الشيطان، وهو ليس عنده شيطان، ولا يلعب عليه الشيطان، فما كان يتثاءب.

ومن خصائصه - عليه الصلاة والسلام - أنه ما احتلم؛ لأن الاحتلام من الشيطان، والشيطان لا يلعب على الرسول - عليه الصلاة والسلام - أبدًا.

عاش ﷺ وأيَّده الله بالمعجزات.

كان يتيمًا، وقد عاش إلى الأربعين، ما درس، ما تعلم، ما قرأ، ما كتب، ما دخل مدرسة، ما تعلم الخطابة، ما درس الفتيا، ما درس أصول السياسة. ما تعلم الإدارة.

وبعد أربعين سنة يبعثه الله فإذا هو أعظم خطيب، وأفصح فصيح، وأكبر إداري،

وأشجع قائد، وأعظم مفت في المعمورة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

إن البـرية يوم مـبـعث أحـمـد

نظر الإله لهـا فـبـدل حـالهـا

بل كـرم الإنسـان حين اخـتـار من

خـيـر البـرية نجـمـهـا وهلالهـا

عاش في مجتمع أشبه بالبداوة، ومع ذلك كان من أجمل الناس.

وجهه كالقمر ليلة أربعة عشر.

إذا جلس الجالس أمامه كأنه يجلس أمام الشمس، أو أمام القمر ليلة أربعة عشر؛ ولذلك إذا صافحه مصافح أثرت أصابع المصافح في جسم الرسول عليه الصلاة والسلام.

قال أنس فيما صح عنه: «مسست كف الرسول - عليه أفضل الصلاة والسلام - فوالله ما مسست ديباجًا ولا حريرًا ألين من كفه».

وقال: «شممت رائحة الرسول - عليه الصلاة والسلام - فوالله ما شممت مسكًا ولا عبيرًا أحلى من مسكه - عليه الصلاة والسلام -».

يمر من الطريق فيعرف الناس أنه مرَّ من طيبه الذي يتصبب من على جبينه الطاهر كاللؤلؤ، كالدر، يوضع في القوارير، أخذته أم سليم فكانت تداوي به المرضى فيشفون بإذن الله.

يخرج في الصباح الباكر بعد صلاة الفجر - عليه الصلاة والسلام - فيهمل يده للناس، فهذا يأخذ يده فيمسح بها على وجهه.

أعرابي يقول: "أخذت يد الرسول ﷺ، فأطلقت زُرُري فوضعتها على صدري، فوالله ما زال بردها إلى الآن كالثلج على صدري".

تأتي الجارية بالماء، فيضع يده في الماء للبركة التي وضعها الله فيه، إنه محمد – عليه الصلاة والسلام – وبعد ذلك يقول غلاة أهل التصوف: "أنتم لا تحبون الرسول – عليه الصلاة والسلام –!!".

انشقاق القمر

خرج ﷺ على كفار قريش بعد صلاة، وهم يعرفونه، فهو الذي لم يكذب عليهم كذبة واحدة، ولم يخنهم، فقال لهم:

يا أيها الناس، قولوا: «**لا إله إلا الله تفلحوا**».

فقام أبو جهل، وقال: من أين أتيت؟!

قال ﷺ: «**أرسلني الله**».

قال: وما وجد الله إلا أنت يرسلك!!

قال ﷺ: «**أرسلني الله**».

فحلف أبو جهل بلاته وعزاه، لا أومن بك حتى تشق هذا القمر.

فقال عليه الصلاة والسلام: «**فإن دعوت الله وشق لي القمر.. أتؤمنون**»؟

قالوا: نؤمن.

قال: بسم الله، ثم رفع يديه ودعا الله، وسأل الله أن يشق له القمر، فشق الله له القمر ليلة أربعة عشر، أما فلقة فذهبت تجاه عرفات، والفلقة الثانية تجاه جبل أبي قبيس، فقام كفار قريش من الحرم جميعًا رجالاً ونساءً وأطفالاً ينفضون ثيابهم ويولولون، وتتصافق بهم أبواب الحرم، ويقولون: سحرنا محمد، سحرنا محمد، فأنزل الله: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ * وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ**﴾.

ولذلك يوردهم الله يوم القيامة إلى النار، فيقول لهم. والله يستهزئ بهم - وصفة الاستهزاء نثبتها لله على وجه يليق بجلاله - بقيد: إنه يستهزئ بمن يستهزئ به: ﴿ **أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ** ﴾.. ادخلوا النار، أفسحر النار، كما كان محمد سحركم في نظركم، أو في القرآن، فيدخلهم النار.

كان - عليه الصلاة والسلام - متهيئًا منذ كان صغيرًا. هيأه الله للدعوة، لأن في قلبه همة ليكون مصلحًا للعالم.

جده عبد المطلب كان له فِرَاشٌ لا يجلس عليه إلا هو، فكان يجعل الفراش في ظل الكعبة، وكان الخدم يمنعون من يحاول الجلوس على هذا الفراش، ولكن محمدًا ﷺ وعمره أربع سنوات يأبى إلا أن يجلس على هذا الفراش، فيتبسم عبدالمطلب ويقول: "والبيت ذو النصب، والشفق والحجب، إن لابني هذا سببًا من السبب - يحلف بالشرك - يقول: إنه سيكون له أثر في العالم"..

نعم.. تقدم فيهم شهمًا إمامًا، أمينًا، صادقًا.

هذا انشقاق القمر معجزة من معجزاته - عليه الصلاة والسلام - رآه أهل الهند، وحتى الرعاة عندما قدموا من جهة العراق والشام، قال لهم كفار قريش: هل رأيتم في الأفق شيئاً؟.. قالوا: قبل ثلاث ليال انشق القمر، ورأيناه يوم انشق، وأرخ علماء الهند تاريخ انشقاق القمر على قصرٍ هناك من قصور ملوكهم، فأرخوا بتاريخهم كتابةً يوم انشق القمر له عليه الصلاة والسلام.

غار ثور

خرج - عليه الصلاة والسلام - من مكة يريد أن يفر بدينه إلى المدينة؛ لأن المشركين حاصروه، فدخل البيت، فطوقوا البيت بخمسين شابًا، كل شاب معه سيف يقطر دمًا وحقدًا وحسدًا وبغيًا وعنادًا، فأتى الوحي من الله - عز وجل - وأخبر الرسول: أن المشركين أحاطوا بك، فاخرج.

فقال ﷺ: كيف أخرج؟

قال اخرج والله معك، وانثر على رؤوسهم التراب، فلما خرج - عليه الصلاة والسلام - فإذا الخمسون شابًا حول البيت، ولكن الله ألقى عليهم النعاس والنوم، فسقطت السيوف من على رؤوسهم، فتلا ﷺ قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ** ﴾.

فأخذ حفنة من التراب - عليه الصلاة والسلام - فذرها على رؤوسهم، ولما قاموا بعد ما طلعت الشمس جعل كل منهم يزيل التراب عن رأسه، فلما بحثوا عنه لم يجدوه في البيت، فخرجوا يجوبون مكة، واتجهوا إلى غار ثور وطوقوه، وفي حديث يُقْبَل في السيرة، أن الله سخر العنكبوت، فبنت بيتها على باب الغار، وجعل الحمامة تبني عشها وتبيض، فأراد الكفار أن يدخلوا الغار فوجدوا عش الحمامة، وبيت العنكبوت، فقالوا: هذا غار ما دُخِل منذ فترة.

ظنوا الحمام.. وظنوا العنكبوت على

خير البرية لم تنسج ولم تحم

عناية الله أغنت عن مضاعفة

من الدروع.. وعن عال من الأطم

فعادوا، وأبو بكر يقول: يا رسول الله، والله لو نظر أحدهم إلى موطئ قدميه لرآنا، فيتبسم - عليه الصلاة والسلام - تبسم الواثق الزعيم الذي بإمكانه أن يقود العالم، الذي يدوس الأخطار، ويسحق الصعوبات بإذن الله، فيتبسم ويقول: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما.

قال أحمد شوقي:

وإذا العناية لاحظتك عيونها

نم فالحوادث كلهن أمان

لذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا** ﴾، فما حزن - عليه الصلاة والسلام - لثقته بالله.

فخرجا من الغار، ولحقهما سراقة بن مالك، قال أبو بكر: هذا سراقة أقبل شاهرًا سيفه ورمحه، ادعُ الله عليه يا رسول الله، فتبسم، وقال: ما ظنك باثنين الله ثالثهما.

فدعا ﷺ على سراقة فغارت أقدام فرسه في الأرض، فقال سراقة للفرس: صه - وهذه الكلمة تقال للفرس عند العرب إذا عثر، ويعني بها انهض - فقام الفرس فركب وأقبل، فدعا عليه، فتعثر مرة أخرى، فقال سراقة: يا محمد، أريد الأمان لا تقتلني - فر من الموت وفي الموت وقع - أراد أن يَقْتُل، فأصبح يطلب النجاة، فاشترط - عليه الصلاة والسلام - ألا يخبر أحدًا من الناس، وأعطاه كتاب أمان، ثم تبسم - عليه الصلاة والسلام - تبسم الواثق من نصر الله له.

وقال: يا سراقة، كيف بك إذا طُوِّقْت بسواري كسرى - وفي بعض الألفاظ وقيصر -.

فضحك سراقة وقال: أنت فارٌّ وصاحبك، وتطارد من مكة، وتملك كنوز كسرى وقيصر!!.

إنها هِمة بإذن الله لا تمر مر السحاب ﴿ **صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾، فأعطاه الأمان ورجع.

قال كفار قريش لسراقة: ما وراءك؟

قال: فأما طريق يثرب فقد كشفتها لكم فلا تبحثوا هناك.

وقبل أن أكمل، أستطرد قليلاً مع سراقة، فعندما فتح عمر - رضي الله عنه وأرضاه - مملكة كسرى وقيصر، ودك عروش الخيانة، والظلم، والجهالة، والعمالة، والطاغوت، وجيء لعمرَ - رضي الله عنه وأرضاه - بكنوز كسرى وقيصر من الذهب

والفضة والمرجان ومن لؤلؤ، فأخذها وقال لسراقة: تعال، فألبسه سواري كسرى وقيصر، فبكى سراقة.

قال عمر: ما لك تبكي، ونحن في يومٍ نَصَرَ الله فيه الإسلام والمسلمين؟

قال سراقة: والذي نفسي به.. لقد قال لي رسول الله ﷺ يوم طاردته: "كيف بك إذا طوقت بسواري كسرى"، فبكى عمر، وبكى الصحابة: ﴿**أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ**﴾.

شاة أم معبد

خرج الرسول ﷺ، ومر بعجوزٍ خزاعية (أم معبد) في خيمةٍ معها عنز مكسورة في جانب الخيمة.

فقال لها: هل من لبن؟

قالت: غنمنا خلوف، وأبونا مع الغنم.

قال ﷺ: إليَّ بهذه العنز.

فضحكت العجوز وقالت: عنز مكسورة حائل.

قال ﷺ: أحلبها.

فأخذ - عليه الصلاة والسلام - إناءً كبيرًا، وقال: بسم الله، فحلب فحلبت، فملأ الإناء فأعطاه أبا بكر فشربه، ثم ملأه فأعطى العجوز وشربت، ثم ملأه فشرب ﷺ، ثم ملأه، فجعله عند العجوز فَدُهِشت، وقالت: ما هذا الكلام الذي تقول؟

فتبسم - عليه الصلاة والسلام - وخرج.

يقول شاعر الجن يخبر أهل مكة؛ لأنهم خرجوا تلك الليلة يبحثون عنه ﷺ، ولم يعرفوا أين ذهب، بالرغم من أنهم جعلوا عليه حصارًا عالميًا، وغلقوا المنافذ، وأعلنوا حالة الطوارئ في مكة، فيقول شاعر الجان من على جبل أبي قبيس ينشد:

جـزى الله رب الناس خـيـر جـزائه

رفـيـقـان حـلا خـيـمـتـا أم مـعـبـدِ

هـمـــا نـزلا بـالـغـــار وارتحـــلا بـه

فـأسـعـد من أمـسـى رفـيق مـحـمـدِ

فــيــال قـــصيٍ مـــات والله عنكمـــو

به من فـــعـــالٍ لا تجـــازى وســـؤددِ

سلوا أخـتـكم عن شـاتـهـا وإنائـهـا

فـإنكمـو إن تسـألـوا الشـاة تـشـهـدِ

وعندما وصل ﷺ المدينة توالت معجزاته، وفائدة عرض المعجزات عدة أمور منها:

١- يزداد إيمانك فتثبت في قلبك شجرة الإيمان، وأكثر ما يزداد الإيمان إذا عرضت معجزات محمد - عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم - فإنك تزداد إيمانًا ورسوخًا كلما سمعت أخباره.

٢- يزيد حبك للرسول ﷺ حبّاً عظيمًا يشاغف القلب، ويدخل إلى الروح.

نـســـــينـا في ودادك كـل غـــــالٍ

فـــأنت الـيـــوم أغـلـى مـــا لـديـنـا

يقول عمر: «يا رسول الله - والحديث في البخاري - والذي نفسي بيده إنك أحب إلي من أهلي ومالي إلا من نفسي».

قال ﷺ: «**لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك**».

قال: «والذي نفسي بيده - وهم إذا حلفوا صدقوا - إنك أحب إليَّ من نفسي وأهلي ومالي».

قال ﷺ: «الآن يا عمر، الآن اكتمل إيمانك» أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

٣- أن تعلم قدرة الواحد الأحد، فالمعجزات من قدرة الله سبحانه وتعالى.

غمامة المدينة

يصل ﷺ إلى المدينة، ويصعد على المنبر يخطب، والسماء صافية، والشمس لامعة، ترسل أشعتها على الأرض في شدة الحر، ويأتي أعرابي من نحو باب القضاء - والناس في قحط لا يعلمه إلا الله - قال أنس: والله ما في السماء لا سحاب ولا قزعة، قال الأعرابي: يا رسول الله - يقطع الخطبة عليه - جاع العيال، وضاع المال، وتقطعت السبل، فادعُ الله أن يغيثنا، فيتبسم - عليه الصلاة والسلام - ويقطع الخطبة مباشرة، ويرفع يديه:

اللهم أغثنا. اللهم أغثنا. اللهم أغثنا.

قال أنس: والله قبل أن ينزل من على المنبر (وهي لحظات) حتى ثارت من وراء جبل سلع (جبل سلع في المدينة) غمامة كالترس الذي يضعه المقاتل على وجهه حتى احتكمت في سماء المدينة فوق المسجد، ثم ثارت كالجبال ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ فثارت حتى غطت المدينة، فأظلمت، فبرق البارق ورعد الرعد، وأمطرت السماء حتى سال الماء على وجه المصطفى - عليه الصلاة والسلام - وهو يكمل خطبته ويتبسم، ويصلي ويقول: أشهد أني رسول الله.

ونحن نقول له: نشهد أنك رسول الله.

ونشهد أنك صادق.

ونشهد أنك ناصح.

ونشهد أنك أتيت تنقذ العالم.

ونشهد أن الذي لا يتبعك في ظلال مبين.

وأن الذي كذبك أو ردَّ مقالتك في ضلال مبين فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

ويأتي أعرابي في الجمعة المقبلة، والرسول ﷺ يواصل في خطبة أخرى، وموضوع آخر، وكانت خطبته تسكب الإيمان، كأنه يجري بكوب من الماء في قلوب الموحدين إيمانًا، أو كأنه يغرس شجرًا.

ما بنى جملة من اللفظ إلا

وابتنى اللفظ أمة من عفاء

المصلحون أصابع جُمعت يداً

هي أنت بل أنت اليد البيضاء

ففي أثناء خطبته ﷺ يرفع الأعرابي صوته: يا رسول الله.

فيتوقف ﷺ.

يا رسول الله، جاع العيال وضاع المال - يعني من شدة المطر - وتقطعت السبل، فادعُ الله أن يرفع عنا الغيم.

فيتبسم ﷺ، ولم يقل: «اللهم ارفع عنا الغيم» لأنها ليست من الحكمة، وهذا رحمة من الله.

قال: «اللهم حوالينا - ويقول بيده كذا - اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الظراب وبطون الأودية، ومنابت الشجر».

قال العلماء من الصحابة: والله ما يشير إلى جهة إلا وينصب المطر في تلك الجهة، ويخرجون من المسجد والمدينة كأنها في الجوبة (يعني كأنها في ثوب) الثوب

هذا يوصل الشمس بالمدينة، ولكن ما حولها غيث وصيّب نافع ومطر غزير، ولكن المدينة في شمس، فيخرج من المسجد ويقول: أشهد أني رسول الله.

﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ﴾..

عناية الله

يأتي عامر بن الطفيل - عامر هذا رجل خسيس سيد بني عامر بن صعصعة يقود ألف مقاتل، كل رجل منهم لديه استعداد أن يقتل نفسه في طاعة هذا المجرم الأمير - فأتى عامر بن الطفيل وقال لإربد بن قيس - زعيم آخر أخو لبيد بن ربيعة - قال:

ما رأيك أن نقتل محمدًا أنا وإياك؟

قال إربد: نقتله.

قال عامر: نذهب أنا وإياك فإذا وصلنا إلى المدينة أخرجنا محمدًا من المدينة، فإذا أصبح معنا في الصحراء، فسوف أشغل الرجل بالحديث، وحينها أقتل الرجل.

قال إربد: ولا عليك.

فأخذا سيفين حادين ماضيين فسمما السيفين حتى أصبح سمّاً زعافًا، وخرجا إلى المدينة، ووصلا إلى الرسول ﷺ، وقالا: يا محمد، نريدك أن تخرج معنا إلى خارج المدينة، نريدك في أمر مهم، فخرج بردائه.. لا رمح.. لا سيف.. لا عصا.. لا حرس.. لكن عين الله ترقبه.. ﴿فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فيبرز إلى الصحراء، فيقول عامر بن الطفيل: تعال يا محمد، اقترب مني، فاقترب - عليه الصلاة والسلام - فأخذ يحدثه وعامر ابن الطفيل يشير إلى إربد - وإربد هذا من أشجع شباب العرب - فسل السيف يريد ضرب الرسول ﷺ، فيشير عامر بعينه يقول: اضرب، فيتوقف، فيحدث الرسول ﷺ ويشير إلى إربد فلا يفعل، فيحدثه ويشير إليه فلا يفعل حتى طال النهار، وفي النهاية ودّعا الرسول ﷺ.

وقال لإربد: لا تصحبني أنت أجبن الناس، ولا تزال جبانًا حتى تموت، لقد شغلت الرجل عنك، ألا قتلته؟

قـال إربد: دعك من هذا - ويقسم - مـا رفـعت السـيف إلا رأيت كـالبـرق يكاد يخطف بصري، ورأيت كأنك بيني وبينه، أفأقتلك؟!

ولكن الرسول ﷺ بعد أن ودّعاه علم الغدر والريبة، فرفع يديه ﷺ إلى السماء وقال: «اللهم اكفنيهم بما شئت».

فأما عامر: فما وصل إلى قرية من القرى في الطريق إلا ونزلت به غدة كبيرة كغدة البعير حتى غطت بطنه، فأخذ يصرخ وهو بعيد عن أهله وقبيلته ويقول: «أغدة كغدة البعير، وفي بيت امرأة سلولية» «يقول: أموت في بيت عجوز»، فيحملونه على الفرس فيموت.

وأما إربد فخرج بناقته إلى السوق، وما درى أنه قد خرج إلى حتفه، فيرسل الله عليه صاعقة من السماء فتحرقه هو وناقته.

يا غـارة الله شـدي السيـر مسـرعـة

فـي أخـــذ هـذا الفــتـى يا غـــارةَ اللهِ

فتحرقه، وتحرق رحله فيصبح في خبر كان.

لقـــد ذهب الحـــمـــار بأم عـــمــرو

فـــلا رجـــعت ولا رجع الحـــمـــار

الأسد جندي من جنود الله

ابن أبي لهب - ابن عم الرسول ﷺ - يأتي إلى الرسول ﷺ بخنجر، في الليل، يريد ذبحه، فيمنعه الله ويحميه.

ويروى أن ابن أبي لهب أصيب بشواظ في رأسه، فيعود يولول إلى أهله ويصيح، فيقول - عليه الصلاة والسلام -: " اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك"، فيخرج ويأتيه الناس فيقولون: يا فلان - قيل: اسمه قصي -.

قال: ما لكم؟

قالوا: سمعنا محمدًا يدعو عليك، ويقول: اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك.

فيولول ويقول: ما دعا دعوة إلا أصاب.

فخرج هذا المجرم يريد الشام، وكان يدخل بين السرية والقافلة إذا أرادوا أن يخلدوا للنوم.

قالوا: ما لك؟

قال: دعا عليّ محمد، وأخاف أن يسري عليّ كلب في الليل.

وعندما وصلوا إلى وادي حوران في الشام هجعوا، فنام وسطهم، فأتى الأسد - والأسد كلب من كلاب الله، الهزبر الذي له عند العرب (تسعة وتسعون) اسمًا. سيد الحيوانات - في وسط الليل وأخذ يشم النائمين، ولكنه كان مرسلاً من الله بأوصاف، فكان يشم الرجل فيرى أنه ليس فريسته فيعرض عنه، حتى وصل إلى هذا المجرم فالتقم رأسه لقمة واحدة.

﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ** ﴾.

حتى الجذع يحن إلى الرسول!!

للرسول ﷺ مع الجمادات قصص منها:

ما روى البخاري عن جابر عنه ﷺ، قال لامرأة من الأنصار: «مري ابنك النجار أن يصنع لي منبرًا فصنع له ﷺ منبرًا يخطب عليه، فلما أتى المنبر الجديد ترك ﷺ الجذع القديم، فنزل ﷺ أول جمعة يخطب، فحن هذا الجذع كصوت العشار - وهو صوت الناقة التي يموت ولدها، وبعضهم يقول كبكاء الأطفال - فينزل - عليه الصلاة والسلام - ويقطع الخطبة ويضع يده على العود فيسكته فيسكت بإذن الله.

قال الحسن البصري تعليقًا على الحديث: يا للعجب!! جذع من خشب يحن إلى الرسول ﷺ وأنتم لا تحنون ﴿ **أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ** ﴾.

بركة يد الرسول

قال جابر: استدنت من اليهود دينًا عظيمًا، فأتوا يطلبونني الدين، فما وجدت لهم سدادًا، فأتيت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله.. اليهود لهم ديون عليّ وما عندي مال.

قال: عندك تمر؟

قلت: يا رسول الله، عندي تمر قليل، والديون آلاف مؤلفة.

قال: اجمع لي التمر وآتيك.

قال: فجمعت التمر على فراش من خصف النخل، ولكنه كان يسيرًا، فأتى ﷺ فسمى ودعا الله، وسمى ودعا الله، وسمى ودعا الله، وقال: يا جابر، ادعُ اليهود وليأخذوا أثمان ديونهم من هذا التمر.

قال: فدعوتهم، فأتوا بجمالهم وحميرهم فأخذوا حتى انتهوا، وقضيت الدين ثم نظرت، فوالله ما كأنما نقص تمرة واحدة، فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: أشهد أني رسول الله، أخبر عمر بن الخطاب.

قال: فذهبت إلى عمر، فأخبرته فدمعت عيناه.

وقال: لقد علمت أن رسول الله ﷺ لما قام سوف يبارك الله في ذلك التمر.

عَنَاقُ جابر تطعم أهل الخندق

العلم النبوي الأصيل يرسخ المؤمن في الإيمان، ويزيده بصيرةً وفقهًا في الدين، وحبّاً لله ولرسوله، والمعجزات من أعظم الآيات التي تدل المؤمن على الإيمان وتزيده يقينًا.

الرسول ﷺ مع الصحابة يحفر في الخندق معه سبع مئة، وبهم من الجوع ما لا يعلمه إلا الله. يضع الحجر - عليه الصلاة والسلام - على بطنه من شدة الجوع، فلما رأى جابر (أحد الصحابة) الجوع في وجه الرسول ﷺ ذهب إلى امرأته في البيت، وقال: عندك طعام؟

قالت: «عندي ما يقارب مد شعير، وعندنا هذه العَنَاقُ (ولد الماعز) التي لا تكفي إلا لثلاثة»، فذبح جابر العناق، وقال لامرأته: «اطحني هذا الشعير واصنعيه لنا طعامًا»، ثم وضع جابر هذه العناق الصغيرة في قدر صغير من فخار، وقامت امرأته تصنع الطعام، وقالت له: «اذهب وادعُ الرسول ﷺ واثنين معه أو ثلاثة».

قال: أفعل، فأتى المصطفى ﷺ في الخندق واقترب منه، وقال بعدما أخفض صوته: «يا رسول الله، تعال أنت واثنين أو ثلاثة معك – الناس في جوع ومشقة ويتهيئون لإجابة الدعوة – فقام – عليه الصلاة والسلام – فقال: «يا أهل الخندق، إن جابر بن عبد الله صنع لكم طعامًا فهيا جميعًا» عددهم سبع مئة.

أما جابر فسُقِط في يده، فنظر إلى الرسول ﷺ، وهو يقول في نفسه: ما علمت هل يدري أم لا؟! فالله المستعان، فذهب أمام الرسول ﷺ في الطريق ودخل على امرأته يضرب على رأسه، قالت: ما لك؟

قال: الرسول ﷺ، قلت له يأتي باثنين أو ثلاثة فنادى في أهل الخندق جميعًا، وقال: يا أهل الخندق، إن جابر بن عبد الله صنع لكم طعامًا فهيا أهلاً بكم، وأقبلوا جميعًا، وكانت امرأة جابر عاقلة، قالت: رسول الله أعلم بما يقول، فأتى الرسول ﷺ إلى جابر وإلى امرأته وهو يتبسم؛ لأنه يعلم أن في البيت "حيص بيص"، يعلم أن فيه تغيرات وخوفاً، فيقول ﷺ: يا جابر: لا تنزل اللحم من على البرمة، ولا تنزلوا طعامكم حتى آتي، ثم يتقدم إلى البرمة ينفث بريقه الطاهر الطيب المبارك – بأبي هو وأمي – فينفث في الطعام ويسمي، ثم يقول: يا جابر، ادعُ الناس من عشرة عشرة فيدخل عشرة فيأكلون أكل الجائع في عام القحط، فيقوم العشرة، فيدخل عشرة ثم عشرة ثم عشرة، ثم عشرة، وكل عشرة يقومون وهذه السنة، فلما قاموا وانتهوا قام ﷺ ودعا جابرًا، وقال: تعال وهو يتبسم – عليه الصلاة والسلام – قال جابر: والله ما نقص منها لقمة واحدة، فيقول ﷺ: أشهد أني رسول الله. يا جابر، كل أنت وأهل بيتك ثم تصدق على جيرانك من هذا الطعام، قال: فتصدقنا على جيراننا، فأمسوا على لحم ومرق وطعام. ﴿ **أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ** ﴾.

ينابيع الماء

خرج - عليه الصلاة والسلام - في إحدى الغزوات، ومعه ما يقارب ألفاً وخمسمئة مقاتل، وعن جابر ألف وأربعمئة مقاتل، معهم خيول وإبل وغنم، وبعضهم عنده بقر، وبعضهم عليه جنابة.

فينتهي الماء، فيقول: هل من ماء؟

فيأتي أعرابي بدواة صغيرة فيها قليل من ماء، فيأتي الرسول ﷺ بصحفة رحراح (صحن كبير)، فيقول: صب عليّ، فيصب على أصابعه ﷺ، فيدعو الله، فيثور من أصابعه كالنهر.

يقول أنس: يثور من بين أصابعه كالغيث، فتمتلئ الصحفة ويفيض الماء على الأرض، فيأتي هذا فيعبئ قربته ويذهب، ويسقي هذا فرسه، ويغتسل هذا، ويشرب هذا، حتى ملأ كل المخيم والجيش أوانيهم، فيقول الرسول ﷺ: أشهد أني رسول الله، فنقول له: نشهد أنك رسول الله. ﴿**أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ**﴾.

شجرتان تنالان الشرف

عند مسلم عن جابر قال: ذهب جابر مع رسول الله ﷺ في سفر، - ولحظات الذهاب معه - عليه الصلاة والسلام - أغلى لحظات المسلم، أن يراه أو يجلس معه ﷺ -، قال: فأراد أن يخرج لقضاء حاجته في الصحراء، فقال: يا جابر، تعال، فقام جابر معه، فذهبا إلى الصحراء بعيدًا عن الناس. قال: فوقفت بجانبه، فقال - عليه الصلاة والسلام -: يا جابر، اذهب إلى تلك الشجرة وقل لها: يقول لك رسول الله ﷺ تعالي، فيذهب إلى الشجرة فيقول: يقول لك رسول الله تعالي - ومن أراد أن يتوسع في هذا فليراجع المجلد الثامن من كتاب (قدرة الله) لابن تيمية - فتشق الشجرة الأرض شقّاً مع جابر حتى تقف عند المصطفى - عليه الصلاة والسلام - فلما وقفت، قال: اذهب إلى تلك وقل لها تعالي، فيذهب جابر ويقول: إن الرسول ﷺ يقول: تعالي، فتشق الأرض حتى تصل إلى الرسول ﷺ، فيقضي ﷺ حاجته، ثم يقول: يا جابر، قل لهما اذهبا، فيقول: اذهبا، فتذهب كل شجرة إلى مكانها.

يقول جابر- وهو يروي الحديث إلى الصحابة -: والذي أعطاني بصري وأخذه لقد رأيتهما تشقان الأرض شقاً.. ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ﴾.

نشهد أنك رسول الله، وأنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة.

قطرة دم تقتل أبي بن خلف

يقف - عليه الصلاة والسلام - في معركة أُحد، فيقول الصحابة: يا رسول الله، أحد المشركين من قريش اسمه أبي بن خلف أقسم أن يقتلك، قال: أنا أقتله إن شاء الله.

وأبي بن خلف قال لكفار قريش: يا قريش، اعفوني من القتال يوم أحد وأنا أقتل لكم محمدًا، فأخذ سيفًا ورمحًا وخنجرًا فسمّها جميعًا، فلما انتهت المعركة وأصيب الرسول ﷺ بالجراح، وأصبح فاترًا من كثرة ما قاتل هو وأصحابه، انحدر أبي بن خلف على فرسه من الجبل، فصلى - عليه الصلاة والسلام - بالمسلمين صلاة العصر، وبه من التعب والإعياء ما لا يعلمه إلا الله، فلما سلَّم من الصلاة إذا بهذا المجرم منحدرًا من الجبل يريد الرسول ﷺ، فقام الصحابة يريدون أن يعترضوه، والصحابة من أشجع الناس مهاجرين وأنصارًا، قال ﷺ: دعوه، أنا أقتله إن شاء الله، أعطوني حربة، فناولوه الحربة، وذلك المجرم يعلم أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - أو أن الصحابة سوف يرمونه فجعل على جسمه درعين، درعاً أعلى، ودرعاً أسفل، وما ترك إلا كالدرهم، فاقترب من الرسول ﷺ، فهز ﷺ الحربة، وقال: بسم الله، ثم أرسلها فأصابت هدفها فقطرت قطرة دم فوقع بين رجلي فرسه فحمله الكفار يسحبونه قالوا: ما عليك.. ما عليك، إنما هي قطرة دم، قال حالفًا: لو كان بأهل سوق المجاز هذه القطرة لماتوا جميعًا، فمات بعد ليلة واحدة.

وهذه من معجزاته عليه الصلاة والسلام.

مهمة سرية تضمن لحذيفة الجنة

يأتي ﷺ في ليلة مظلمة بعد أن حفر الخندق وهبت ريح شديدة، وأظلم الليل وتحزب الأحزاب حول المدينة، فيقول - عليه الصلاة والسلام -: «من يأتيني بخبر

القوم (يعني الكفار) وله الجنة»؟ فيسكت الناس، فهم في جوع وفي خوف وفي قتل، والليلة مظلمة، حتى يقول حذيفة: والله إني أمدُّ يدي فما أراها.. ﴿ **إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا** ﴾.. قال - عليه الصلاة والسلام -: «من يذهب إلى الكفار، وأضمن له الجنة؟، فسكتوا جميعًا، فقال ﷺ: أين حذيفة؟ - وهو وسط الناس جائع، وهم في قتال في خوف - فقلت: أنا يا رسول الله.

قال: اذهب إلى القوم.

يقول: سمعًا وطاعةً.. لبيك يا رسول الله وسعديك، فقمت وأنا أكاد أن أهلك من البرد، ولما استويت واقفًا ذهب عني ذلك البرد، وكأني تحت الشمس، ببركة الرسول ﷺ، فذهبت.. مرة أحبو، ومرة أمشي، حتى نزلت من عند الخندق، فأتيت إلى القوم وهم في شر ليلة، الرياح ما تركت لهم قدرًا إلا كفأته على الأرض، ولا خيمة إلا اقتلعتها، ورأيت أبا سفيان وحوله قادات المشركين، فسمعت أبا سفيان يقول:

يا أيها الناس، إني لا آمن من محمد أن يرسل علينا جاسوسًا، إني لا آمن من محمد أن يرسل علينا في هذه الليلة الظلماء، فليتفقد كل واحد منكم من بجانبه أو صاحبه.

فأسرعت قبل أن يبادرني من كان بجانبي، وقلت لمن كان على يميني: من أنت؟ قال: فلان، ثم التفت على من كان على يساري، وقلت له: من أنت؟

قال: فلان، قلت: اسكتا - سكتًا إلى غير رجعة - فلما سكتا رجع حذيفة في الليل فأخبر الرسول ﷺ فضمن له الجنة.

كنوز كسرى وقيصر

نزل - عليه الصلاة والسلام - إلى الخندق، وإذا بصخرة من أعظم الصخرات في داخل الخندق بركت وقد عجز الصحابة عن قلعها، فقالوا: يا رسول الله، هذه الصخرة أتعبتنا، فأخذ ﷺ المعول بيده الشريفة، فنزل - عليه الصلاة والسلام - فضرب أول ضربة فلمع بارق في السماء، وانكسرت الصخرة،

قال: لقد رأيت قصور كسرى وسوف يفتحها الله، وضرب ضربة أخرى فلمع بارق في السماء. قال: لقد رأيت قصور قيصر وسوف يفتحها الله، وأُريت الكنزين الأبيض والأحمر (الفضة والذهب) وسوف تغنمها أمتي أو تستولي أمتي أو كما قال ﷺ: فيخرج - عليه الصلاة والسلام - وقد كسر الصخرة، والمنافقون يضحكون ويتغامزون - انظر إلى النفاق، أعوذ بالله منه، وهم في الدرك الأسفل من النار، قالوا: محمد يمنينا بملك كسرى وقيصر والواحد منا لا يستطيع أن يبول بين النخل من الخوف - ﴿ **وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً** ﴾، وبعد سنوات تمتلك أمته ﷺ قصور كسرى وقيصر.... ﴿ **أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ** ﴾.

وما علّمناه الشعر

كان - عليه الصلاة والسلام - يستشهد أحيانًا بالأبيات، وهو ليس بشاعر، والله يقول:

﴿ **وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ** ﴾..

لأنه لو كان ينظم الشعر، لقالت قريش: القرآن نظمه. جل كتاب الله عن الافتراء..

﴿ **وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا** ﴾،

فكيف لو كان ينظم الشعر!!

وكان أحيانًا إذا استشهد بالأبيات - عليه الصلاة والسلام - كان يكسرها - ما كان يأتي بها مستقيمة ﷺ، وهو أفصح الناس.

قسّم الغنائم بين سادات العرب، فأعطى سيد غطفان عيينة بن حصن مئة ناقة، وأعطى سيد بني تميم مئة ناقة، وأعطى عداس بن مرداس خمسين ناقة، وهذا سيد مثل سابقيه، ولكن لماذا نقصه خمسين ناقة؟!.. لأنه انتهى العدد عند الرسول ﷺ، فوجد في نفسه هذا الرجل، فعمل أبياتًا وقال:

أتجـعل نهـبي ونهب العـبـيـد

بـين عـيـيـنـة والأقـــرع

ومـا كــان حـصنٌ ولا حـابسٌ

يفـوقـان مـرداس في مـجـمـع

يقـول لماذا تعطيني أقل منهمـا؟!، وأبواهمـا مـا كـانا يفـوقـان أبي في المجـامع العامة، فتبسم - عليه الصلاة والسلام - وأخذ يردد الأبيات ويقول:

أتجـعل نهـبي ونهب العـبـيـد

بـين الأقـــرع وعـيـيـنـة

والبيت: (بين عيينة والأقرع) حتى يستقيم، فتبسم أبو بكر، وكان رجلاً أديبًا فصيحًا، وقال: صدق الله ﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ**﴾، فما كان يحفظ الأبيات.

سبحان الله! هذا الكتاب العظيم الذي أنزله الله عليه، وهو لا يكتب ولا يقرأ، ومع ذلك كل القرآن في صدره.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾.

سبحان الله - ما كان يعرف يكتب: محمد بن عبد الله!، وإذا قلت له:

اكتب: بسم الله، ما استطاع، ومع ذلك أتى بهذه الحكمة، وهذه الشريعة، وهذا الدستور وهذا الحديث - عليه الصلاة والسلام - وما يسقط حرفًا من القرآن، ومع ذلك ما كان يحفظ الشعر.

صاعقة حسان بن ثابت

توعَّد حسان بن ثابت المشركين في قصيدة رنانة طنانة قوية ساحقة في غزوة الفتح.

يقول حسان في قصيدته البديعة، جمّل الله حياته، وقد فعل وبيض الله وجهه، يقول:

عَـــدِمْنَا خَـــيْلَنا، إنْ لم تَرَوْهَا

تُثِـيـرُ النَّقْعَ، مَــوْعِـدُها كَـدَاءُ

يقول:

اللهم لا تجعل خيلنا تعود علينا إذا ما نثرت الغبار على رؤوس المشركين.

تَظَلُّ جِـيَـادُنَا مُـتَـمَطِّرَاتٍ،

تُلَطِّمُـهُنَّ بِالخُـمُـرِ النّسَـاءُ

ثم التفت إلى أبي سفيان، وقال:

أتهـجـوه ولست له بكفءٍ

فشركما لخيركما الفداء

هجوت محمداً فأجبت عنه

وعند الله في ذاك الجزاء

أتهـجـوه ولست له بكفءٍ

فشركما لخيركما الفداء

هجوت مباركًا براً حنيفًا

أمين الله شيمته الوفاء

فمن يهجو رسول الله منكم

ويمدحه ويهجوه سواء

فــــــإن أبـي ووالـده وعـــــــرضـي

لعـــرض مـــحـــمـــد منكم وقـــاء

فكان جزاؤه الجنة، وقد كان - عليه الصلاة والسلام - يقرب المنبر لحسان في المسجد ويقول: اجلس اجلس.. اهجهم وروح القدس يؤيدك.

يقول: اهج المشركين ومعك جبريل يؤيدك، فكان حسان ما يحضّر في البيت القصائد، ولا يتذكر، وإنما يجلس على المنبر ويأتيه الشعر مثل السيل، فلمّا قال قصيدته القوية عن المشركين أتى بعد سنة ففتح الرسول عليه الصلاة والسلام مكة - وأسقطها في يديه من أربعة أماكن. خالد بن الوليد من جهة، والزبير من جهة، وسعد بن عبادة من جهة، والرسول - عليه الصلاة والسلام - من جهة، وفجأة وإذا بخيل خالد تدخل وتخترق مكة، ويخرج النساء مثل الصورة التي ذكرها حسان في الأبيات:

تَظَلُّ جِـــيَـــادُنَا مُـــتَـــمَطِّرَاتٍ،

تُلَطِّمُـــهُنَّ بِالخُـــمُـــرِ النِّسَـــاءُ

فخرج نساء مكة يضربن الخيول بالخمر من المصيبة، فتبسم ﷺ لما رأى هذا الحادث، فيقول لأبي بكر وهو حوله:

"كيف يقول حسان؟"

قال: يقول يا رسول الله:

تَظَلُّ جِـــيَـــادُنَا مُـــتَـــمَطِّرَاتٍ،

تُلَطِّمُـــهُنَّ بِالخُـــمُـــرِ النِّسَـــاءُ

نصر موسى عليه السلام

أتى عبد الله بن رواحة إلى الرسول ﷺ، وقال:

يا رسول الله، اسمع مني أبياتًا قلتها فيك.

قال: قل.

قال ابن رواحة:

فثبت الله ما آتاك من حسن

تثبيت موسى، ونصراً كالذي نُصروا

قال: "وإياك فثبت".

يقول: أسأل الله أن يثبت ما آتاك من حسن، مثلما ثبت موسى - عليه الصلاة والسلام - ونصرًا مثلما نصر موسى.

قال عليه الصلاة والسلام: "وإياك فثبت".

فثبته الله حتى مات شهيدًا.

ذكريات محزون

استقبل - عليه الصلاة والسلام - قبائل العرب، فدخل النابغة الجعدي - الجعدي اسمه أبو ليلى - فجلس عند الرسول ﷺ، وهو في الثمانين من عمره، فقال: يا رسول الله، عندي أبيات نظمتها فيك.

قال: قل.

وهذا الرسول ﷺ واسع الصدر، حليم.

بعض الناس تجده ضيقًا لا يسمع الدعابة، ولا يسمع القصائد، ولا يسمع سوالف الناس، لكن هذا البحر الحليم الذي بعثه الله - عز وجل - رحمة للناس يسمع أخبار الناس؛ لأن الإنسان يتأثر، فلذلك من أدب الدعوة أن تستمع إلى الناس في أخبارهم وقصصهم هذا من اللطف.

يقول جابر بن سمرة:

كان ﷺ يجلس معنا بعد الفجر في المسجد فنتحدث في أخبار الجاهلية فيستمع ويضحك ويبتسم، وروي عنه - عليه الصلاة والسلام - أن الناس إذا تحدثوا في الدنيا تحدث معهم، وإذا تحدثوا في المال تحدث معهم حتى إذا جاءت الغيبة يسكت ويأمر الناس بالسكوت. هذا هو أدبه ﷺ.

قال النابغة: قلت يا رسول الله فيك أبياتًا.

قال ﷺ: قل.

فقال النابغة:

تذكرت والذكرى تهيج على الفتى

ومن عادة المحزون أن يتذكرا

قال ﷺ: هيه (يعني زدني).

فقال:

فلما كسرنا النبع بالنبع لم تكن

على البعد في عيدانه أن تكسرا

(يمدح قومه) يقول:

سقيناهم كأسًا سقونا بمثلها

ولكننا كنا على الموت أصبرا

وننكر يوم الروع ألوان خيلنا

من الضرب حتى نحسب الشقر أحمرا

يقول: يوم الهول نقاتل الأعداء حتى تتلطخ خيولنا البيض بالدم، حتى نظن الشقراء حمراء مصبوغة، ثم يقول:

بلغنا السما جوداً ومجداً وسؤدداً

وإنَّا لنرجو فوق ذلك مظهراً

يقول يا رسول الله: أنا وقومي بلغنا السماء من الكرم، وعسانا نبلغ فوق السماء، فتبسم عليه الصلاة والسلام وقال:

"إلى أين يا أبا ليلى؟ ".. يقول إذا اخترقت السماء أين تذهب؟

قال: إلى الجنة يا رسول الله.

قال - عليه الصلاة والسلام -: "لا فض فوك".

فبقي مئة وعشرين سنة ما سقط له ضرس ولا سن بدعوة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

أسلم شعره وكفر قلبه

عند مسلم في الصحيح عن عمرو بن الشريد، قال:

«ركبت خلف الرسول - عليه الصلاة والسلام - على بغلته ردفه - وراءه مباشرة. ملاصق جسمه جسمي - فلما مشينا قليلاً - انظر: من هو هذا الراكب؟. رسول الهدى - عليه الصلاة والسلام - معلم البشرية. سيد الخلق. شفيع الناس يوم القيامة. الذي ما خلق الله أفضل منه -.

قال لي: يا عمرو بن الشريد، أتحفظ لأمية بن الصلت شعرًا؟! - أمية ابن الصلت من أهل الطائف مات كافرًا، آمن شعره وكفر قلبه؛ لأنه كان يرجو أن ينزل الله عليه النبوة، فلما جعل الله النبوة في الرسول - عليه الصلاة والسلام - حسده وكذب دعوته ومات كافرًا -.

قال: أتحفظ له شعرًا؟

قلت: نعم، يا رسول الله.

قال: هيا أنشدني.

فأنشدته بيتًا من أبيات أمية بن الصلت:

شـــــهـــــدت بأن وعــــد الـلـه حق

وأن الـنـار مــــثـــوى الـكـافـــريـنـا

وأن الـعــــرش فـــــوق الماءِ طـافٍ

وفـــوق الـعـــرش رب الـعـــالمـيـنـا

فليته استمر، ولكن نسأل الله لنا ولكم الثبات.

﴿ **يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء** ﴾.

قال ﷺ: هيه.

حتى أنشدته مئة بيت.

مكره أخاك لا بطل

الشعر الجميل لا بأس أن ينشد، ويستشهد به، فإنه يدعو الكريم إلى الكرم، ويحجب البخيل عن البخل، ويدعو الذليل أو الجبان أن يعود إلى المعركة.

يقول معاوية بن أبي سفيان:

والله لقد كدت أفر يوم صفين ما حبستني إلا بعض الأبيات.

التقى هو وعلي بن أبي طالب يوم صفين، فارس الصف الأيمن علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه –، وفارس الصف الأيسر معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما وأرضاهما – وجمعنا بهما في الجنة، فلما التقيا خرج علي رضي الله عنه – وأنتم تعرفون من هو علي بن أبي طالب – خرج بالسيف وخلع درعه من على جنبه، وقال: من يبارز؟.

وخلع الدرع علامة الشجاعة. بل أقصى الشجاعة، إذا خلع البطل من العرب درعه فليس هناك أشجع منه.

ولما قال: من يبارز. هابه الناس.

كان أهل الشام ثمانين ألفًا ما استطاع أحد أن يبارزه.

قال: من يبارز؟.

قال الناس لمعاوية: نسألك بالله أن تبارزه.

قال ما أستطيع، لو كان غير علي لفعلت، لكن من يبارز أبا الحسن؟.

قال معاوية: يا عمرو بن العاص، قم بارزه.

قال: لا.

قال: عزمت عليك أن تبارزه - والمبارزة هي المصارعة قبل المعركة أمام الناس.

فقام عمرو بن العاص، فلما رأى علي بن أبي طالب ألقى سيفه في الأرض، وقال:

"مكره أخاك لا بطل"، وهو أول من قال هذا المثل.

ولما بدأت المعركة انهزم في أول اليوم معاوية، وفر ببغلته، فلما أصبح وحده في الصحراء تذكر أبياتًا لابن الأطناب الحجازي، يقول:

وقولي كلما جَشَأت وجاشت

مكانك تحمدي أو تستريحي

وإعطائي على المكروه مالي

وضربي هامة البطل المشيح

إلى آخر ما قال. قال: فتذكرت هذه الأبيات فعدت للمعركة، وتم وما تم.

متى استعبدتم الناس؟

روى أهل التفسير أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان يتفقد أمراءه وولاته.

وقد كان يرسل الجواسيس ليعرف هل يغدرون؟.

هل يخونون؟.

هل يظلمون؟.

هل يؤدون حقوقهم؟.

حتى يحاسبهم يوم عرفة. يوم الحج الأكبر. يجمع الحجاج، ويأتي بالأمراء.

فيقول: يا أهل العراق، ماذا ترون في أميركم؟ - والدرة في يد عمر للمحاسبة والجلد.

فإن جلدوا أناسًا. جلدهم عمر، وإن أخذوا الأموال ردّها، حتى جاءه رجل مصري من بين الناس، قال: يا أمير المؤمنين، أشكو إليك ابن أميرك في مصر محمد بن عمرو بن العاص.

قال: ماذا فعل؟

قال: سابقته بفرسي وهو على فرسه فسبقته فضربني، وقال: أتسبقني وأنا ابن الأكرمين !!

قال عمر: أوَّه!.. يعني: (ما هذا ديكتاتورية، بسبب أن فرسك سبقت فرسه يضربك)..

إليّ به. فأتوه به.

فقال: قف هنا، فوقف.

قال: إليّ بعمرو بن العاص، فأتوا به.

قال للصحابة: والله الذي لا إله إلا هو: لا يحول بيني وبينهما أحد - وإذا حلف عمر حلف -

حـتى وضـعت يميني مـا أنازعـهـا

في كف ذي نفـحـات قـوله القـيل

فأخذ الدرة (العصا)، ثم أتى بعمرو بن العاص، فأمسكه باليسرى وأخذ يجلده، ويقول: "متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟"، ثم ضربه وأخذ على ابن الأكرمين فتوطاه وجعل ركبته على صدره، فضربه، وقال للمصري: هل رضيت؟

قال: نعم، رضيت يا أمير المؤمنين.

فمن مبلغ الحسناء؟!

روى أهل التفسير أن عمر - رضي الله عنه وأرضاه - ولّى الصحابي النعمان ابن عدي. ولاَّه على ميسان قريب من البصرة.

وفي ليلة من الليالي أخذ ينشد أبياتًا، وهو رجل صالح، ولكن فلتت منه أبيات، وما يدري أن هذه الأبيات سوف تبلغ عمر في المدينة ويحاسبه عليها. يقول:

فـمن مـبلغ الحـسناء أن حليلها

بميـسـان يسـقى في زجـاج وحنتم

فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني

ولا تسـقني بالأصـغـر المتـثلم

لعل أمـيـر المؤمنين يسـوؤه

تنادمنا في الجـوسق المتـهـدم

يقول: من يبلغ زوجتي في المدينة أني أشرب الخمر في الحنتم؟ فبعدما كنت أشرب اللبن والماء منَّ الله عليّ بالإمارة حتى أصبحت أشرب في الزجاج الخمر.

ويقول: ربما لو بلغت هذه الأبيات عمر ساءه، وغضب علينا عندما نتنادم في الجوسق (الخيمة المتهدمة الأطراف).

ولكن هذه الأبيات بلغت، فقال عمر: إليّ به، فوفد، فأخذ عمر العصا، وقال: من الذي يقول؟:

من مبلغ الحسناء أن حليلها

بميسان يسقى من زجاج وحنتم

لعل أمير المؤمنين يسوؤه

تنادمنا بالجوسق المتهدم

قال: أنا يا أمير المؤمنين.

قال عمر: والله لقد ساءني، فكيف تقول هذا؟ عليك حد شارب الخمر.

قال: يا أمير المؤمنين، والله ما شربتها، والله لا تدخل لي بطنًا، وأسأل الله أن يقتلني شهيدًا، والله يقول:

﴿ **وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ** ﴾.

قال عمر: أما هذا فقد أسقطت الحد عنك بهذه الآية، ولكن والله لا تلي لي إمرةً بعدها أبدًا، فعزله، فذهب، وقتل في تستر شهيدًا في سبيل الله.

بيت شعر يعصم الدماء

اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة الرسول ﷺ يريدون الخلافة؛ لأنهم كانوا يظنون أن الخلافة في الأنصار، فهم الذين نصروا الرسول - عليه الصلاة والسلام - بينما الخلافة لا تكون إلا في قريش، فأتى عمر، وقال:

يا خليفة رسول الله، أدرك الأنصار في سقيفة بني ساعدة، فذهب أبو بكر وعمر وأبو عبيدة، فدخلوا عليهم وهم مجتمعون، فحاول عمر أن يتكلم فما سمعوه، فقام أبو بكر يتكلم، وكان فصيحًا نسيبًا لين القول، فقال:

اسكتوا أيها الناس، فسكتوا. قال:

آويتمونا ونصرتمونا وأكرمتمونا وواسيتمونا، والله ما مثلنا ومثلكم إلا كما قال طفيل الغنوي في قبيلة بني جعفر، يستشهد بأبيات عَلَّ الله أن يهديهم. انظر ما أحسن الأبيات. قال:

جَزَى الله عنّا جعفراً حين أزلفت

بنا نَعلنا في الواطِئينَ فزلّتِ

هُمُ خَلطُونا بالنُّفوس وألجؤوا

إلى حجرات أدفأت وأظلَّت

أبوا أنْ يَملّونا ولو أنّ أُمَّنا

تُلاقِي الذي يَلقَون مِنَّا لملَّتِ

فذُو المالِ موفورٌ وكلٌّ مُعَصَّب

إلى حُجُرات أدفأت وأظلت

وقالوا هَلُمَّ الدَّارَ حتى تبيَّنوا

وتنجَلي العَمْياءُ عمَّا تجلَّتِ

ومن بَعدِما كنَّا لسلمَى وأهلِها

قَطِينًا وملَّتنا البلادُ ومُلَّتِ

سنجزي بإحسانِ الأيادي التي مَضت

لها عِندنا ما كبَّرَت وأهَلّتِ

فلما سمعوا الأبيات دعوا لأبي بكر، وسمعوا كلامه، ثم بايعوه بالخلافة.

يقول عمر: يعجبني الرجل أن يقدم أبياتًا بين يدي حاجته؛ ولذلك فإن الشحاذ الآن عند السلطان إذا أراد شيئًا من الدنيا ينظم ستين بيتًا: أنت يا بركة العصر، ويا فاتح الدنيا، ويا خاتم الرسل، ويا روح القدس، فيعطيه، فلذلك أهل الحق أولى.

كأنك في جفن الردى

الله أرسل موسى وهارون فلما أصبحا في الطريق نبههما الله، قال:

﴿ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾.

والشعر سحر يقلب المعايير، فأحيانًا يكون الظالم مظلومًا، والمظلوم ظالمًا بسبب الأبيات والبيان.

يقولون: إن سيف الدولة بن حمدان بطل من أبطال المسلمين، كان في حلب. قاتل الروم ما يقارب من ستين معركة وانتصر فيها جميعًا، وهو الذي يقول فيه المتنبي وهو يمدحه:

وقفت وما في الموت شكٌ لواقف

كأنك في جفن الردى وهو نائم

يقول: - سبحان الله - كأن الأسد نائم وكأنك في جفنه!!، كيف لم تمت وأنت دائم المعارك!!

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ فالجبناء يموتون، وأما الشجعان فتوهب لهم الحياة.

يقول أبو بكر الصديق لخالد:

«اطلب الموت توهب لك الحياة».

يقول دومًا: «حاول أن تلقي بنفسك في المعارك توهب لك الحياة».

وخالد بن الوليد خاض مئة معركة ومات على فراشه، حتى قال:

«يا ليتني مت شهيدًا، فوالله ما في جسمي شبر إلا به طعنة برمح، أو ضربة بسيف، أو رمية بسهم في سبيل الله».

تسعون معركة مرت محجلة

من بعد عشر بنان الفتح يحصيها

فخالد في سبيل الله مشعلها

وخالد في سبيل الله مذكيها

فالمقصود يقول المتنبي لهذا البطل المسلم:

وقفت وما في الموت شكٌّ لواقفٍ

كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة

ووجهك وضاح وثغرك باسم

يقول: تتبسم في المعركة والأبطال أسارى أمامك مقيدون بالسلاسل. الأعداء يمرون أمامك وأنت تتبسم، ثم يقول:

نثرتهم فوق الأحيدب نثرة

كما نثرت فوق العروس الدراهم

يقول نثرت الأبطال فوق الجبل مثلما تنثر الدراهم على العروس.

والقصيدة طويلة ومنها:

عَلى قَدْرِ أهْلِ العَزْمِ تأتي العَزائِمُ

وَتأتي علَى قَدْرِ الكِرامِ المَكارِمُ

وَتَعْظُمُ في عَينِ الصّغيرِ صغارُها

وَتَصْغُرُ في عَينِ العَظيمِ العَظائِمُ

يُكَلّفُ سيفُ الدّوْلَةِ الجيشَ هَمّهُ

وَقد عَجِزَتْ عنهُ الجيوشُ الخضارِمُ

وَيَطلُبُ عندَ النّاسِ مـا عندَ نفسِـهِ
وَذلكَ مـا لا تَدّعـيـهِ الضّـراغِمُ
يُفَـدّي أتَمُّ الطّيـرِ عُـمْـرًا سِلاحَـهُ
نُسُورُ الفَـلا أحـداثُهـا وَالقَـشـاعِمُ
وَمـا ضَـرّها خَلْقٌ بغَيـرِ مَـخـالِبٍ
وَقَـدْ خُلِقَتْ أسـيـافُـهُ وَالقَـوائِمُ
هَلِ الحَـدَثُ الحَـمـراءُ تَعـرِفُ لوْنَهـا
وَتَعْلَمُ أيُّ السّـاقِـيَـيْنِ الغَـمَـائِمُ
سَقَـتْهـا الغَـمَـامُ الغُـرُّ قَبلَ نُزُولِهِ
فَلَمّا دَنَا مِنها سَقَتها الجَماجِمُ
بَنَاهَا فـأعْلى وَالقَنَا يَقْـرَعُ القَنَا
وَمَـوْجُ المَنَايَا حَـوْلَهـا مُـتَـلاطِمُ
وَكـانَ بهَـا مِـثْلُ الجُنُونِ فـأصْـبَحَتْ
وَمِنْ جُـثَثِ القَـتْلى عَلَيْـهـا تَمـائِمُ
طَـريدَةُ دَهْـرٍ سـاقَـهـا فَـرَدَدْتَهَـا
على الـدّينِ بالخَـطّيّ وَالدّهْـرُ رَاغِمُ
تُفـيتُ اللّيـالي كُلَّ شيءٍ أخَـذْتَهُ
وَهُنّ لِمَا يأخُـذْنَ منكَ غَـوَارِمُ
إذا كـانَ مـا تَنْوِيهِ فِعْـلاً مُـضـارِعًا
مَـضَى قَـبلَ أنْ تُلقى عليـهِ الجَـوازِمُ

وكـيفَ تُرَجّي الرّومُ والرّوسُ هدمَـها
وَذا الطّعْنُ آســاسٌ لـهَــا وَدَعــائِمُ
وَقَــد حــاكَـمُــوهَا وَالمَنَايَا حَــوَاكِمٌ
فَـمـا مـاتَ مَظلُومٌ وَلا عـاشَ ظالِمُ
أتَوْكَ يَجُــرّونَ الحَــديدَ كَــأنّمَــا
سَــرَوْا بِجِــيَــادٍ مــا لَهُنّ قَــوَائِمُ
إذا بَرَقُــوا لم تُعْـرَفِ البِـيضُ منهُمُ
ثِيــابُهُمُ من مِـثْلِهــا وَالعَـمَــائِمُ
خـميسٌ بشرْقِ الأرْضِ وَالغربِ زَحْفُهُ
وَفي أُذُنِ الجَـــوْزاءِ مـنـهُ زَمَـــازِمُ
تَجَـــمّعَ فــيـــهِ كلُّ لِسْنٍ وَأُمّـــةٍ
فَـمَــا تُفْـهِمُ الحُـدّاثَ إلا التــراجمُ

لجام النفس

ودعا سيف الدولة المتنبي، فقال:

نريد أن نخرج لغزوة، فأخذ فرسه، وقال:

أُصَــرّفُ نَفْـسِي كَـمَــا أشْــتَـهِي
وَأمْـلِكُهَـــا وَالقَـنَا أحْــــمَــــرُ

يقول: عندما تكون السيوف تقطر دمًا فإنني أملك نفسي في المعركة ولا أفر.

ويقول:

رِضـــــاكَ رِضـــــايَ الّـذي أُوثِـرُ
وَسِـــرُّكَ سِـــرّي فَـــمــا أُظْهِـــرُ
كَـــفَـــتْكَ المُرُوءَةُ مـــا تَتّـــقي
وَآمَـنَـكَ الـوُدُّ مَـــــا تَـحْـــــذَرُ
وَسِـــرُّكُمُ في الحَـــشَـــا مَـــيّتٌ
إذا أُنْشِـــرَ السّـــرُّ لا يُنْشَـــرُ
كَـــأنّي عَـــصَتْ مُـــقْلَتي فـــيكُمُ
وَكَـــاتَمَتِ القَلْبَ مَـــا تُبْـــصِـــرُ
وَإفْـــشَـــاءُ مَـــا أنَا مُـــسْـــتَـــوْدَعٌ
مِنَ الغَـــــدْرِ وَالحُـــــرُّ لا يَغْـــــدُرُ
إذا مَـــــا قَـــــدَرْتُ عَلى نَطْقَـــــةٍ
فَـــإنّي عَلى تَرْكِـــهَـــا أقْـــدَرُ
أُصَـــرّفُ نَفْـــسِي كَـــمَـــا أشْـــتَـــهي
وَأمْلِكُهَـــــا وَالقَـنَا أحْـــــمَـــــرُ
دَوَالَيْكَ يا سَـــيْـــفَـــهَـــا دَوْلَةً
وَأمْـــرَكَ يا خَـــيْـــرَ مَنْ يَأمُـــرُ
أتَاني رَسُـــولُكَ مُـــسْـــتَـــعْـــجِـلاً
فَلَبّـــاهُ شِـــعْـــرِي الذي أذْخَـــرُ
وَلَوْ كَـــانَ يَوْمَ وَغىً قَـــاتِمًـــا
لَلَبّـــاهُ سَـــيْـــفِيَ وَالأشْـــقَـــرُ
فَـــلا غَـــفَلَ الدّهْرُ عَن أهْلِـهِ
فَـــإنّكَ عَـــيْنٌ بِـهَـــا يَنْظُرُ

إلى آخر ما قال، وهذه من إبداعاته الشعرية الجميلة.

بيت شعر يدمر غطرسة صاروخ

اليمن هذا الشعب المسلم هاجمته بريطانيا قبل سنوات. هاجمته من عدن تريد احتلال اليمن، فدخلت بالدبابات، وأتت بالطائرات ترشق هذه المدن المسلمة، وتضرب صنعاء، فأتى أحد العلماء وقال لخطيب الجامع في صنعاء:

أريد منك الخطبة هذا اليوم أقدم قصيدة للناس.

قال: خذها.

فجاء بالخطبة كلها قصيدة طنانة رنانة رائعة، يقول فيها يخاطب الشعب لكي يحمسهم لقتال بريطانيا، وقد كانت الطائرات في أثناء الخطبة ترمي القصور، وترمي الشوارع بالصواريخ والقنابل، فيقول:

يا بريطانيا رويداً رويداً

إن بطش الإله كان شديداً

انظر إلى قوة الاتصال مع الله ﴿**إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾.

يا بريطانيا رويداً رويداً

إن بطش الإله كان شديداً

إن بطش الإله أهلك فرعون

وعاداً من قبلكم وثموداً

لا تظنوا هدم المدائن يودي

عزمنا أو يلين بأساً صلوداً

لا تحسبوا إذا هدمتم المدائن أننا نموت..

إن تبيدوا من البيوت

بطيارتكم ما غدا لدينا مشيدا

فلنا في الجبال تلك بيوت

صنعتها أجدادنا لن تبيدا

فـــــــــالـنـزال الـنـزال إن كـنـتـم

ممن لـدى الحـرب لا يخـاف البـنودا

يقول للطيارين في الجو: انزلوا إن كنتم رجالاً شجعانًا، انزلوا لنا في الأرض، لأنهم يقولون في المثل العربي:

"مر ذئب من سكة وتيس على سقف البيت، فأخذ التيس يتوعد الذئب، ويقول:

إما تتأدب وإلا نزلت عليك، فيقول الذئب للتيس:

«والله ليست شجاعتك، ولكن مكانك هو الذي شجعك»، يعني مكانك لأنك فوق السقف وأنا في الشارع.

ولذلك بعض الناس إذا تربع على الكرسي أصبح شجاعًا:

ستعرف حين ينقشع الغبار، أتحتك فرس أم حمار.

فالمقصود بقول هذا الشاعر اليمني:

انزلوا من الطائرات، نحن لا نعرف كيف نصعد للطائرات، ولكن نعرف كيف نقاتل في الأرض.

فـــــــــالـنـزال الـنـزال إن كـنـتـم

ممن لـدى الحـرب لا يخـاف البـنودا

لـتـــروا من يـبـــيـت منـا ومـنـكـم

مـوثقـًا عند خـصـمـه مـصـفـودا

مـــا خــــضـــعـنا لـلـتـــرك..

تركيا الدولة العثمانية دخلت البلاد إلا اليمن..

مـا خـضـعـنا للـتـرك مع قـربهم

في الدين منا فكيف نرضى البـعـيـدا

وهـم في الأنـام أشـــجع جـيـــشًـــا

فــاســألوهـم هل صــادقــون فــهــودا

افـــتـــرجـــوا إنكلتـــرا مـن بلاد

الله تبّـــاً لســعـــيــهـــا أن تبـــيــدا

يا بني قومنا.. (انظر إلى النداء الخالد كأنه نداء إلى الجنة)

يا بني قـــومنا ســـراعًـــا إلى الله

فـــقـــد فـــاز من يموت شـــهـــيـــدا

ســـارعـــوا ســـارعـــوا إلى جنةٍ

قـد فـاز مـن جاءهـا سعـيـداً شـهـيـدا

والـبـــسـوا حلة مـن الكفـن الغـــالي

وبيـعـوا الحـيـاة بيـعًـا مـجـيـدا

وبعد قصيدته هذه خرج ما يقارب مائة ألف مقاتل، وسحقوا قوات بريطانيا ولم تدخل اليمن.

هي الأمة إذا اعتصمت بالله عز وجل.

جوهر الكلام

علي بن موسى الرضي من أولاد أولاد علي بن أبي طالب، كان ولي العهد للمأمون في الدولة العباسية، وكان رجلاً فيه خير كثير، وكان رئيسًا سلطانًا مطاعًا، فقيل للحسن بن هاني أحد الشعراء:

«مدحت الوزراء كلهم إلا ابن علي بن أبي طالب، وهو الذي يستحق المدح، فقال فيه مقطوعة من أجمل ما قيل، ويقال هي من أمدح ما قيل:

قـــــيـل لي أنت واحــــد الـنـاس

في كل مـــعـنى مـن الكلام بـديـهي

لك في جـوهر الكلام بديع

يجتني الدر في يدي مجتنيه

فعلام تركت مدح ابن موسى

لخصاله التي تجمعن فيه

قلت: كيف أهتدي لمدح إمام

كان جبريل صاحبًا لأبيه

هل قرأتم أحسن من هذا؟

يقول: أنا أعرف كيف أمدح الناس الذين مثلي وعلى شاكلتي، أما أنت فلا أعرف كيف أمدحك، أما أنت فلا أستطيع. أنت وأبوك صاحب جبريل (يعني الرسول ﷺ).

قال:

كيف أهتدي لمدح إمام

كان جبريل صاحبًا لأبيه

والصحيح أنه قال في بيته:

كان جبريل (خادمًا) لأبيه.

فأنا حولت الكلام والذهبي حوله، والصحيح أن يقول:

كان جبريل صاحبًا ومعلمًا، فهو قالها في القصيدة لكن حولناها:

وكيف أهتدي لمدح إمامٍ

كان جبريل صاحبًا لأبيه

بين حاتم ومادر

في آخر الزمان يتكلم الرويبضة الذي ما كان له قدر في الناس، يعني يسود غير المسود، ويوكل الأمر إلى غير أهله.

أتى أبو العلاء المعري بأبيات يتكلم فيها عن ذلك، يوم يقدم الذليل ويؤخر الكريم، ويصعد الذَنَب إلى الرأس، ويتأخر الرأس إلى الذنب، وهي من علامات الساعة، حتى تجد البيوت في القبائل؛ البيوت المعروفة بالكرم والسماحة والندى والمجد أصبحت الآن متأخرة، وتجد الرقعاء والدخلاء والرويبضة والذين ليس لهم مكانة أصبحوا الآن يتكلمون ويشار إليهم.

يقول أبو العلاء عن ذلك:

إذا عـيّـر الطائي بالبـخل مـادرٌ

وعـيـر قـسًا بالفـهاهة باقل

وقـال الدجى للشمس أنت كسيفة

وقـال السهى للبدر وجهك حائل

فـيـاموت زُر إن الحياة ذميمة

ويا نفس جـدي إن دهرك هازل

وهذا شرح الأبيات:

"إذا عيّر الطائي بالبخل مادرٌ"

"حاتم الطائي" أكرم العرب، و"مادر" أبخل العرب.

يقولون كان مادر هذا من بخله إذا أراد أن يحتلب شاته يمصها من ثديها حتى لا يسمع الناس صوت حلب الثدي في الإناء فيأتون، فمادر هذا يسب حاتم الطائي.

يقول:

إذا عـيـر الطائي بالبـخل مـادر

وعـيـر قـسًا بالفـهاهة باقل

وعير قسًا (قس بن ساعدة أخطب العرب).

وباقل (أعيى العرب، فهو لا يجيد التحدث، ولا التفكير).

يقولون: كانت أمه تلقنه اسمه في أول النهار فينساه مع الظهر.

وقد بلغ من حمقه أنه كانت لديه قلادة وضعتها أمه عليه حتى لا يختلط بالصبية لكي تعرفه إذا خرج في الشارع تأتي به، فأتى أخوه في الليل فأخذ القلادة، فلبسها، فقام في الصباح، فقال: يا أخي أنت أنا فمن أنا؟!

"وقال الدجى للشمس أنت كسيفة"

يقول الليل للشمس أنت كسيفة يا شمس،

وقال السهى (الظلام) أو نجم مغبر للبدر: وجهك حائل.

"فيا موت زر" ما تصلح الحياة.

فيا موت زر إن الحياة ذميمةٌ

ويا نفس جِدِّي إن دهرك هازل

بشار يفوز ببردة الرسول ﷺ

وقد كان الخلفاء يحبون الشعر، وكانوا يتذوقونه، وكان الناس خطباء. كان خلفاء الأمة خطباء، وعلماء يتذوقون هذا الأدب.

يقول الإمام أحمد: «رحم الله ابن أبي ذئب قال كلمة الحق عند أبي جعفر، وأبو جعفر.. وأبو جعفر، يقصد: من يستطيع أن يقول كلمة الحق عند هذا الجبار؟».

قتل من الملوك أكثر من ثلاثين، وقتل الوزراء، وحتى أعمامه الذين هم إخوان أبيه قتلهم، ولذلك دخل ابن أبي ذئب، قال أبو جعفر المنصور:

أسألك بالله يا بن أبي ذئب، هل أنا عادل؟.

قال ابن أبي ذئب:

أعفني يا أمير المؤمنين. يقول سامحني هذه المرة.

قال: لا والله - والناس جلوس - قال: أسألك بالله هل أنا عادل؟.

قال ابن أبي ذئب:

والله الذي لا إله إلا هو إنك ظالم، ثم خرج.

ودخل عليه ابن السماك الواعظ، قال أبو جعفر:

ناولني الأداوة (أداوة الحبر) اكتب بها.

قال ابن السماك:

لا .. أناولك. إن كنت تكتب ظلمًا فلا أشترك معك في الظلم، وإن كنت تكتب حقّاً فلست بخادم لك.

فأراد أن يستهزئ به، فوقع ذباب على أنف أبي جعفر الخليفة، فنفر ثم عاد، قال:

يا بن السماك لماذا خلق الله الذباب؟.. يعني ما الفائدة من الذباب؟.. هل فيه فائدة؟ هل يحلب؟ أو يذبح؟ أو يؤكل؟ أو يطبخ؟ وما الفائدة من الذباب؟.

قال: يا أمير المؤمنين خلق الله الذباب ليذل به أنوف الطغاة.. لا يقع إلا على أنوف الطغاة.. هذه الفائدة من الخلق.

قال: فخجل أبو جعفر، واحمر وجهه.

وخرج مع الشعراء، قال:

من يكمل لي بيتًا أعطيه بردة الرسول - عليه الصلاة والسلام - التي عليّ.

بردة الرسول ﷺ تشترى بالدماء، لا يلبسها إلا الخلفاء، قال الشعراء: إلينا بالبيت، فقال:

وهاجرةٍ نصبت لها جبيني

يقطع حَرُّها ظهر العِظَاية

فقام الشعراء على ركبهم أيهما يسبق ليأخذ الجائزة، قال بشار بن برد الشاعر العجيب:

وقفت بها القلوص ففاض دمعي
على خدي وأقصر واعظايه

فرمى بالبردة عليه، فشراها الناس منه.

وبشار شاعر أعمى، يقول:

يا قومِ أذْنِي لِبعْضِ الحيِّ عاشِقةٌ
والأذن تَعْشَقُ قبلْ العَيْن أحْيانَا
قالوا بِمَن لا تَرى تَهْذِي فقُلْتُ لَهُمْ
الأذنُ كالعَيْن تُؤْتِي القَلْبَ ما كَانَا
يا ليتني كنت تفاحًا مفلجة
أو كنت من ثمر الريحان ريحانا

وهو الذي يقول:

إنَّ في بُرْدَيَّ جسمًا ناحِلاً
لو تَوَكَّأتِ عليه لانْهَدم

فأتاه رجل فوجده سمينًا كالثور!!

قال:

هذا جسمك، وأنت تقول في برديّ جسمًا ناحلاً!!

قال:

أما يقول الله: ﴿**وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ**﴾.

وقوله:

لـم يَـطُـلْ لـيـلـي ولـكـن لـم أَنَـم

ونَـفَـى عـنّـي الـكَـرى طـيـفٌ أَلـمّ

وإذا قـلـت لـهـــا جُـــودي لَنَـا

خــرجَتْ بـالـصَّــمْتِ عن لا ونعم

بُشرى من الغيبِ

والشاعر اليمني البردوني من أشعر الناس، ولكنه أعمى الله قلبه وبصره فهو بعثي - حشفًا وسوء كيل -.

نظم قصيدة في الرسول ﷺ من أعذب ما سمعت في حياتي.

يقول من ضمن أبياته:

بُشــرى مـن الغــيبِ ألقَتْ في فم الغــارِ

وحْـيًـا وأفْـضَتْ إلى الدُّنيـا بأسـرارِ

بُشرى النبـوَّةِ طافتْ كـالشـذى سَـحَـرًا

وأعْلَنَتْ في الرُّبا مِــيــلادَ أنْوارِ

وشـقَّتِ الـصَّـمتَ والأنْسـامُ تحـمِلُهـا

تحْـتَ الـسـكِـيـنـةِ مـن دارٍ إلـى دارِ

وهَدْهَدَتْ «مـكَّةُ» الـوسْنى أنـامـلَهـــا

وهزَّتِ الفــجــرَ إيذانًا بإسْــفــارِ

فـأقـبل الفـجـرُ من خَلْفِ التـلالِ وفي

عَــيْنَيــه أسْــرار عــشــاقٍ وسُــمــارِ

كــأنَّ فَــيْضَ السنـى في كلّ رابيــةٍ
مَــوْجٌ وفـي كلّ سـفحٍ جـدولٌ جــاري
تدافـع الفَـجْـرُ في الدّنْيـا يزِفّ إلى
تاريخــهــا فــجــر أجــيــال وأدهارِ
واسـتـقبل الفتحُ طفلاً في تبسـمه
آيـاتُ بــشـــــــرى وإيمـاءاتُ إنـذارِ
وشبَّ طفلُ الهـدى المنشـودُ مـتّـزِرًا
بـالحقّ مـــتّـــشِــحًــا بـالنورِ والنـارِ
في كـفّــه شـعـلَةٌ تهـدي وفي فــمـهِ
بشـــرى وفـي عَـيْنهِ إصْـرار أقـــدارِ
وفي مــلامـــحــه وعــدٌ وفي دمِــه
بطـولَةٌ تتـــحـــدّى كلّ جـــبـــارِ
وفــاضَ بالنورِ فــاغــتمّ الطغــاةُ بهِ
واللّص يخـشى سُطوع الكوكب السّاري
والوعْيُ كـالنّورِ يخـزي الظّالمينَ كمـا
يخْـزي لصـوصَ الدجى إشـراق أقـمـارِ
نادى الرّسـولُ نداءَ العدل فـاحـتـشـدتْ
كـــتـــائب الجـــورِ تُنْضي كلَّ بتّـــارِ
كـــأنّهـــا خلْفَـــه نارٌ مـــجـنّحَـــةٌ
تعــدو وقــدّامــه أفْــواجُ إعْــصـــارِ

فـضجَّ بالحقّ والدّنيا بما رَحُـبَتْ
تَهْـوي عليـهِ بأشْـداقٍ وأظْفـارِ
وسـارَ والدَّربُ أحْـقـادٌ مـسلّحَـةٌ
كأنَّ في كلّ شبـرٍ ضيغمًا ضاري
وهبَّ في دَرْبه المرْسـومِ مُنْدفـعًـا
كـالدَّهْر يقْـذِفُ أخْطاراً بأخطارِ
فـأدْبَرَ الظّلْمُ يُلقي ها هُنا أجـلاً
وها هُنا يتلقّى كفَّ... حـفّـارِ
والظّلمُ مهما احْتمتْ بالبَطْشِ عصبته
فلمْ تُطِقْ وقـفـةً في وجْـهِ تيّـارِ
رأى الرسـول أبو الأيتـامِ غـايتَـه
قُـصْوَى فشقَّ إليـهـا كلَّ مِـضـمـارِ
وامـتـدَّت المِلّةُ السّمْحَا يَرِفُّ على
جَـبِـينهـا تاجُ إعْظامٍ وإكـبـارِ
نحن اليـمـانين يا طه تطيـر بنا
إلى روابي العـلا أرواح أنصـار
أنا ابن أنصارك الغر الأولى سحقوا
جيش الطغاة بجيش منك جرار
إذا تذكرت عـمـاراً وسـيـرته
فـافـخـر بنا إننا أحـفـاد عـمـار

والقصيدة طويلة تقارب الثمانين بيتًا لكنها بديعة، وقد عارضتها بأبيات ما يقارب أربعين بيتًا .. منها:

صوت من الغور أم نورٌ من الغار
أم ومضة الفكر أم تاريخ أسرار

يا عيد عمري ويا فجري ويا أملي
ويا محبة أعمارٍ وأقطارِ

تطوى الدياجير مثل الفجر في ألقٍ
تروي الفيافي كمثل السلسل الجاري

الشمس والبدر في كفيك لو نزلت
ما أطفأت فيك ضوء النور والنار

أنت الرسول ولكن فيك ملحمة
يذوب في ساحها مليون جبار

فما لقومي بلا وعي قد انتكسوا
أصغوا لصيحات عربيد وخمار

يبيع ذمتهُ المعهود في وثن
والدين ينهار منه في شفا هار

لو بيع في السوق ما حازوا له ثمناً
ولو شروه لكان الغبن للشاري

شادوا الدنانير هالات مزخرفة
جمّاعها لا يساوي ربع دينار

نزار شاعر.. ولكن

نزار قباني تسمعون وتقرؤون له في الصحف، ولكني أنصحكم أن تجتنبوا القراءة لهذا الرجل، وإنما له بعض الأبيات، ولكن من اضطر أن يقرأ له فليعذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاث مرات، ويتوضأ.

هذا الرجل شاعر ولكن إبليس ركبه، وعليه شيطان، ولكن له أبياتاً جميلة يقول:

دمشق يا كنز أحلامي ومروحتي

أشكو العروبة أم أشكو لك العربا

أدمت سياط حزيران ظهورهم

فقبلوها وباسوا كف من ضربا

وطالعوا كتب التاريخ واقتنعوا

متى البنادق كانت تسكن الكتبا

يقول:

هؤلاء العرب ما عندهم إلا حزيران، والقومية العربية ما تذكر إلا نكسات مع "جولدا مائير" و "موشي ديان".

ولكن بدراً، وحطين، وأحداً، واليرموك، وعين جالوت..هذه معارك الإسلام الخالدة.. معارك لا إله إلا الله.. معارك يوم اتصلنا بالله.. معارك يوم كنا عباداً لله، لكن هؤلاء تركوا منهج الله، وكتاب الله عز وجل، وسنة الرسول ﷺ.

ويقول (موشى ديان): "من أراد أن ينتصر فليحارب العرب".

قلنا: والله حاربت العرب، ولم تحارب أناسًا يحملون "لا إله إلا الله"، ولو كان خالد، وصلاح الدين أحياء لكنت عرفت، ولذلك هذا نزار قباني يقول في قصيدة له

يرثي جمالاً .. مجرم يرثي مجرمًا .. يقول:

زمــانك بســتــان وروضك أخــضــر

وذكـراك عـصـفـور من القلب ينقـرُ

نســـاء فلسطين تكحلن بالأسى

وفي بيت لحم قــاصــرات وقُــصَّــر

وليــمــون يافــا يابس في أصــوله

وهل شجـر في قبضة الظلم يثمر

ثم يقول:

رفـيق صـلاح الدين هل لك عـودة؟

(انظر جمال الأبيات):

رفــيق صــلاح الدين هل لك عــودة

فــإن جــيــوش الروم تنهى وتأمــر

رفـاقك في الأغـوار شـدوا سـروجـهم

وجـيـشك في حطين صلوا وكـبـروا

تغني بك الدنيـــا كـــأنك طارق

على بركـات الله يرسـو ويبــحــرُ

ثم يقول:

تـناديك من شـــوقٍ مـــآذن مكةٍ

وتبكيك بدر يا حـبـيـبي وخـيـبـر

تعــال إلينا فــالمروءات أقــفــرت

ومـــوطن آبائي زجـــاج مكســـر

يطاردنا كـــالموت ألف خليـــفـــة

ففي الشرق هولاكو وفي الغرب قيـصر

سبق السيف العذل

الحجاج بن يوسف، وتعرفون من هو الحجاج!!

استدعى شاعرًا من اليمامة وهو «جُحْدر العُقلي» قال أبياتًا يسب الحجاج، وقال الحجاج والله لأقتلنه، وقتل الرجال عند الحجاج مثل قتل الدجاج!!، ليس لهم ميزان عنده، فركبوا هذا الشاعر المسكين وقيدوه على الجمل، وقال الحراس: ما عليك خلاف.. الحجاج رجل حليم، ورحيم، ولا تخف:

قال: والله أعرف، ثم بكى، ونظر إلى شجرتين في اليمامة، وقال:

وممَّا هاجني فـــازددت شـــوقًـــا

بكاء حـــمـــامـــتين تجـــاوبان

وقد ترك وهو يخرج من اليمامة أطفاله وزوجته، وهو يبكي عليهم، ويعرف أنه لن يعود إلا مقتولاً.. قال:

وممَّا هاجني فـــازددت شـــوقًـــا

بكاء حـــمـــامـــتين تجـــاوبان

تجـــاوبتـــا بلحنٍ أعـــجـــمي

على غـــصنين من غـــربٍ وبان

هذه حمامة تبكي على شجر الغرب، والثانية تبكي على البان..

اسمع ماذا يقول:

وممَّا هاجني فـــازددت شـــوقًـــا

بكاء حـــمـــامـــتان تجـــاوبان

تجـــاوبتـــا بلحنٍ أعـــجـــمي

علـى غـــصنين من غـــربٍ وبان

فكان البـــانُ أن بانت سليـــمى

وفي الغـــرب اغـــتـراب غـيـر داني

يقول معنى البان.. أنها تبين من سليمة ما عدت ألقاها إلا في يوم القيامة، وأما شجر الغرب فهو اغتراب عن الأهل والأوطان.

ووصل إلى الحجاج فقتله.

فاستمع الحجاج بعدما قتله إلى أصحابه، فأنشدوا الشعر، فقال:

لو أخبرتموني لما قتلته.

ولكن هؤلاء جلساء السوء لما يخبرون إلا بعد ما تقع الحادثة.

الجار قبل الدار

التهامي هذا شاعر عجيب، مات ابنه في الرابعة عشرة من عمره، فلما مات ابنه نظم قصيدة رائعة من أروع القصائد.. يقول فيها:

حكم المنيـــة في البـــرية جـــار

مـــا هذه الـدنيـــا بدار قـــرار

إني أصـــبت بصـــارم ذي رونقٍ

أعـــددته لقـــرابة الأوتـار

جـــاورت أعـــدائي وجـــاور ربه

شـــتـــان بين جـــواره وجـــواري

يقول: أما أنا فبقيت مع الحساد وأهل الدنيا وأهل النكد، وأما هو فأخذه الله في جواره:

جـــــاورت أعــــــدائـي وجــــاور ربـه

شـــتـــــان بين جـــواره وجـــــواري

فرؤي التهامي في المنام بعد وفاته.. قالوا: ما فعل الله بك؟

قال: غفر لي.

قالوا: بماذا؟

قال: بقولي في بيتي:

جـــــاورت أعــــــدائـي وجــــاور ربـه

شـــتـــــان بين جـــواره وجـــــواري

يقول ابن القيم: لله در آسية امرأة فرعون - عليها السلام - يوم قالت: ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾.

قال: فقدمت الجار قبل الدار.

انظر كيف قالت: ﴿ عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ لم تقل: " رب ابن لي بيتًا في الجنة عندك "، فقالت: ﴿ عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ فقدمت الجار قبل الدار، فنسأل الله - عز وجل - أن نكون من جيرانه في دار النعيم.

قرارة نفس

ذكر الذهبي أن محدثًا من المحدثين كان في سكرات الموت، فسمع أحد طلاب الحديث يقول: حدثنا فلان عن فلان، وهذا المحدث ولّى من الدنيا، فأصبح في عالم آخر، ولكن تذكر مجالس الحديث، ومجالس العلم فبكى كثيرًا، ثم قال: أجلسوني.

قالوا: أنت في وضع خطير.

قال: أجلسوني، فأجلسوه.

قال للطالب: أعد قوله حدثنا فأعاد:

سـقـوني وقــالوا لا تغنِ، ولو سـقـوا

جــبــال سليم مــا ســقــيت لغنتِ

والبيت هذا لرجل من العرب أُسر، ثم أسقوه الخمر فغنى ورفع صوته، قالوا: لا تغنِ فيسمعك الأعداء، قال تسقوني الخمر ولا أغني!!

ولذلك الخمر والغناء شريكان وهما طريقان إلى النار.

وإنما ذاك يقول: أسمعتموني الحديث، وتقولون لا أجلس، وأنا روحي في الحديث.

من زار بابك

أحد المحدثين يقول في الرسول ﷺ:

مـن زار بابك لم تبــرح جــوارحــه

تـروي أحــاديث مــا أوليت من مـنن

فــالعين عن قــرة والكف عن صلة

والقلب عن جـابر والسـمع عن حـسن

هؤلاء الرواة، لكن أحدهم حولها لأسماء، يقول:

يا رسول الله، من أتى إلى بابك في علم الحديث تروي جوارحه ما أوليت من المنن في هذا العلم.

فالعين عن قرة، وقرة هذا ابن شريك، وقرة محدث، فالعين عن قرة (قرة العين)، والكف عن صلة (صلة بن أشيب المحدث)، والقلب عن جابر (جابر بن عبد الله)، والسمع عن حسن (البصري) وهو يريد مرادات أخرى.

كرم العفو

الرسول – عليه الصلاة والسلام – أهدر دم الشاعر كعب بن زهير؛ لأنه هجاه في قصيدة، والرسول مرفوع عن السب.. فَدَيْناه بأعراضنا ودمائنا وأموالنا، فصار

كعب ينام في النهار ويمضي في الليل، ولكن ضاقت عليه الأرض، فذهب إلى سادة القوم وقال: ما الحل؟.. ما الوسيلة؟.. ما المخرج؟.. فأشاروا عليه بأن ينظم قصيدة، ويخرج إلى الرسول - عليه الصلاة والسلام - ويصالحه بها، فذهب فأمسى عند أبي بكر، وقال: يا أبا بكر ما رأيك؟ قال: عندك شيء من الشعر؟

قال: عندي قصيدة.

قال أبو بكر: إذا صليت الفجر فسأتقدم للرسول ﷺ وأستأذنه لك في أن تلقي قصيدتك.

فلما صلى - عليه الصلاة والسلام - بالناس، قال أبو بكر: يا رسول الله عندنا كعب بن زهير يريد أن يلقي عليك أبياتًا.

قال: قل - وكان أحلم الناس ﷺ، وأرحم الناس -.

قال كعب:

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبول

متيم إثرها لم يفد مكبول

وهنا يبتدئ بالغزل، ويذكر زوجته سعاد، فأوقفه - عليه الصلاة والسلام - في أول البيت، وقال: من هي سعاد؟

قال: زوجتي يا رسول الله.

قال: لم تبن إذًا، ما زالت معك، ما بانت بإذن الله.

قال:

وما سعاد غداة البين إذ رحلت

إلا أغن غضيض الطرف مكحول

حتى يقول:

نبــــئت أن رســـول الله أوعــــدني

والعــفـو عند رسـول الله مــأمـول

مـــهــلاً هداك الذي أعطاك نافلة

القـرآن فـيـهـا مـواعـيظ وتفـصـيل

لا تـأخـــذَنِّي بأقــوال الوشـــاة ولـم

أذنب، ولـو كـــثـــرت فيّ الأقـــاويل

لقــد أقــوم مــقــامًــا لـو يقــوم بـه

أرأى وأســمـع مــا لـو يســمـع الفــيل

يقـول: يا رسـول الله، والله لقـد سـهـرت، وتعـبت، وخـفت، وتشـردت عـن أهلي وطاردني الناس.. ارحمني يا رسول الله.. احلم عني يا رسول الله..

لقــد أقــوم مــقــامًــا لـو يقــوم بـه

أرأى وأســمـع مــا لـو يســمـع الفــيل

حــتى وضــعـت يميني مــا أنازعــهــا

في كف ذي نقــمــات قــوله القــيل

يقـول: قـدمت من بوادي العـرب، وجـئت إليك ووضـعت يميني في يمينك، وإن أردت ذبحي فاذبحني وإلا فاعفُ عني.

ثم يقول:

إن الرســول لنور يســـتـــضـــاء بـه

مـــهندٌ من ســيــوف الله مــسلول

في عـصـبـة من قـريش قـال قـائلهم

بـبـطـن مـكـة لما أسـلمــــوا زولـوا

زالوا فـــمـــا زال أنكاسٌ ولا كـــشفٌ

عند اللقـــاء ولا مـــيل مـــعـــازيلُ

لا يقطع الطعن إلا في نحـــورهم

ومـــا لهم عن حـــيـــاض الموت تهليلُ

كل ابن أنثى وإن طالت ســلامــتــه

يومًـــا على آلة حـــدباء مـــحـــمـــول

يقول: إن قتلتني اليوم فكلنا نلتقي عند الله، وإن عفوت عني فسوف أموت، فالقضية موت، لذا فاتركني أيامًا معك.

كل ابن أنثى وإن طالت ســلامــتــه

يومًـــا على آلة حـــدباء مـــحـــمـــول

فخلع الرسول بردته - هذه البردة كانت بأزرار، وكانت كأجمل ما يكون - فخلعها وألبسها كعبًا، وقال: عفوت عنك خرج بالبردة فباعها لمعاوية بن أبي سفيان بأربعين ألف درهم، وبيعت هذه البردة حتى وصلت الخلفاء الأتراك في اسطنبول، وهي في متحف هناك تساوي الملايين، وهي أغلى من الدنيا وما فيها؛ لأن محمدًا - عليه الصلاة والسلام - لبسها.

العين و (الأنا) في محكمة العشق

وللشاعر الإيراني الشيرازي السني أبيات جميلة منها:

بكت عـــيـــني غـــداة البين دمـــعًـــا

وأخـــــرى بـالبـكـا بخـلـت علـينـا

فـــعـــاقـــبت التي بالدمع ضنت

بأن أغـــمـــضـــتـــهـــا يوم التـــقـــينا

ومن أبياته:

قـــــال لـي المحـــــبـــــوب لما زرتـه

مـن بـبـــــابـي قلـت بـالـبـــــاب أنـا

طرق الباب، قال: من؟

قال: أنا.

وأنا منهي عنها في السنة.

يقول جابر - رضي الله عنه -: طرقت الباب على الرسول ﷺ، قال: من؟

قلت: أنا.

قال: أنا.. أنا.

وكأن الرسول ﷺ كره ذلك القول، مني.. أنا؟ ألف من يقول أنا، لكن قل فلان أبو محمد، علي بن سعيد، سعيد بن علي، محمد بن فلان، لكي يعرف، لذلك لما طرق جبريل السماء على الملائكة قالوا: من؟

قال: جبريل.

قالوا: من معك؟

قال: محمد.

قالوا: مرحبًا بك وبمن معك، وفتحوا الباب.

فيقول الشيرازي:

قـــــال لـي المحـــــبـــــوب لما زرتـه

مـن بـبـــــابـي قلـت بـالـبـــــاب أنـا

قـــال لـي: أخـطـأت تعـريـف الهـوى

حـــينمـــا فـــرقت فـــيـــمـــا بيننا

يقول: لماذا تقول أنا؟ فالمحبة ليس فيها أنا وأنت.

فــمــضى عــام فلمــا جــئــتــه
أطرق البـــاب عليـــه مـــوهنا
قـــال لي من أنت قلت انظر فــمـــا
ثــم إلا أنــت فــي البـــــاب هنـــا
قـــال لي أحــسنت تعــريف الهــوى
وعـــرفت الحب فـــادخل يا أنا

شقاء أصحاب العقول

يقول ﷺ:

«إن من الشعر لحكمة».

والمتنبي يقول في الحكمة:

ذو العَـقلِ يَشـقَى في النّـعيمِ بعَـقْلِهِ
وَأخـو الجَـهـالَةِ في الشّـقـاوَةِ يَنعَمُ

فيقول: إن العاقل اللبيب خائف من الله وهو مستقيم، ويصلي، ويخاف من عدم الخشوع في الصلاة، ويذكر الله ويخاف أن لا يقبلَ، ويعبد الله ويخاف من الرياء، ويتصدق ويخاف من الشيطان، ويستقيم ويخاف من النار، ويبكي في الندوات، وفي الدروس، وفي المحاضرات، ودائمًا وجل، ويقول: ربنا اصرف عنا عذاب جهنم، أعوذ بالله من عذاب النار.

بينما الفاجر تجده في الشقاوة ينعم بكأس الخمر، والمجلة الساقطة، والأغنية الماجنة، والبلوت والسهرات في المقاهي إلى الثالثة ليلاً، والبعد عن الله، وإذا قلت لهذا الجاهل: يا عبدالله، اسمع إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **حمٓ (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣)** ﴾.

قال: لا إله إلا الله، الله المستعان، اللهم اغفر لنا وارحمنا، ولكنك حينما تنصحه، يقول: الله غفور رحيم، والله - سبحانه وتعالى - يتقبل ولا يأخذنا بأعمالنا، ونحن أحسن من الكفار، وأنا قد سافرت إلى أمريكا.. نحن أحسن منهم.

فهو ينظر دائمًا إلى الأقل فيقول:

(العبد) يَشقَى في النّعيمِ بعَقْلِهِ

وَأخو الجَهالَةِ في الشّقاوَةِ يَنعَمُ

ويقول في مطلع القصيدة:

لِهَوَى النّفُوسِ سَرِيرَةٌ لا تُعْلَمُ

عَرَضًا نَظَرْتُ وَخِلْتُ أني أسْلَمُ

يا أُختَ مُعْتَنِقِ الفَوارِسِ في الوَغى

لأخوكِ ثَمّ أرَقُّ منكِ وَأرْحَمُ

رَاعَتْكِ رَائِعَةُ البَياضِ بمَفْرِقي

وَلَوَ انّهَا الأولى لَرَاعَ الأسْحَمُ

لَوْ كانَ يُمكِنُني سفَرْتُ عن الصِّبا

فالشّيبُ مِنْ قَبلِ الأوَانِ تَلَثُّمُ

وَلَقَدْ رَأيتُ الحادِثاتِ فَلا أرَى

يَقَقًا يُمِيتُ وَلا سَوَادًا يَعصِمُ

وَالهَمُّ يَخْتَرِمُ الجَسيمَ نَحَافَةً

وَيُشيبُ نَاصِيَةَ الصّبيّ وَيُهرِمُ

ذو العَقلِ يَشقَى في النّعيمِ بعَقْلِهِ

وَأخو الجَهالَةِ في الشّقاوَةِ يَنعَمُ

وَالنّاسُ قَد نَبَذوا الحِفاظَ فمُطلَقٌ
يَنسَى الذي يُولى وَعَافٍ يَنْدَمُ
لا يَخْدَعَنّكَ مِنْ عَدُوٍّ دَمْعُهُ
وَارْحَمْ شَبابَكَ من عَدُوٍّ تَرحَمُ
لا يَسلَمُ الشّرَفُ الرّفيعُ منَ الأذى
حتى يُراقَ عَلى جَوَانِبِهِ الدّمُ
يُؤذي القَليلُ مِنَ اللّئَامِ بطَبْعِهِ
مَنْ لا يَقِلّ كَمَا يَقِلّ وَيَلْؤمُ
وَالظّلمُ من شِيَمِ النّفوسِ فإن تجدْ
ذا عِفّةٍ فَلِعِلّةٍ لا يَظْلِمُ
وَمن البَلِيّةِ عَذْلُ مَن لا يَرْعَوي
عَن جَهلِهِ وَخِطابُ مَن لا يَفهَمُ
وَجُفُونُهُ مَا تَسْتَقِرّ كَأنّهَا
مَطْرُوفَةٌ أوْ فُتّ فيها حِصرِمُ
وَإذا أشَارَ مُحَدّثًا فَكَأنّهُ
قِرْدٌ يُقَهْقِهُ أوْ عَجوزٌ تَلْطِمُ
يَقْلَى مُفَارَقَةَ الأكُفّ قَذالُهُ
حتى يَكادَ عَلى يَدٍ يَتَعَمّمُ
وَتَراهُ أصغَرَ مَا تَراهُ نَاطِقًا،
وَيكونُ أكْذَبَ ما يكونُ وَيُقْسِمُ

وَالذّلّ يُظْهِــرُ في الذّليلِ مَــوَدّةً
وأوَدُّ مِـــنْـــهُ لِمَـــنْ يَـــوَدّ الأرْقَـــمُ
وَمِنَ العَــداوَةِ مــا يَنَالُكَ نَفْـعُــهُ
وَمِنَ الصّـداقَــةِ مــا يَضُــرّ وَيُؤلِمُ

والقصيدة أطول من ذلك، وهي جميلة بحق.

الإناء بما فيه ينضح

ويقول المتنبي:

إذا ســاءَ فِــعْلُ المرْءِ ســاءَتْ ظُنُونُهُ
وَصَــدّقَ مَــا يَعــتَــادُهُ من تَوَهُّمِ
وَعَــادَى مُــحِــبّــيــهِ بقَــوْلِ عُــداتِهِ
وَأصْــبَحَ في لَيلٍ منَ الشّكّ مُظلِمِ

يقول: إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه في الناس.

الآن السارق يسرق الناس، ويظن أن الناس سرقوا مثله. الكاذب يظن أن الناس كذبت. الفاجر يظن أن الناس فجرت.. "كاد المريب أن يقول خذوني".

علامة الوقار

ذِكْرُ الشيب عند العرب كثير، وبعضهم يراه وقارًا، وبعضهم يتشاءم منه.

والصحيح أنه وقار للمؤمن وأنه شرف له، وفي بعض الأحاديث التي يحسنها بعض العلماء: «من شاب شيبة في الإسلام جعلها الله له نورًا يوم القيامة».

وقد نظر إبراهيم – عليه السلام – إلى المرآة فرأى شيبة في لحيته، قال: يا رب ما هذا؟

قال: نورٌ، أو وقارٌ يا إبراهيم.

قال: اللهم زدني وقارًا.

وفي ذلك يقول الخليفة المستنجد:

عـــيـــرتـنـي بـالـشـــيـب وهـو وقـــارُ

لـيـــتـهـــا عـــيّـــرت بـمـا هـو عـــار

امرأته عيّرته بالشيب، تقول: أنت يا "شايب".

قال: ليتها عيرتني بشـيء فيه عار لي، ولكن عيرتني بما يزيدني وقارًا عند اللـه عز وجل.

وقال أبو العتاهية:

بكَيتُ على الشّبـابِ بدَمْعِ عَـيني،

فلـم يُغـنِ البُكاءُ ولا النّحـــيبُ

فَـيـا أسَـفًـا أسِـفْتُ على شَـبـابٍ،

نَعـاهُ الشّـيبُ والرّأسُ الخَـضِـيبُ

عَـرِيتُ مـنَ الشّـبـابِ، وكـانَ غُـصْنًا،

كـمَـا يَعـرَى منَ الوَرَقِ القَـضـيبُ

فـيَـا لَيتَ الشّـبـابَ يَعُـودُ يَوْمًـا،

فـأُخْــبِــرَهُ بمَا فَـعَلَ المَشـيبُ

يقول: يا ليت الشباب يعود لي مرة، فأخبره ماذا فعل المشيب بي.. ما نومني في الليل، وما تركني أرتاح، ولا أهدأ.

يقولون إن أحد الشعراء العرب كبر سنه حتى وصل الثمانين، فما كان ينام بالليل، كان دائمًا يتأوه من طول السنين، ومن الأمراض، ومن الأوصاف، فقال له أبناؤه: ما لك لا تنام؟.. ماذا تشتكي؟

فقال:

قـالـوا أنينك طول الليل يـسـهـرنا

فـمـا الذي تشـتكي قلت: الـثـمـانـينا

خرج أحد العلماء - يقال: إنه خرج في آخر خروج له من المسجد الجامع الكبير في الرياض يتعكز على عصا، وبه سعال وكبر في السن، وكان وليًا من أولياء الله، موحدًا صادقًا، فلما خرج أخذ ينزل من الدرج بتعب، وكان يحتمل على بعض الناس ما استطاع.

قال: **إذا الرجال ولدت أولادها**

وأخذت أسقامها تعتادها

وكثرت من مرض عوادها

فهي زروع قد دنا حصادها

ومات بعد يومين.

نعم إذا الرجال ولدت أولادها.. يعني: إذا ولد لولدك ولد وصرت جدّاً فانتظر الموت، فانتظر سكرات الموت.

وأخذت أسقامها تعتادها.. إذا كثر مراجعتك إلى المستشفى يصبح الإنسان "مسمكر" من كل جهة.. "قطع غيار" عندما ينتهي من المستشفى من أذنه بدأ المرض في العين.. من العين إلى الرجل.. من الرجل إلى اليد.. من اليد إلى الكبد.. من الكبد إلى الطحال. أصبح كله مثل السيارة المجمعة من كل جهة.

وأخذت أسقامها تعتادها وكثرت من سقم عوادها، أصبح من يعتادك كثراً. كيف حالك يا فلان؟.. هذا يتصل بالهاتف، وهذا يطرق الباب؛ ولذلك الشباب الآن ما يعودهم أحد على الأرجح.

قال: فهي زروع قد دنا حصادها..

انتبه فقد أشرفت إلى الله:

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾.

وهذه عبرة للإنسان.

عدو النساء

يقول الشاعر:

فَـإِنْ تَسْـألوني بالنِّسـاء فـإنَّني
بصـيـرٌ بِأدْواءِ النِّسـاءِ طبـيـبُ

إذا شـاب رأسُ المَرْءِ أو قَلَّ مـالـهُ
فـليس لـه مـن وُدِّهِـنَّ نصـيـبُ

يُـرِدْنَ ثَراءَ المالِ حـيـثُ عَلِمْنَـهُ
وشـرْخُ الشَّـبـاب عنْدَهُنَّ عـجـيبُ

فالمرأة تمدح الرجل، وتقول له: أنا معك حتى لو تدخل النار دخلت معك - أعوذ بالله من النار - لكن إذا شاب أو ضعف أو قل ماله ربما تقلب له ظهر المجن، هذا في الأرجح، وإلا ففيهن الصالحات.

ويقول الأول:

رَأَيْنَ الغَوَاني الشَّيْبَ لاَحَ بِعَارِضي
فَأَعْرَضْنَ عَنِّي بالخُدُودِ النَّواضِرِ

فالشيب عدو لهن.

ومما يذكر ابن الجوزي في صيد الخاطر: يحذر الكبير من أن يتزوج من الفتاة الصغيرة، فحينما يأتي رجل عمره ثمانون ويتزوج بنت خمسة عشر عاماً، وبعد شهرين يموت، هذا تدليس، وقد نهي عن الخضاب، لأنه فيه غش، فحينما يخضب أبو الثمانين لحيته، فيأتي ما شاء الله كأنه شاب، وإذا سئل: كم عمرك يا فلان؟

قال: والله أنا أذكر قريباً.. أذكر يوم دخل العراق الكويت، كنت أشرب الحليب وأنا جالس.

وإذا قالوا: فلان من أندادك؟!.

قال: لا .. فلان كبير، أنا من أبناء فلان، فيزوجونه وبعد فترة يموت، والشرط أن يبقى فترة، وما على هذا تبايعنا!.

على كل حال هذا أحذر منه، لكن لو نظر في السن بما يكافئه، لا بأس في زيادة سنه مع طول عشر سنوات، أربعين سنة!!.

زهرة النرجس

يقولون إن أبا نواس كان يشرب الخمر، وله الخمريات قصائده الطويلة، ولكن رؤي في المنام. قيل له: ما فعل الله بك؟

قال: غفر لي وأدخلني الجنة.. ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

لا إله إلا الله، إن الله لا يتعاظمه ذنب، ليس أمام الله ذنب لا يغفره.. ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

قالوا: بماذا أدخلك الجنة؟

قال: لأني وصفت زهرة النرجس. وفيها يقول:

تأمل في نبات الأرض وانظر

إلى آثار ما صنع المليك

عيونٌ من لجين شاخصات

بأحداق هي الذهب السبيكُ

على كتب الزبرجد شاهدات

بأن الله ليس له شريك

خلوة الدهر

يقول أبو نواس في سكرات الموت قبل أن يموت بدقائق، بعدما جلس على فراشه يبكي:

لهـونا لعـمـر الله حـتى تتـابعت

ذنـــوب عـــلـــى آثـــارهـــن ذنـــوب

فـيـاليت أن الله يغـفـر مـا مـضى

ويـأذن فـي تـوبـاتـنـا فـنـتـــــــوب

إذا مـا خلوت الدهر يومًـا فـلا تقل

خـلوت، ولـكن قـل: عـلـي رقـــــيـب

ولا تحــسبن أن الله يَغْـفَل طرفـة

ولا أن مـــا يـخــفى عليـــه يغــيب

يقول الإمام أحمد لما سمع قوله:

إذا مـا خلوت الدهر يومًـا فـلا تقل

خـلوت، ولـكن قـل: عـلـي رقـــــيـب

قام فأغلق عليه الباب، وبقي يبكي حتى سُمع بكاؤه من خارج البيت، وهو يقول:

إذا مـا خلوت الدهر يومًـا فـلا تقل

خـلوت، ولـكن قـل: عـلـي رقـــــيـب

وفي هذا المعنى يقول الأندلسي:

وإذا خلوت بـريبـــة في ظلمــــة

والنفس داعـــيـــة إلى الطغـــيـــان

فـاسـتـحي من نظر الإله وقل لهـا

إن الـذي خـلـق الـظـلام يـرانـي

بكت عيني اليمنى

ويقول الصمة القشيري:

فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الحِمَى بِرَوَاجِعٍ
عَلَيْكَ وَلكِنْ خَلِّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعَا
بَكَتْ عَيْنِيَ اليُسرى فَلَمَّا زَجَرْتُها
عَنِ الجَهْلِ بَعْدَ الحِلْمِ أسبَلَتَا مَعَا

يقول: هذه العيون مشكلة.. بكت عينه اليمنى وصبرت اليسرى، فقلت لليمنى: استحي انظري إلى أختك اليسرى ما بكت، فبكت اليسرى معها.

ومن هذه القصيدة:

قِفا ودِّعا نجداً ومن حلَّ بالحِمى
وقَلَّ لنجدٍ عندنا أنْ يُوَدَّعَا
ولما رأيت البِشْر أعْرَض دوننا
وجالتْ بناتُ الشَّوقِ يَحْنَنَّ نُزَّعَا
تلفَّتُّ نحو الحيِّ حتى وَجَدْتُني
وَجِعْتُ من الإصغاء لِيتًا وأخدعا
فليسَتْ عشيَّاتُ الحِمى برواجعٍ
عليك، ولكنْ خلِّ عينيك تدمعَا
بكتْ عَيْنيَ اليسرى فلمَّا زَجَرْتُها
عَنِ الجَّهلِ بَعْدَ الحلمِ أسْبلتا معَا
وأذكُرُ أيامَ الحِمى ثمَّ أنْثني
على كبدي مِنْ خَشْيةٍ أن تَصَدَّعَا

بكاء الخنساء على صخر

والرثاء عند العرب جميل..

يقول الأصمعي: لقد أبكى العرب العجوز على شبابها بسبب الرثاء، وهو أجمل ما يقال في الأشعار.

وقد رثت الخنساء أخاها صخرًا بقصيدة جميلة، وصخر مات في الجاهلية، وقد كان يقسم ماله نصفين، فيعطيها النصف وله النصف، ولما سُئلت: لماذا كان بكاؤك على صخر، ولم يكن على أبنائك الأربعة.

قالت: لأنهم ماتوا إلى الجنة، وأما صخر فإني أخشى أن يكون مات إلى النار، فقد مات مشركًا:

كــأنّ عــيني لذكــراهُ إذا خَطَرَتْ

فـيضٌ يَسـيلُ على الخَـدّينِ مِـدرارُ

تبكي خُناسٌ على صَخْرٍ وحقّ لهـا

إذ رابَهـا الدّهرُ، إنّ الدّهرَ ضَـرّارُ

قـد كـان فـيكُمْ أبو عَمْرٍو يسودُكُمُ

نِعْمَ المُعَـمَّمُ للدّاعينَ نَصّـارُ

وإنّ صَـخـراً لَوالِينا وسـيّـدُنا

وإنّ صَـخْـراً إذا نَشْـتـو لَنَحّـارُ

وإنّ صَـخْـراً لمِقْـدامٌ إذا رَكِـبـوا

وإنّ صَـخْـراً إذا جـاعـوا لَعَـقّـارُ

وإنّ صَـخـراً لَتَـأتَمّ الهُـداةُ بِهِ

كَـأنّهُ عَلَمٌ فـي رأسِـهِ نـارُ

جَلْدٌ جَـمـيلُ المُحَـيّـا كـامِلٌ وَرِعٌ
وللحـروبِ غـداةَ الـرّوْعِ مِـسـعـارُ
حَـمّـالُ ألـوِيَـةٍ هَـبّـاطُ أودِيَـةٍ
شَـهّـادُ أنْدِيَـةٍ لـلجَـيـشِ جَـرّارُ
نحّـارُ راغـيَـةٍ مِلْجـاءُ طاغِـيَـةٍ
فكّاكُ عـانـيَـةٍ للعظمِ جَـبّـارُ

وتقول:

يُؤرِّقُني الـتّـذَكّـرُ حينَ أُمْـسـي
فـأُصْـبحُ قـد بُليتُ بفـرْطِ نُكْسِ
على صَـخْـرٍ، وأيُّ فـتًى كـصَـخْـرٍ
ليَـومِ كَـريهَـةٍ وطِعـانِ حِلْسِ
وضَـيْفٍ طارِقٍ أوْ مُـسْـتَـجـيـرٍ
يُـرَوَّعُ قَـلْـبُـهُ مِـنْ كـلّ جَـرْسِ
فـأكْـرَمَـهُ وآمَنَهُ فـأمْـسَى
خَـلِيًّـا بـالُـهُ مـن كـلّ بـؤسِ
يُذَكّـرُني طُلُوعُ الشـمسِ صَـخـرًا
وأذكـرُهُ لكلّ غُـروبِ شَـمْـسِ
ولَـوْلا كَـثـرَةُ البـاكينَ حَـوْلي
على إخْـوَانِهِمْ لقَـتَلْتُ نَفْـسِي
ولـكِنْ لا أزالُ أرَى عَـجُـولاً
وبـاكـيَـةً تَـنوحُ ليَـومِ نَحْسِ

وما يَبكونَ مثلَ أخي ولكِنْ
أُعَزّي النّفْسَ عنهُ بالتّأسّي

فَلا واللّهِ لا أنْساكَ حتى
أُفارِقَ مُهْجَتي ويُشَقّ رَمْسِي

فقَدْ وَدّعْتُ يومَ فِراقِ صَخْرٍ
أبي حَسّانَ لَذّاتي وأُنْسِي

فَيا لَهْفي عَلَيْهِ ولَهْفَ أُمّي
أيُصْبحُ في الضّريحِ وفيهِ يُمسِي؟

أولى الناس بالمديح

الحقيقة أن المديح للناس لا يستحقه إلا الرسول ﷺ، وهو أولى الناس به.

يقول أحد الشعراء:

فما حملت من ناقةٍ فوق ظهرها
أبر وأوفى ذمةً من محمد

عليه الصلاة والسلام.

وعمر - رضي الله عنه - سمع بيت الأعشى الذي يقول فيه:

لعمري لقد لاحت عيونٌ كثيرةٌ
إلى ضوء نارٍ في يَفَاعٍ تُحْرقُ

تشب لمقرورين يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلق

قال عمر: ذاك رسول الله عليه الصلاة والسلام.

المحلق رجل من العرب بخيل، كان عنده ثمان بنات نشبن في حلقه ولم يتزوجن، والعرب تغتفر كل ذنب إلا البخل، وقد كان هذا الرجل في الجاهلية وأصابه تكدس في البنات، حتى إنه كلما تقدم رجل ليخطب أحد البنات، قيل له: انتبه فإنه بخيل.

فأتت امرأة المحلق، وقالت له: لماذا لا تذهب إلى الأعشى الشاعر، وتكرمه وتضيفه وتكسوه فيمدحك بالكرم فتزوج بناتك.

قال: صدقت، أصاب الله بك الخير. فذهب إلى الأعشى، فذبح له ناقة على الرغم من أنه ما يذبح دجاجة أصلاً، فلما ضيفه كساه وألبسه، وقال: اذهب ولكن لا تَنْسَنَا من بعض الأبيات.

فقال الأعشى - وهو شاعر العرب - قال:

لعمري لقد لاحت عيونٌ كثيرةٌ

إلى ضوء نار في يَفَاعٍ تُحْرقُ

يقول: والله لقد نظرت عيون العرب من كل جهة في البادية إلى ضوء هذا الرجل الكريم الذي ضيف الناس وأشعل النار.

تشب بمقرورين يصطليانها

يقول: تشب لمقرورين، الذين أصابهم الجوع والبرد فأتيا إلى هذه النار.

وبات على النار الندى والمحلق.

فطارت هذه القصيدة لتجلب الأزواج لبناته، حتى إن بناته تزوجن جميعًا في شهر، بسبب قصيدة الأعشى.

أراد الأعشى أن يسلم، فأتاه شياطين الإنس فصرفوه عن الإسلام.

وقد خرج من اليمامة - من منزله الذي يعد في حي منفوحة في مدينة الرياض، حيث دفن هناك، وقيل: دفن في ديراب بقرب الرياض - خرج على ناقة يمدح الرسول عليه الصلاة والسلام:

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيناكَ لَيلَةَ أرْمَدَا،

وَعَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيمَ المُسَهَّدَا

وَمَا ذاكَ مِنْ عِشْقِ النّسَاءِ وَإنّمَا

تَناسَيتَ قَبلَ اليَوْمِ خُلّةَ مَهدَدَا

وَلكِنْ أرىَ الدّهرَ الذي هوَ خَاتِرٌ،

إذا أصْلَحَتْ كَفّايَ عَادَ فأفْسَدَا

شَبَابٌ وَشَيْبٌ، وَافتِقَارٌ وَثَرْوَةٌ،

فَلِلّهِ هَذَا الدّهْرُ كَيْفَ تَرَدّدَا

وَمَا زِلْتُ أبغي المَالَ مُذْ أنَاَ يَافِعٌ،

وَلِيداً وَكَهْلاً حِينَ شِبْتُ وَأمْرَدَا

وَأبْتَذِلُ العِيسَ المَرَاقِيلَ تَغْتَلي،

مَسَافَةَ مَا بَينَ النّجِيرِ فَصَرْخَدَا

فَإنْ تَسْألي عَنّي فَيَا رُبّ سَائِلٍ

حَفيّ عَنِ الأعشَى به حَيثُ أصْعَدَا

ألا أيّهَذا السّائِلي: أينَ يَمّمَتْ،

فَإنّ لَهَا في أهْلِ يَثْرِبَ مَوْعِدَا

فأمّا إذا مَا أدْلجَتْ، فَتَرَى لهَا

رَقِيبَيْنِ جَدْيًا لا يَغِيبُ وَفَرْقَدَا

وَفيهَا إذا مَا هَجّرَتْ عَجْرَفِيّةٌ،

إذا خِلْتَ حِرْبَاءَ الظّهِيرَةِ أصْيَدَا

أجَـدّتْ برِجْلَيْـهَـا نَجَـاءً وَرَاجَـعَتْ

يَدَاهَا خِنَافًـا لَيّنًا غَـيـرَ أحْـرَدَا

فَــآلَيْتُ لا أرْثِي لهَــا مِنْ كَـلالَةٍ،

وَلا مِنْ حَـفًى حـتى تَزُورَ مُـحَـمّـدَا

مَـتى مَـا تُنَافي عندَ بابِ ابنِ هاشِمٍ

تُرِيحي وَتَلْقَيْ مِنْ فَــوَاضِلِهِ يَدَا

نَبيٌّ يَرَى مَــا لا تَـرَوْن، وَذِكْــرُهُ

أغَـارَ، لَعَـمْـرِي، في البِـلادِ وَأنجَـدَا

لَهُ صَــدَقَــاتٌ مَــا تُغِبّ، وَنَائِلٌ،

وَلَيْسَ عَطَاءُ اليَـوْمِ مَـانِعَـهُ غَـدَا

أجِـدِّكَ لمْ تَسْـمَعْ وَصَاةَ مُـحَـمّـدٍ،

نَبيِّ الإلَهِ، حِينَ أوْصَى وَأشْـهَــدَا

إذا أنْتَ لمْ تَـرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التّــقَى،

وَلاقَــيْتَ بَعْـدَ المَوْتِ مَن قَـد تـزَوّدَا

نَـدِمْتَ على أنْ لا تَكُونَ كَـمِــثْلِهِ،

وَأنّكَ لمْ تُرْصِـدْ لمِا كَـانَ أرْصَـدَا

فذهب فلقيه أبو سفيان، وأبو سفيان كان ذاك اليوم مشركًا، وعدوًا للرسول عليه الصلاة والسلام.

قال: أين تذهب؟

قال: للرسول ﷺ.

قال: أنظمت قصيدة؟

قال: نعم.

قال: كم تطمع أن يعطيك؟

قال: مائة ناقة.

قال: أنا أعطيك المائة ناقة وارجع.

فأعطاه مائة ناقة، وصرفه عن الإسلام، فركب إحداها فوقصته فكسرت عنقه، فمات مشركًا.

أسأل الله أن يتوفانا على الإيمان.

وأن يهدينا وإياكم إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة.

وأن يفقهنا في ديننا.

وأن يشرح صدورنا للإيمان.

وأن يرزقنا الجنة.

وأن لا يحرمنا من رؤية وجهه الكريم.

وأن يسقينا من حوض نبيه شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدًا.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً.

أسباب الفتن
وكيفية الخروج منها

● السبب الأول:

الإعراض عن آيات الله

من أكبر الفتن أن يعرض الإنسان عن الله - عز وجل - وعن رسول الله ﷺ، وعن منهج الله.

فإذا أصيب بالإعراض رماه الله - عز وجل - بالخزي والعذاب في الآخرة..

يقول سبحانه:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴾ (طه: ٤٢١ - ٦٢١)

وأهل العلم يقولون: من أراد الهداية وجدها.

ويقول ابن القيم: من أصلح في شبابه تغمده الله في شيخوخته بالرضوان.

ويقول المثل الصيني: الخط الذي طوله ألف ميل يقطع بخطوة، أي تمشي فيه أنت خطوة، **﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾** (العنكبوت: ٩٦).

ويقول تعالى: **﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾** (الأنفال: ٣٢).

كيف يهتدي من لا يأتي إلى المسجد؟

كيف يهتدي من يسمع كلام الله ويعرض عنه؟

إذًا أخبر - سبحانه وتعالى - أن من أسباب الفتن ومن أعظمها: الإعراض عن منهجه وعن آياته.

قال تعالى في قرية آمنة مطمئنة: **﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾** (سبأ: ٥١ - ٦١).

ونحن أشبه ما نكون بتلك القرية، نحن في نعيم لا يقدره إلا من كتبه وأنزله.

نحن في رخاء وفي أمن وأمان.

فكيف يحفظ هذا الأمن والرخاء؟:

بطاعة الله. بشكر الله. بعدم الإعراض عن منهج الله.

يأتيك أحدهم يعرض عليك همومه وقلقه، فتقول له: هل تصلي الفجر جماعة؟

قال: لا.

فتقول: هل قرأت القرآن؟

قال: لا.

فتقول: هل لك اطلاع على السنة؟

قال: لا.

فكيف يهتدي؟.. أليس هذا هو المعرض!!

• السبب الثاني:

نقض العهد مع الله

الأمة التي عاهدت الله لتنصر دينه فتنقض عهدها، بأن تولت إلى حطام الدنيا وإلى الشهوات والمغريات والنزوات: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ (آل عمران: ١٤).

فذهبت إلى تلك المغريات ولم تشكر الله، ولم تقم بميثاقه، فهذا من نقض ميثاق الله وعهده.

ومن نَقْضِ ميثاق الله: استبدالها بشريعته الشريفة شريعة أخرى.

قال تعالى: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ (المائدة:٤٥).

من نَقْضِ ميثاق الله: موالاة أعداء الله.

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ (النساء: ٥١).

من نَقْضِ ميثاق الله: الركون إلى أهل المعصية، وتقديمهم على أهل الطاعة.

قال سبحانه: ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ** ﴾ (المائدة: ٣١) .

يقول الحسن البصري - رحمه الله -: «يا من دائمًا ينقض الميثاق مع ربه، أما تخشى أن يقول لك في يوم من الأيام: ﴿ **هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ** ﴾.

موسى رافق الخضر - عليهما السلام - فاعترض عليه ثلاث مرات، قال له في المرة الأولى عندما خرق السفينة: ﴿ **قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا، قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا** ﴾ (الكهف: ٣٧)، فعذره ثم مشى معه، فلما قتل النفس قال: ﴿ **قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا، قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا** ﴾ (الكهف: ٤٧، ٥٧)، وانظر هنا فقد قال: "لك".. فقال: ﴿ **أَلَمْ أَقُل لَّكَ** ﴾، وقبل قال: ﴿ **أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** ﴾ فزاد الجار والمجرور تأكيدًا له، فيقول: أما قلت لك قبل قليل ونسيت!!

﴿ **قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا** ﴾، فقال بعدها: ﴿ **إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا** ﴾.

فانطلقا فلما بنى الجدار الذي يريد أن ينقض اعترض: ﴿ **قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ** ﴾.. وقف - عليه الصلاة والسلام - وكان يتابع القصة بشغف وبعاطفة قال: «رحم الله موسى استعجل ليته صبر حتى يقص علينا من خبرهما».

كان - عليه الصلاة والسلام - مشتاقًا إلى أن يسمع كثيرًا من القصة، لكن موسى - عليه السلام - استعجل وما صبر.

قال: «رحمه الله ليته صبر حتى يقص علينا من خبرهما».

والشاهد: قال الخضر: ﴿**هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ**﴾، فيقول الحسن: «هذا الخضر ما تحمل ثلاث مرات، وأنت يا من ينقض العهد مع الله في كل يوم مرات، أما تأمن من الله أن يقول: ﴿**هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ**﴾» وهذا للناقضين عهد الله.

يقول الله عن بني إسرائيل: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ**﴾ (المائدة: ٣١).

قال أهل العلم: «أول نقض: مخالفة نبيهم موسى عليه السلام».

الثاني: عاهدوا الله بترك الربا، ثم أكلوا الربا جهارًا نهارًا.

الثالث: فشى فيهم الزنا وما أنكر منهم منكر.

الرابع: توعدهم الله بعدم الصيد يوم السبت، فصادوا يوم السبت وأخذوا السمك يوم الأحد، وقالوا لا صيد.

الخامس: حرم الله عليهم شحوم الميتة، فجملوه وباعوه وأكلوا ثمنه.

إلى غير ذلك من نقض العهود.

قال: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ**﴾، فهم ملعونون على كل لسان نبي مرسلٍ، وكل ملك مقرب، وكل ولي صالح.

قال: ﴿**وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً**﴾:

يقول أهل العلم: اليهود المخالفون لو تناطحت جبال الدنيا أمام أعينهم ما اتعظوا؛ ولذلك لو أنذرت بالكتاب والسنة ليل نهار بعض من يتمادى في المعاصي، ومن يسرف في المحرمات ما ارتدع.

ويقـبح في الفـتى فـعل التـصـابي

وأقـــبـح مـنـه شــيخ قـــد تـفـتى

إذا مـــا لم يـزدك الـعــلـم خـــيــراً

فليـــتك ثم ليـــتك مـــا عـلـمـــتَ

وإن ألـقـاك فـــهـــمـك في مـــهــاوٍ

فليتك ثم ليتك مـــا فـــهـــمتَ

مـشـيت القـهـقـرى وخـبطـت عـشـوا

لعـــمــــرك لو وصلت لما رجــعـتَ

● **السبب الثالث:**

ترك الاحتساب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من أسـباب الفـتن أن تصـدف الأمـة، وتتـرك الأمـر بالمعـروف والنهي عـن المنكر ظهريًا، ويعـتذر جـمهـور النـاس أن للأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر هيـئة مسـؤولة تقوم بذلك، حتى يقول كل واحد منهم: نفسي نفسي، ولا دخل لي في أمور الناس،

والله يقول: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ، كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ**﴾ (المائدة: ٨٧، ٩٧).

أخـبر - عليه الصـلاة والسـلام - عن بنـي إسـرائيل: «**إن الرجل من بني إسرائيل يلقى الرجل في أول النهار، فيقول: اتق الله ولا تفعل هذه (يعني المعصية)، ثم لا يمنعه أن يكون أكيله وشريبة من آخر النهار**».

وهـذا كـفعل بعض النـاس، يرى أحدهـمـا الآخـر على الانحـراف والمعصـية ولا يمنعه أن يكون صديقه وجليسه وسميره وحبيبه وقريبه.

ويقول سبحانه: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ (آل عمران: ١١٠).

يقول عمر – رضي الله عنه وأرضاه –: «والله لا يتم أول الآية حتى يتم آخرها»، يعني لا نكون خير أمة حتى نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونؤمن بالله.

يقول – عليه الصلاة والسلام – لأحد أصحابه، لأبي ثعلبة الخشني:

«**مر بالمعروف، وانْهَ عن المنكر حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوى متبعًا ودنيًا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه فعليك خاصة نفسك ودع أمر العوام**» كما قال عليه السلام.

والمقصود من ذلك: أن المؤمن عليه أن يأمر بالمعروف، ولكن بالحكمة: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾.

لماذا يموت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

لماذا يرى أهل المعاصي على الأرصفة وفي السكك والشوارع ولا يؤمرون وينهون؟

فالمساجد تشكو إلى الله من قلة المصلين، فالحي الواحد يكتظ فيه مئات السكان، ولا يصلي في مسجده إلا الأفراد وبخاصة في صلاة الفجر، على الرغم من أن بعض البيوت فيها ثمانية وأكثر ولا يصلي إلا الواحد والاثنان.. أليس هذا منكرًا؟....

أما يعلم الجار بجاره أنه ما صلى في المسجد؟

أما يعلم أن جاره يأكل الربا، ويستمع للغناء، وقد خالف منهج الله فيما أمره ونهاه.

فموت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الفتن التي نعيش فيها الآن، فقد كان أجدادنا كما تعلمون على قلة علمهم، وقلة الوسائل يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولكن أتينا في فترة لا أمر ولا نهي، وانحصر الأمر حتى فشت المعصية.

قبل سنوات فيما يقارب عشرين سنة كما أخبرت بذلك: كان شارب الدخان إذا مر في بعض المدن يوصم بوصمة من الناس، ويوقف ويحاسب على فعله هذا بأنه خالف منهج الله، والآن أصبح أمرًا سهلاً عاديًا يتناوله الناس في المجالس وفي السيارات، وفي المكاتب، وفي بعض الفصول، وأصبح من ينهى عن الدخان كأنه معتوه.

حلق اللحية كان قديمًا كأنه من الكبائر، لكن استمرت الأمة على ذلك وأصبحت ذنوب الأمة أعظم من حلق اللحية، الربا، الزنا، موالاة أعداء الله، التشبه بأعداء الله، الإعراض عن منهج الله، ترك الصلوات. كل هذا أصبح من الكبائر، حتى إن الدعاة الذين يتكلمون في تطويل الثياب وفي حلق اللحى يقال لهم: «ما يعرفون إلا هذه المسائل» ويقال لهم: «ما عندهم فقه ولا بصيرة» بسبب موت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد وصف ﷺ الأمة عندما لا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر كمثل قوم ركبوا سفينة واقتسموا أماكنها، وقام بعضهم بخرق مكانه في السفينة، فإن تركوهم هلكوا وهلكوا جميعًا، وإن نهوهم نجوا ونجوا جميعًا.

• السبب الرابع:

الغفلة عن آيات الله وعدم تدبرها

آيات الله قسمان: كونية، وشرعية.

الكونية: آياته - سبحانه وتعالى - في الكون.

والشرعية: آيات القرآن.

يقع زلزال في الكون، بركان، ريح شديدة، مرض في الناس ويؤولونه للطبيعة.

تقضون، والفُلكُ المقدر ساخرٌ

وتقدِّرونَ، فتَضحكُ الأقدار

دُمرت بعض المدن بزلزال لـمَّا انتشر فيها الفساد فهلكوا في ثوان، ولما أتوا إلى الرأي العام قال حتى بعض المسلمين: انكسار في القشرة الأرضية.

فمن كسرها؟..

ومن قدرها؟..

ومن أرسلها؟..

ومن أنشأها؟..

ومن بدأها؟..

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: ٢٢).

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩).

هذه الآيات من آياته - سبحانه وتعالى - ردعًا للناس.

يقول الله: **﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** (الروم: ١٤).

والغفلة تأتي عن آيات الله في الكون يوم يُصدق هؤلاء الملاحدة الذين بنوا قواعدهم على هذا الأمر، حتى فصلوا مثلاً مادة الجغرافيا عن الإيمان، وفصلوا التربية عن الإيمان، وفصلوا علم النفس عن الإيمان، وجعلوا كل ما يحدث للعبد من الطبيعة، وفعل الحوادث والأيام، ونسوا الله - عز وجل - عن ذلك.

قال سبحانه وتعالى: **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾** (الأعراف: ٩٧١) .

والغفلة مرض.. نسأل الله أن يعافينا وإياكم منه، ومن أعظم علامات النفاق.

والمنافق قد يسمع الحديث والموعظة ولكن لا يستفيد ولا يفهم ولا يعقل.

كان بعض المنافقين يصلي مع رسول الله ﷺ ومات على الكفر - والعياذ بالله، فهذا عبد الله بن أبي في الصف الأول يوم الجمعة لكن ختم الله على قلبه ومات كافرًا، وما نفعت فيه شفاعة الرسول ﷺ؛ لأنه غفل عن طريق الهداية، فأصبح عاجزًا أن يفهم الإيمان والإسلام، فكيف يهتدي من لا يستعد للفهم ولا يستعد للتوجه؟

إن بعض الناس عالمٌ في علوم الدنيا وحضارة الدنيا، ولكن لا يعرف في الدين شيئًا، والرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول: -كما في الصحيحين-:

«**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**» ومن لا يرد به خيرًا لا يفقهه في دينه، ولا يهديه كتابه، ولا يعلمه سنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

• السبب الخامس:

الترف والبذخ المُنسي

نحن نعيش في بذخٍ وترفٍ متجاوزٍ للحدود، ترفٍ ماليٍ، وترفٍ فكريٍ، وترفٍ ماديٍ، وترفٍ حتى في الفراغ، نعيش في الترف، ومن يوازن بين حالتنا نحن في هذه الصفة هذا الجيل، وحال آبائنا وأجدادنا يجد البون الشاسع.

فنحن نعيش في ترف، في مساكننا، والترف في المطاعم، والترف في المشارب، حتى أصبحت من مقاصد الأمة، وأصبح كثير من الناس يعمل من أجل هذا الترف.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً** ﴾ (الإسراء: ٦١) .

أين الذين يملكون الملايين الكثيرة؟!

هل صحيح أن جميعهم اتبع منهج الله في أمواله؟

هل صحيح أن الكثير منهم اتقى الله في هذا المال الذي يكسبه؟

هل صحيح أن الكثير أرشد الإنفاق والأموال وأنفقها في سبيل الله؟

والله لو فعلوا ذلك ما بقي فقير ولا مسكين ولا أرملة، ولكن بعضًا من أصحاب الأموال الكثيرة يعيشون في الثراء، الثراء إلى النجوم، وأناس يعيشون في جوع مدقع، حتى السكَّر لا تجده عندهم وهو من الكماليات.

فأين الملايين؟!!

وأين البذخ؟!!

أين الترف؟!!

تجد هذا الترف الذي انحرف به عن منهج الله، والبذخ الذي أصبح شيكات سياحية يقوده إلى بانكوك وباريس ليعصي بها الله عز وجل.

أصبح عنده سيارات وفلل من الربا، وملابس من الربا.

وأصبح هذا محاربة لله - عز وجل - في مثل بيوت للغناء الماجن، وبيوت للفيديوهات المنحرفة.

أصبح هذا المال يوم لم يرشد بتقوى الله - عز وجل - والخوف من الله مالاً يتبع به سنة قارون. وإلا فالمال إذا لم يرشد ويوجه إلى الخير كان نقمة على صاحبه.

دخل عثمان بن عفان - رضي الله عنه - الجنة بماله؛ لأنه أنفقه في سبيل الله.

وكان ابن عوف - رضي الله عنه - يملك الألوف المؤلفة لكن أرضى ربه بماله، وأنقذ الأكباد الظامئة، والبطون الجائعة.

الترف هذا إن لم يوجه كان انتكاسًا للشخصية، وكثير من الشباب بالاستقراء عن أحواله نعرف أن سبب إعراضهم عن طاعة الله - عز وجل - من الترف، حتى ترك بعضهم الأعمال الدنيوية، من مزاولة العمل والالتحاق بوظيفة بسبب أنه مترف:

إن الشباب والفراغ والجدة

مفسدة للمرء أي مفسدة

فتصور شابًا ما عنده إيمان، ولا يعرف المسجد، ولا يعرف المصحف، ولا يتقي الله ربه، وعنده مال في جيبه، وعنده سيارة فاخرة، وعنده أموال مكدسة، وفلة بهية.

فكيف لا يكون ضائعًا؟.. حتى إننا عجزنا أن نقدم لأمتنا وبلادنا عمالاً لنا، وأصبح العمل عند بعض الناس عارًا، حتى أصبح الدخول إلى المنجرة وإلى تقديم الخدمات للناس عارًا عند بعضهم، وإلا فزكريا - عليه السلام - كان نجارًا، وداود - عليه السلام - كان حدادًا، وما من نبي إلا ورعى الغنم، ولكن هكذا يفعل الترف، يضيع الجيل، ويجعلهم مترهلين كسولين خاملين في الدنيا والآخرة.

السبب السادس:

عدم أخذ العبر من المُثلات

نجد فيمن حولنا من الشعوب المثلات والعظات والعبر، فكم من حروب!!، وكم من مصائب!!، وكم من كوارث.

فبعض الدول ينام أهلها في أمن ورغد من العيش، وتصبح على اجتياح من قبل دولة أخرى، فيُقَتّل أبناؤها، وتهدم منازلها، وتدمر حضارتها.

وبعضهم يسلط الله عليهم ريحًا عاصفة تجتثهم وتهدم مساكنهم.

أليست تلك من المثلات؟

يقول سبحانه: ﴿ **وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ** ﴾ (الرعد: ٤٥).

ومن يعرف تاريخ الأمم والشعوب يعرف كيف نكبهم الله نكبات، وأنزل بهم - سبحانه وتعالى - مثلاتٍ؛ لأنهم غيروا منهجه، وما استفادوا من آياته البينات ولم يعتبروا.

• السبب السابع:

تلبس الحق بالباطل

بعض الناس يعيش في غبش، فمرة يصلي، ومرة يترك الصلاة.

مرة مع أولياء الله، ومرة مع أعداء الله.

مرة يتلو كتاب الله باكيًا خاشعًا، ومرة يستمع إلى الأغنية الماجنة معربدًا.

مرة بالسواك مع أولياء الله، ومرة بالسجارة مع المنحرفين.

فهذا من اللبس، فهو ليس عنده منهج ولا طريق، وهذه المشكلة يشكوها كثير من البادئين في الهداية، ولو صدقوا مع الله لصدقهم الله: ﴿ **وإن الله لمع المحسنين** ﴾.

• السبب الثامن:

العجب بأعمال المعرضين

نحن في هذا القرن لم نقدم شيئًا للبشرية، فلم نقدم الإيمان، ولم نقدم لهم التكنولوجيا.

أما الإيمان فحصرناه نحن في أنفسنا، وعجزنا أن نستقيم على منهج الله، فكيف نقدم الإيمان للناس.

أصحاب الرسول - عليه الصلاة والسلام - قدموا دين الله للناس بفاقتهم وقلة وسائلهم.

من الذي نشر الإسلام في إسبانيا؟

من الذي أوصل الإسلام إلى الهند؟

من الذي بلغ دين الله - عز وجل - إلى السند؟

من الذي أدخل (لا إله إلا الله) إلى كابل؟

من الذي نشر التوحيد في إفريقيا؟

هم أصحاب الرسول - عليه أفضل الصلاة والسلام - لم يملكوا طائرات، ولا سيارات، ولا هواتف، ولا آلات اتصال، ولا تسهيلات، ومع ذلك بلغوا دين الله عز وجل.

ونحن نملك القدرات، ولكن عجزنا في أنفسنا أن نقيم منهج الله، فضلاً على أن ندعو الأمم إلى منهج الله.

الأمم ينادوننا صباح مساء أن نعرض عليهم بضاعتنا من الإيمان، لكن ما فعلنا.

وأما في عالم المادة فلم نقدم شيئًا، كل شيء عندنا مستورد، حتى الطباشير ومساحة السبورة والفوانيس.

فنحن نعرف كيف نأكل ونشرب ونرقد، ونغني ونرقص.

أما أن نقدم للبشرية شيئًا فهذا غير وارد، هم قدموا عالم المادة، وينتظرون منا عالم الروح، ولكن ما فعلنا شيئًا.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴾.

ويقول سبحانه: ﴿ **بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ** ﴾.

فهذا العجب بهذه الحضارة الزائفة من الفتن، حتى أصبحنا من هزيمتنا الروحية نرى الخواجة، فنعده ملكًا منزلاً من السماء إلا من رحم ربك.

وقد ركبت مع أحد الأشخاص من أبناء هذه البلاد، وكان قد سافر إلى الخارج، فكان في قلبه مرض، وعقدة نفسية من هذه البلاد، ويقول: «ما زلنا متخلفين في هذه البلاد ورجعيين، فأنا رأيت الخارج، ورأيت الحضارة، فمظهرنا غير حضاري، ولباسنا ليس عصريًا».

ويرى أن نخلع الغترة والطاقية، ونمشي هكذا في الأسواق، كي نكون متوحدين مع العالم، ويرى أن تجلس المرأة بجانب الرجل، ويقول: هل يأكل الرجل المرأة لو جلست بجواره؟ ولكنه نسي أنه لما أتوا بالمظاهر الحضارية نسوا منهج الله، فأصبح الزنا عندهم منتشرًا، والربا، واختلاط الأنساب، والتفكك الأسري، حتى إننا لا نرى أكثر من شخص في سيارة، وحينما سألناهم، قالوا: لأنه لا توجد علاقة بين الأسر، بينهم طلاق وانفصام، لأنهم ما وجدوا روح الإيمان.

أَمِنَ المناظر الحضارية أن تقوم المرأة في الصباح وتأخذ الكلب وتغسله بالماء والصابون، وتجلسه بجانبها في السيارة؟..

أم من المناظر الحضارية أن تقوم وترى الفتى والفتاة يقبلان بعضهما ولا يستنكر الناس؟

أم من المناظر الحضارية أن تمر بعشرات من الناس في الحدائق العامة وهم يبولون وقوفًا؟

أم من المناظر الحضارية أن تراه لا يتطهر، ولا يتطيب، ولا يستنجي، ولا يستجمر، ولا يأخذ خصال الفطرة؟

أم من المناظر الحضارية أن تراه يأكل كالكلب بيساره، ويجلس الكلب معه على المائدة؟

أم من المناظر الحضارية أن تمر عليه الشهور وهو لم يغتسل من الجنابة؟

فهذه حضارة المادة، وليست حضارة الروح.

وللشاعر محمد إقبال (شاعر الباكستان والهند) قصيدة بعنوان: (بحثت عنك يا رسول الله في ألمانيا فلم أجدك).

فيقول: بحثت عنك يا رسول الله ولم أجدك، ولم أجد إلا السيارات، والقاطرات، والطائرات، والبنات، ولكن ما وجدت الرحمة والعدل.. أين أنت يا رسول الله؟

● السبب التاسع:

عدم إخلاص الولاء والبراء

من هو ولينا؟

الله.. هو الذي - سبحانه وتعالى - كرمنا بهذه الرسالة، ورفع رؤوسنا بها ما بين الناس.. ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ**﴾ (محمد: ١١).

هذا نسب.. ﴿**وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ (آل عمران: ١٣٩).

فالولاء لله، والله يخبرنا:

من هم أولياؤه؟

ما صفاتهم؟

ما شهاداتهم؟

ما ألوانهم؟

يقول سبحانه: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ**﴾ (يونس: ٦٣).

اسكن في خيمة أو في بيت طين أو في عشة، ولكن كن وليًا لله، مصليًا صائمًا صادقًا، متجهًا إلى الله، فأنت ولي الله، والله وليك.

يقول سبحانه: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ، وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ (المائدة: ٥٦).

فتفاجأ في بعض الأوقات أن رجلاً مؤمنًا يرافق رجلاً كافرًا لا يصلي، وإذا قيل له: لماذا ترافقه؟

قال: هذا صديقي.

قيل له: أترافقه، وتأكل معه، وتحبه، وتنام معه وهو كافر؟

قال: صديقي في العمل، وأنا إذا انفصلت عنه جرحت مشاعره.

سبحان الله..!! عدو لله وأنت تتولاه، بغيض إلى الله وأنت تحبه، متعد على حدود الله وأنت تتقرب منه، يعني ليس لديه لا ولاء ولا براء.

كان السلف الصالح إذا ترك الرجل المسجد هجروه، فالعهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر، فبين المسلم والكافر ترك الصلاة.

وإلى عهد قريب كان في بعض القرى والمدن إذا ترك الرجل الصلاة في المسجد حاسبوه، حتى يذكر أنه في ناحية من النواحي كان إمام المسجد يحاضر الجماعة بعد انقضاء صلاة الفجر، إلا أن رجلاً ترك صلاة الجمعة، فلقيه الإمام بعد صلاة الجمعة، وسأله عن سبب تأخره، فقال: أخبرني القوم أنكم ما تحضرون في صلاة الجمعة، يعني كأنه لم يحضر إلا للتحضير!!

الشاهد: أنه يجب علينا الإخلاص في موضوع الولاء والبراء.

• السبب العاشر:

استصغار الذنوب

فهناك من الناس من إذا حدثته عن ذنب قال: هذا سهل يسير، أتحدثنا عن هذا؟!!

وهل هذه قضيتنا؟ فالأمر أسهل مما تتصور، والله غفور رحيم.

وتجد أهل المعصية آمن الناس بالله، وأهل الطاعة أخوف الناس من الله.

يقول الحسن البصري - رحمه الله - عن النفاق: «ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق».

بمعنى أن تارك الصلاة مثلاً إذا أتيت وقلت له: - والعياذ بالله - يا فاسق، مع العلم أن تارك الصلاة كافر عند أهل السُّنة والجماعة، وأفتى أهل العلم أنه لا يصلى عليه إذا مات، ولا يدفن ولا يكفن ولا يغسل، وأن زوجته تخرج من عصمته ولو لم يطلقها، ولا يجوز لها أن تبقى معه مادام يترك الصلاة، ومع ذلك لو قلت له: يا فاسق، قاتلك، ثم إذا ذكرت له تقصيره، قال: «لا.. أنا والحمد لله لست مقصرًا، ونحن في بلاد إسلامية، وأنت لو خرجت إلى بلاد الكفر رأيت العجب العجاب، نحن بخير - يعني ما بقي إلا ما خلعنا الثياب!! -، وهذا من استصغار الذنوب واستمرائها».

حتى إن بعض الجيوش العربية كانت تأخذ المصاحف وتمزقها بالأحذية، وقرأت في بعض المذكرات أن أحد المجرمين الكبار العتاة الملاحدة يقول لأحد الدعاة: اذهبوا به إلى الزنزانة.

قال هذا الداعية: يا رب إني مغلوب فانتصر.

قال: ربك لو نزل حبسته معك في الزنزانة ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ (الإخلاص: ١ - ٤) .

هذا استصغار الذنوب ومجاهرة الله - عز وجل - بالخطايا.

• السبب الحادي عشر:

طول الأمد في المعصية

فبعض الناس له سنوات في المعصية ولا يريد أن يتوب، وبعضهم عنده خطط خمسية في المعاصي!.. فإذا قيل له: تب إلى الله.

قال: إذا تزوجت إن شاء الله، فيتزوج.. ما لك لا تتوب؟!

فيقول: أحج وأتوب، فمن يوم إلى يوم حتى يلقى الله وهو عاص، وهو متهتك في حدود الله ﴿**فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾ (الحديد: ٦١).

ما يعود!، ولا يتوب!، ولا يدري متى يُؤخذ!، ولكن هكذا يستمر، وهذا موجود في الناس، فإن بعضهم يخطط للتوبة ويسوّف بها حتى يلقى الله وهو نادم خاسر - والعياذ بالله -.

فطول الأمد يجعل القلب مُرانًا عليه من كثرة الذنوب والخطايا؛ ولذلك فإن الشاب الذي في العشرين أسهل في الهداية من الشيخ العاصي الذي في الستين.

فالرسول - عليه الصلاة والسلام - عندما بدأ الدعوة من الذي استجاب له؟

نجدهم الشباب؛ لأنهم ما زالوا قريبين من الحق، لكن الكبار كأبي جهل، والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف الذين ران عليهم الكفر والجاهلية، واشتعل في قلوبهم النفاق والإلحاد رفضوا أن يستجيبوا له عليه الصلاة والسلام.

فالله الله في المبادرة بالشباب وصرف الشباب في مرضاة الله - عز وجل - وتمثل مدحه سبحانه وتعالى ﴿**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾ (الكهف: ٣١).

شباب الحق للإسلام عودوا
فأنتم فجره وبكم يسود
وأنتم سر نهضته قديمًا
وأنتم فجره الباهي الجديد

• السبب الثاني عشر:

التذبذب في المواقف

والتذبذب في المواقف يقصد به: عدم معرفة المنهجية، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء**﴾ (النساء: ٣٤١).

مرة يكون مستقيمًا، ومرة منحرفًا، فلا يدري من أين هو.

وهذه من علامة النفاق، وتجده ما يحمل منهجًا لله - عز وجل - في قلبه، فلذلك يرضي الناس بسخط الله.

عن عائشة - رضي الله عنها - تقول: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**من أرضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس، ومن أسخط الناس برضى الله رضي الله عليه وأرضى عليه الناس**».

مثل ماذا؟..

مثل أنك تمزح بالاستهزاء بالآيات أو بالرسول ﷺ أو بالإسلام حتى تضحك جلساءك، فهذا سخط لله وإرضاء لهم، فيسخطهم الله ويسخط عليك، ونعوذ بالله من الخذلان.

قال سبحانه: ﴿ **وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ، اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ (البقرة: ٤١، ٥١).

والاستهزاء وإرضاء الناس بسخط الله - عز وجل - ظاهرة منتشرة في أهل النفاق، كان مع الرسول - عليه الصلاة والسلام - منافقون في تبوك، فجلسوا يسمرون في الليل فيقول أحدهم: ما وجدنا كقرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أجبن عند اللقاء، يقصد الصحابة - رضي الله عنهم - يقول: كثرة أكل وجبن في اللقاء.

فالله - عز وجل - أخبر الرسول - عليه الصلاة والسلام - بهذا، فدعاهم وأخبرهم أنهم خرجوا من الملة وكفروا بالدين وعارضوا الله.

يقول سبحانه: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ ۞ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾ (التوبة: ٥٦، ٦٦).

ويقول سبحانه: ﴿ **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (التوبة: ٩٧).

وهذه الآية لها قصة:

جاء رجل من المؤمنين بصدقة كثيرة عند الرسول - عليه الصلاة والسلام - ألوف من المال فوضعها أمامه، فتغامز المنافقون في المسجد.

يقول - سبحانه وتعالى - عن المنافقين: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (النساء: ٢٤١).

فتغامزوا في المسجد، قالوا: صاحب هذا المال ما أراد إلا رياء وسمعة، فأتى رجل من المؤمنين بحفنة من التمر صدقة فوضعها في المسجد، فقالوا: ماذا تغني هذه الحفنة عن جيش كامل يجهزه الرسول ﷺ؟.

فالله - عز وجل - قال: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

ويقول سبحانه: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ، اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (البقرة: ٥١،٤١).

والعرب كانت تحب الصراحة وتكره المجاملة والنفاق حتى في الجاهلية، يقول أحدهم:

فإما أن تكون أخي بحقٍ
فأعرف منك غَثِّي من سميني

وإلا فاطرحني واتخذني
عدواً أتقيك وتتقيني

فإني لو تخالفني شمالي
خِلافك ما وصلت بها يميني

إذاً لقطعتها ولقلت بيني
كذلك أجتوي من يجتويني

● السبب الثالث عشر:

نسيان الذكر

من أسباب الفتن نسيان ذكر الله - عز وجل - والانصراف عنه.

يقول - سبحانه - عن بني إسرائيل وعن أمثالهم: ﴿ **تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً** ﴾ (الأنعام: ١٩) .

يعني الشريعة تجعلونها قراطيس، يعني المصحف أصبح عندنا أو عند الكثير قراطيس، يعني مظاهر فقط، ولكن القرآن - يا أيها الإخوة الكرام - ما أنزل إلا ليُعمل به، ما أنزل إلا ليحكم به: ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ (المائدة: ٥٠).

القرآن ليس رقية فقط للمصاريع إذا صرعوا، أو تَلبَّسهم جان نقرأ عليه فقط، أو يقرأ في حفلات الزواج مثل ما يفعل بعض الناس، أو على الأموات، لكن القرآن للحياة، والعجب أن يترك على الرف وأن يهجر وأن يستبدل به غيره هذا من الخزي والدمار والشنار والله المستعان.

يقول سبحانه: ﴿ **فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ، فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (الأنعام: ٤٤، ٥٤).

نسيان الذكر عقوبة يعاقب بها الله - عز وجل - من شاء من عباده، لانحرافهم عن منهجه سبحانه وتعالى.

● السبب الرابع عشر:

تقديم الدنيا على الآخرة

يقول عليه الصلاة والسلام: «**والذي نفسي بيده ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تفتح الدنيا فتتنافسوا فيها فتهلككم كما أهلكت الذين من قبلكم**».

ووالله لقد وقع هذا.

هل سمعت بالجدال والشجار بين الأرحام؟!، إلا يوم أن فتحت الدنيا!!

هل كان الرحيم يجلس مع رحمه، والصهر مع صهره، والجار مع جاره بين يدي القاضي في مشكلة قبل أن تفتح الدنيا؟

هل كان الناس يتجادلون على الأراضي وعلى الأموال وعلى خصومات السيارات وعلى المعارض وعلى الدنيا؟.. إلا يوم أن فتحت الدنيا!!

فالناس قبل عشرات السنوات كانوا أنقياء أحباء يجتمعون في بيت واحد، ويجتمعون على سمر وعلى حب، يتزاورون، فلما فتح الله عليهم الدنيا تهالكوا.

ومن قبل لم يكن عندهم أراض، وكان الإنسان عنده بيت وعنده دابة حمار وبقرة وثور، ويذهب في الصباح يحرث في مزرعته، ويأتي في المساء ويجلس مع جيرانه، سمرٌ وحب وصفاء ومزح وزيارات وإخاء، فلما فتح الله عليهم الأراضي والأموال تذابحوا وتناحروا وسجن الكثير منهم، وتقاطعوا في الأرحام، وجلسوا في المشكلات.

مررنا بقرية من قرى الجنوب، وقال لنا أحد الناس في القرية: والله إن صاحب هذا البيت لا يسلم على أخيه شقيقه من عشرين سنة بسبب قطعة أرض!!

أين الإيمان؟

أين معنى الصلاة؟

أين معنى الخوف من الله عز وجل؟

ويقول بعضهم: والله لقد هممت أن أذبح فلانًا.. لماذا؟.. قال: مزارعي أخذها عليٌّ حسيبه الله، ولو يعلم أن المزارع ليست لهذا ولا لذاك!!.

أسد عليَّ وفي الحروب نعامة

فتخاء تنفر من صفير الصافرِ

لذلك فالفقر لا خوف منه، الخوف من الغنى، والتشاحن ما أتى إلا من انفتاح الدنيا، حتى كلام الناس الآن أصبح في الدنيا، فإذا دخلت المجالس وجدت التكلم عن الأسعار، حتى أصبح الناس يتابعون أسعار البترول، فأصبح الذي نعرف أنه لا يقرأ الفاتحة يلاحق سعر البرميل بسبب تعلق الناس بالدنيا، وعدم تعلقهم بما يقربهم من الله، وإلا فلن يموت أحد جوعًا ما دام رزق الله وافراً، ولكنا نخاف والله من الدنيا أن تشتت فيما بيننا كما حدث، ونعوذ بالله من الخذلان والنكوص على الأعقاب.

يقول سبحانه: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ** ﴾ (النحل: ١٠٧).

أحبوا الدنيا على الآخرة، حتى إنك لتجد الشيخ في السبعين من عمره ما زال يبني ويراقب البنائين، ويقف بنفسه على حسن العمارة، وحسن الصياغة، كأنه يعيش بعد السبعين سبعين أخرى، فماذا قدم للآخرة؟ وقد رأيت في صحيفة مقابلة مع شيخ عمره مئة وخمس وعشرون سنة وقد تزوج أكثر من ثلاثين امرأة.

ولكن ما سألوه عن الدين شيئًا.. كم تصلي من النوافل؟

كم تذكر الله عز وجل؟

ما عملك اليومي؟

هل استفدت من تجاربك من طول الحياة شيئاً؟

ما الفرق بين الصفة التي عشت فيها، وبين صفة الشكر لنعم الله عز وجل؟

بين حالة الفقر التي عشت فيها وبين هذه الحالة؟

بين الناس الذين عهدتهم وبين هؤلاء الناس؟

ولكنهم سألوه: ماذا يفطر؟.. فقال: يفطر خبزة في الصباح فيها ثلاث كيلو بر، ويقول: ما يأكل من هذه المعلبات شيء، ولذلك يقول عظمي كالحجر، ولا يزال يصعد الجبل.

وهذا طيب، ولكن ما العبر والدروس من مئة وخمس وعشرين سنة.

ابن تيمية عمره ثلاث وستون سنة قدم للأمة أكثر من ثلاث مئة مجلد، قدم للأمة دمه، قدم للأمة علمه، وكثير من الناس ما هو ذكره؟، عبادته؟ صلاته؟ صلاحه؟ إصلاحه؟. يقول سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا**﴾ (الإنسان: ٢٧). واليوم الثقيل الآخرة.

فنحن أجبنا صراحة - لا يسلم من هذا أحد - الدنيا رسخت في أذهاننا واستولت بالحديث على مجالسنا وأصبحنا نخاف، ولما جاءت فتنة الخليج هذه هرع الناس إلى الأسواق إلى الرز والسكر وكدسوها في المخازن كأنهم لا يموتون، ونحن - والحمد لله - من أكثر الشعوب منافذ على البحر من كل جهة، والأمر الثاني أنه كما قيل: لن تأكل أنت وجارك جائع إذا قامت المشكلة أصبح الناس سواسية، والأمر الثالث أين الثقة بموعود الله - عز وجل - والواجب أن نكدس للآخرة كما كدسنا للدنيا من العمل الصالح.

كيفية الخروج من الفتنـــة

● **أولاً:**

التضرع إلى الله

قال تعالى: ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ**﴾ (الذاريات: ٥٠).

والفرار لا يكون إلا إليه بالتوبة النصوح وبالاستغفار، وبالدعاء دائمًا وأبدًا.

حدثنا بعض كبار السن يقول: «أتانا مرة قحط حتى ما بقيت لا سمينة ولا بقيت خضراء، قال: فخرجنا في يوم من الأيام بالمواشي نتضرع إلى الله - عز وجل - ونعرض أحوالنا على الله، فوالله الذي لا إله إلا هو ما عدنا من المصلى إلا والسيل يطم الأودية».

بسبب أنهم تضرعوا وصدقوا مع الله، لكن نحن الآن صلينا صلاة الاستسقاء مرات كثيرة لكنا خرجنا مقصرين، وخرجنا مذبذبين، وخرجنا نتلبس باللباس الجميل، والرسول ﷺ خرج متبذلاً متضرعًا، خرجنا بالسيارات الفاخرة، كأننا في عيد، وخرجنا نتضاحك في المصلى، والرسول ﷺ خرج مستغفرًا داعيًا متبتلاً إلى الله، وخرجنا والكثير منا أموالهم في البنوك الربوية! ومنا من كان يستمع للأغاني الماجنة، والبعض الآخر ربما ما صلى الفجر في المسجد تلك اللحظة، ومنا العاق لوالديه أو الهاجر لوالدته المسيء إليها؛ فما أتى أثر لصلاة الاستسقاء، فنرجو من الله أن يغير الحال إلى أحسن وأن يردنا إليه ردًا جميلاً.

يقول سبحانه: ﴿**فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (الأنعام: ٤٣).

ويقول سبحانه: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ (البقرة: ١٨٦).

أذكر لكم فكاهة وقعت في بعض الأماكن:

هناك أناس كانوا يعلمون أنهم إذا استسقوا الله - عز وجل - فإن الله سينزل عليهم الغيث، ولكن ما فيهم إمام يصلي بهم، فخرجوا بعد القحط وجلسوا في الصحراء، في واد من الأودية، وقالوا: يا ربنا، نسألك أن تسقي ظمأنا، يا رب،

انقطع الماء ومواشينا تكاد تهلك، وقالوا: والله الذي لا إله إلا هو لو كنت مكاننا وكنا مكانك ما نرضى لك هذا الحال، ثم أخرجوا غترهم من على رؤوسهم قالوا: هذا بين يديك يا رب أن تسقينا، فقال: والله لقد نزل الغيث ذاك اليوم، وهذا برحمة الله - سبحانه وتعالى - فأخذهم الله بنياتهم تبارك وتعالى لأنهم صدقوا مع الله ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾ (النمل: ٦٢).

ويقول سبحانه: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ (البقرة: ١٨٦).

• **ثانيًا:**

الاهتداء بنور الوحي

أي نور أتى به محمد ﷺ؟

أي نور أتى به ابن آمنة ﷺ فجره في الدنيا؟

أي نور بثه للقلوب؟

أي نور سار في الدنيا من نوره ومن مشكاته ﷺ؟

أين ما يدعى ظلامًا يارفيق الليل أين؟
إن نور الله في قلبي وهذا ما أراه

قد مشينا في ضياء الوحي حبًا واهتدينا
ورسول الله قاد الركب تحدوهُ خطاه

﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾ (النور: ٤٠).

أين النور؟.. نور الله الذي أتى به ﷺ ﴿**نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء**﴾ (النور: ٣٥).

هذا هو النور ليس نور الكهرباء، ولا نور الشمس ولا الضياء، هو نور الرسالة أن تهتدي بالإيمان أن تسلك سبيل القرآن، أن تكون وليًا للواحد الديان، هذا هو النور.

يقول سبحانه: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا** ﴾ (الشورى: ٥٢).

هذه الآية تخاطب الرسول - عليه الصلاة والسلام - يقول: أعطيناك روحاً كانت ميتة في أمة ميتة (أمة الصحراء) أنا وأنت وأبي وأبوك وجدي وجدك، كنا نرعى البقر والإبل والجمال في الصحراء، فأتى ﷺ، وبعد خمس وعشرين سنة انطلق المسلمون بهذه الرسالة، فملكوا ثلاثة أرباع الدنيا.

كان عمر بن عبد العزيز يحكم في دمشق وكان واليه في سمرقند، وفي طاشقند وفي السند، ثلاثة أرباع روسيا كانت لنا.

كم صرّفتنا يد كنا نصرفها

وبات يملكنا شعب ملكناه

﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا** ﴾، فقد كنا جثة هامدة، فأرسل الله فينا روحًا وهو القرآن والإيمان ﴿ **رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ** ﴾ (الشورى: ٥٢)، حتى الرسول - عليه الصلاة والسلام - أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب، لا يكتب اسمه، لكن العجيب أن القرآن كله في صدره والسُّنة كلها في صدره، وقد كان أخطب خطيب، وأكبر مفتٍ، وأحسن قائد، أليس هذا معجزة؟!!

﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ، بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ** ﴾ (العنكبوت: ٤٨،٤٩) .

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا** ﴾ (الشورى: ٥٢). يعني من شرعنا ﴿ **مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ** ﴾ أربعون سنة يعيشها ﷺ في مكة مع قوم فقراء أشبه شيء بالبدو، لا يعرفون القراءة ولا الكتابة ويأتيه في غار حراء النور هذا الذي قصده الله عز وجل ﴿ **مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ** ﴾،

﴿ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (الشورى: ٥٢). سبحان من يهدي من يشاء ويضل من يشاء، يهدي ابن الفاجر فيصبح الابن هذا وليًا لله، ويكون الأب شقيًا من الأشقياء، ويضل ابن الرجل الصالح فيصبح الابن شقيًا والوالد صالحًا ﴿ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ (يونس: ٣١)، حكمة بالغة وقدرة نافذة فسبحان المصرف، سبحانه وتعالى: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا، وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الشورى: ٥٢).

إلى طريق الجنة التي من أسباب الخروج من الفتن والاهتداء بنور الله عز وجل ونور الوحي (الكتاب والسُّنَّة) والدروس والمواعظ والخطب، ميراث محمد ﷺ، وكلام العلماء.

● **ثالثًا:**

الاقتداء بالمعصوم عليه الصلاة والسلام

يقول ﷺ في صحيح مسلم: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بما أرسلت به إلا دخل النار**».

يقول سبحانه: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ (الأحزاب: ٢١). وقد تكرر قول ابن تيمية: «من اعتقد أنه سوف يهتدي بهدي غير هدي الله الذي جاء به محمد - عليه الصلاة والسلام - فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإمام مجدد الدعوة - رحمه الله رحمة واسعة وجمعنا به في الجنة - يقول: "عامي واحد يغلب ألف مخلط" يعني عامي موحد يغلب ألف مخلط؛ ولذلك كان العوام في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب يهزمون الجيوش، كان يخافهم الإنجليز على حدود العراق، يحمل أحدهم المصحف

هنا، ومجموعة التوحيد ولا يعرف إلا لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومنهج الله فيغلب أعداء الله، حتى يقولون طافت عليهم مرة طيارة فقال لهم القائد العسكري: ادخلوا الأخبية أو الخيام قالوا: الله فوق الطيارة أم الطيارة فوق الله؟ فقال: الله فوق الطيارة، قالوا: توكلنا على الله، فأسقطوها بإذن الله ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**﴾ (آل عمران:١٧٣، ١٧٤).

يقول: كانوا قبل المعركة يغتسلون ويتطيبون ويلبسون أكفانهم، ويقول أحدهم: هبت هبوب الجنة وين أنت يا باغيها، لا غنم ولا قصور ولا سيارات، ولذلك في كل عصر كل من صدق مع الله واتبع المعصوم أنقذه الله عز وجل من الفتن.

● **رابعًا:**

اجتناب التشبه بأعداء الله

يقول - عليه الصلاة والسلام - فيما صح عنه: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»، وأكثر ما نحذره على أنفسنا وقد وقع هذا في قطاع كبير من المسلمين التشبه بأعداء الله، التشبه في المظهر التشبه في الكلام، التشبه في الجلوس، التشبه في الأخذ والعطاء، حتى أثر ذلك في معتقداتهم.

وقدوتنا وحبيبنا رسول الله ﷺ.

فلماذا هذا التشبه؟

ولماذا هذا الانحراف؟.. حتى دخل التشبه في صفوف النساء بالرجال، وفي الرجال بالنساء، يقول عليه الصلاة والسلام: «**لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال**».

فالتشبه كأن يلبس الرجل لبسة المرأة، أو يمشي كمشية المرأة، أو إذا تحدث رقق حديثه كالمرأة، أو يظهر في زي كزي المرأة، أو يلبس مثل لباس المرأة كالذهب

والحرير، أو المرأة تفعل كفعل الرجل تزاول العمل الذي يزاوله الرجل، وتتكلم بجراءة كالرجل، وتظهر بمظهر الرجل، هذه ملعونة، فالعياذ بالله من الفتن.

● **خامساً:**

اليقين أمام الشبهات

يجب أن يكون عندك علم راسخ أمام كل شبهة.

قال سبحانه: ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾ (محمد: ٢٤).

لذا يجب أن تكون صاحب يقين، واليقين يحصل بأن تكون متأملاً دائمًا متفكرًا في آيات الله الكونية والشرعية، واليقين هو العلم كله وهو الرسوخ.

يقول الحافظ الحكمي رحمه الله:

وهو رسوخ القلب في الإيقان

حتى يكون الغيب كالعيان

وفسره - عليه الصلاة والسلام - بقوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

وإذا خلوت بريبة في ظلمة

والنفس داعية إلى الطغيان

فاستحي من نظر الإله وقل لها

إن الذي خلق الظلام يراني

● سادسًا:

الصبر أمام الشهوات والمغريات

لا بد للمسلم أن يزرع الصبر أمام الشهوات والمغريات، فعصر الفتن عصر عدم وازع الدين، عصر قلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عصر الوسائل التي تبث بكل لغة وبكل أسلوب وبكل بهرجة الفتنة، فكيف تقف صابرًا محتسبًا؟.. ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ (السجدة: ٢٤).

ويقول سبحانه: ﴿**وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ (الرعد: ٢٣،٢٤).

فاصبر حتى تلقى الله عز وجل.

● سابعًا:

قُصر الأمل

ويعني بأن لا يطول الإنسان أمله في الحياة..

﴿**مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ**﴾ (العنكبوت: ٥).

وأن تعرف أنك اقتربت وأن أجلك قد قرب.

﴿**إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النُّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**﴾ (يونس: ٧،٨).

وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، اليوم فحسب ستعيش، فلا أمس الذي ذهب بخيره وشره، ولا الغد الذي لم يأت إلى الآن. اليوم الذي أظلتك شمسه، وأدركك نهاره هو يومك فحسب، عمرك يوم واحد، فاجعل في خَلَدِك العيش لهذا اليوم وكأنك ولدت فيه وتموت فيه، حينها لا تتعثر حياتك بين هاجس الماضي وهمه وغمه، وبين توقع المستقبل وشبحه المخيف وزحفه المرعب،

لليوم فقط اصرف تركيزك واهتمامك وإبداعك وكدك وجدك، فلهذا اليوم لابد أن تقدم صلاة خاشعة، وتلاوة بتدبر، واطلاعًا بتأمل، وذكرًا بحضور، واتزانًا في الأمور، وحسنًا في خُلق، ورضى بالمقسوم، واهتمامًا بالمظهر، واعتناء بالجسم، ونفعًا للآخرين.

لليوم هذا الذي أنت فيه فتقسم ساعاته وتجعل من دقائقه سنوات، ومن ثوانيه شهورًا، تزرع فيه الخير، تسدي فيه الجميل، تستغفر فيه من الذنب، تذكر فيه الرب، تتهيأ للرحيل، تعيش هذا اليوم فرحًا وسرورًا، أمنًا وسكينة، ترضى فيه برزقك، بزوجتك، بأطفالك، بوظيفتك، ببيتك، بعلمك، بمستواك ﴿**فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ**﴾ (الأعراف ١٤٤).

إنك لو صدقت مع نفسك بإرادة فولاذية صارمة عارمة لأخضعتها لنظرية: (لن أعيش إلا هذا اليوم). حينها تستغل كل لحظة في هذا اليوم في بناء كيانك، وتنمية مواهبك، وتزكية عملك، فتقول: لليوم فقط أهذب ألفاظي فلا أنطق هجرًا أو فحشًا، أو سبًا، أو غيبة.

لليوم فقط سوف أرتب بيتي ومكتبتي، فلا ارتباك ولا بعثرة، وإنما نظام ورتابة.

لليوم فقط سوف أعيش فأعتني بنظافة جسمي، وتحسين مظهري، والعناية بهندامي، والاتزان في مشيتي وكلامي وحركاتي.

لليوم سأعيش فأجتهد في طاعة ربي، وتأدية صلاتي على أكمل وجه، والتزود بالنوافل، وتعاهد مصحفي، والنظر في كتبي ومطالعة كتاب نافع.

لليوم فقط سأعيش فأغرس في قلبي الفضيلة وأجتث منه شجرة الشر بغصونها الشائكة من كبر وعجب و رياء و حسد وحقد وغل وسوء ظن.

لليوم فقط سأعيش فأنفع الآخرين وأسدي الجميل إلى غيري، أعود مريضًا، أشيع جنازة، أطعم جائعًا، أفرج عن مكروب، أقف مع مظلوم، أشفع لضعيف، أواسي منكوبًا، أكرم عالمًا، أجل كبيرًا، أرحم صغيرًا.

لليوم فقط سأعيش فيا ماض ذهب وانتهى اغرب كشمسك فلن أبكي عليك، ولن تراني أقف لأتذكرك لحظة؛ لأنك تركتنا وهجرتنا وارتحلت عنا، ولن تعود إلينا أبد الآبدين.

ويا مستقبل أنت في عالم الغيب فلن أتعامل مع الأحلام، ولن أبيع نفسي مع الأوهام، ولن أجعل ميلادي مفقودًا، لأن غدًا لا شيء، لأنه لم يخلق.

● **ثامنًا:**

تجديد التوبة

يقول سبحانه: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ (آل عمران: ١٣٥).

وقال سبحانه: ﴿ **أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (المائدة: ٧٤). جددوا إيمانكم. قالوا كيف؟ قال: بلا إله إلا لله والاستغفار.

وفي حديث عند أبي يعلى في سنده كلام، يقول الشيطان: «أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار». وجاء عبد الله بن حريث إلى الرسول- عليه الصلاة والسلام - فقال: «يا رسول الله، إني أذنب ثم أتوب، قال: تب إلى الله يتب الله عليك، قال: ثم أذنب، قال: تب إلى الله، قال ثم أذنب قال تب إلى الله، قال: إلى متى يا رسول الله، قال: إلى أن يكون الشيطان هو المدحور».

وفي بعض الآثار: «تب إلى الله ولو أذنبت في اليوم سبعين مرة».

● **تاسعًا:**

القيام بشكر المنعم سبحانه

شكر اللسان الثناء على الله، وشكر العين البكاء من خشية الله، وشكر الجوارح الحياء من المعاصي ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾ (إبراهيم: ٧) .

﴿ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ ﴾ (البقرة: ١٥٢).

ومن عصى الله فما شكره.

ومن جعل نعم الله محاربة لله فقد كفر بالله: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ (سبأ: ١٥، ١٦).

والمعنى أن تذكر نعم الله عليك فإذا هي تغمرك من فوقك ومن تحت قدميك ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾ (إبراهيم: ٣٤).

صحة في بدن، أمن في الوطن، غذاء وكساء، وهواء وماء، لديك الدنيا وأنت ما تشعر، تملك الحياة وأنت لا تعلم ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (لقمان: ٢٠).

عندك عينان، ولسان وشفتان، ويدان ورجلان ﴿ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن: ١٣).

هل هي مسألة سهلة أن تمشي على قدميك، وقد بترت أقدام آخرين، وأن تعتمد على ساقيك، وقد قطعت سيقان آخرين، أحقير أن تنام ملء عينيك وقد أطار الألم نوم الكثير، وأنت تملأ معدتك من الطعام الشهي، وأن تكرع من الماء البارد وهناك من عكر عليه الطعام، ونغص عليه الشراب بأمراض وأسقام.

تفكر في سمعك وقد عوفيت من الصمم، وتأمل نظرك وقد سلمت من العمى، وانظر إلى جلدك وقد نجوت من البرص والجذام، والمح عقلك وقد أنعم عليك بحضوره ولم تفجع بالجنون والذهول.

أتريد في بصرك وحده كجبل أحد ذهبًا؟!

أتحب بيع سمعك وزن "ثهلان" فضة؟!

هل تشتري قصور الزهراء بلسانك فتكون أبكم؟!

هل تقايض بيديك مقابل عقود اللؤلؤ والياقوت لتكون أقطع؟!

إنك في نعم عميمة، وأفضال جسيمة، ولكنك لا تدري، تعيش مهمومًا مغمومًا حزينًا كئيبًا وعندك الخبز الدافئ، والماء البارد، والنوم الهانئ، والعافية الوارفة، تتفكر في المفقود ولا تشكر الموجود، تنزعج من خسارة مالية وعندك مفتاح السعادة، وقناطير مقنطرة من الخير والمواهب والنعم والأشياء. فكر واشكر، ﴿ **وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ** ﴾ (الذاريات:٢١) فكر في نفسك، وأهلك، وبيتك، وعملك، وأصدقائك، والدنيا من حولك ﴿ **يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا** ﴾ (النحل:٨٣).

● **عاشراً:**

الدعوة إلى منهج الله

كلنا دعاة، والواجب علينا إذا أردنا أن نحافظ على أنفسنا وأمتنا وعلى بلادنا وعلى إيماننا أن نكون دعاة: ﴿ **وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ** ﴾ (آل عمران: ٧٩).

إن علينا أن نسعى إلى هداية الناس الطريق المستقيم، قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ (الشورى: ٥٢).

وقال - عليه الصلاة والسلام - لعلي بن أبي طالب وهو يرسله إلى اليهود: «فوالذي نفسي بيده لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حُمر النعم».

لماذا لا نكون رحمةً لا عذابًا؟. ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

لماذا لا نكون بردًا وسلامًا على الناس، بدل أن نكون مصدرًا لشقاوتهم وتخويفهم، وزعزعة أمنهم، واضطراب أحوالهم؟

لماذا لا نكون فجرًا جديدًا على العالم، نبشره بالرسالة الربانية والنبي الخاتم، والدين الخالد، والرحمة المهداة، والنعمة المسداة؟.

أين التيسير يا دعاة التعسير؟!.. «**إنما بعثتم ميسرين ولم تُبعثوا معسرين**»، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

أين دعاة الحكمة يا دعاة الغلظة؟..

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ (النحل: ١٢٥)..

وقال تعالى: ﴿ **فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى** ﴾ (طه: ٤٤).

وقال ﷺ: «**ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نُزع من شيءٍ إلا شانه**».

وقال ﷺ: «**يا عائشة؛ إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف**».

أين البشرى برحمة الله؟! والرسول ﷺ يقول: «**بشِّروا ولا تنفِّروا ويسِّروا ولا تعسِّروا**».

فالله الله في نشر هذا الخير كلٌ بحسبه وكلٌ بقدرته كما كان يفعل أجدادنا وأسلافنا من قبل والله معنا.

● **الحادي عشر:**

محاربة البدع والمحدثات

كلما رأيت مبتدعًا حاول أن تقنعه بترك بدعته، البدع في المعتقدات، البدع في العبادات، يعج العالم الإسلامي بكثير من البدع والأساليب الصوفية الضالة، التي ما أنزل الله بها من سلطان، حتى من يخرج إلى بعض الدول في الخارج يجد الأمر عجيبًا، يأتي المؤذن يؤذن رأيناه في بعض البلاد وقبل أن يؤذن يقرأ ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ في الميكرفون ثلاث مرات، ويصيح: صلوا على حبيبي، صلوا على حبيبي، فيصلي أهل المسجد، فإذا أذن مسح عينيه، وقبل كفيه أو أصبعيه؛ لأنه مسح عينيه، وبعد الصلاة يقوم الإمام يقول قراءة الفاتحة على روح المصطفى ثم يقول حزبكم من القرآن. هذا خلاف سنة الرسول عليه الصلاة والسلام «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**».

وقد أتت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - لتجديد الدعوة، وقد كان الناس في وقته يطوفون بالقبور، كانوا يعوذون بالجن، بعض الناس كانوا يأتون باللحوم ويعلقونها بالأشجار، كانوا يذهبون إلى الكهنة، كان الرجل إذا ما حملت امرأته ذهب إلى شيخ القرية ويهدي له التيوس والدجاج، وهي منتشرة الآن في بعض النواحي والعياذ بالله.

يقول عليه الصلاة والسلام: «**من أتى كاهناً أو عرافًا وصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**» ومن أتى عرافًا فهو ملعون، والعراف ملعون ومن أتى كاهنًا فهو ملعون، والكاهن ملعون.

• الثاني عشر:

نشر علم الشريعة

ونشر علم الشريعة أن تشجع ابنك وتشجع بيتك على سماع الشريعة وعلى حضور مجالس الشريعة التي يعرض فيها الفقه والتفسير والحديث والعقيدة الموروثة عن معلم الخير - عليه الصلاة والسلام - لأن أهل الباطل ينشرون باطلهم، فمحاضرات الكفر يحضرها مئة ألف إلى مئتي ألف، ولها دعايات وقنوات وصحف، ومجلات ووكالات، وأهل الخير جديرون أن يتعاونوا؛ لأن هذه البلاد ما قامت إلا على الشريعة ولا تصلح إلا بنشر الشريعة.

فالله الله في نشر ميراث محمد ﷺ وفي التواصي بالحق.

أسأل الله أن يتوفانا على الإيمان.

وأن يهدينا وإياكم إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة.

وأن يفقهنا في ديننا.

وأن يشرح صدورنا للإيمان.

وأن يرزقنا الجنة.

وألاّ يحرمنا من رؤية وجهه الكريم.

وأن يسقينا من حوض نبيه شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدًا.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

سفينة النجاة

سفينة النجاة

فقد أبحرت سفينة النجاة منذ أربعة عشر قرنًا في بحر الحياة، وربانها معصوم لا ينطق عن الهوى، ولا يضل - عليه الصلاة والسلام - وقد قاربت على وصول الشاطئ.. ﴿**بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا**﴾ (هود:٤١).

سفينة ركب فيها الصالحون فنجوا، وتخلف عنها الهالكون فهلكوا.

﴿**وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ**﴾ (هود: ٤٤).

فيا أرض الشهوات ابلعي ماءك، ويا سماء الظلمات أقلعي، فقد قُطع دابر الكفر والخراب في العالم يوم وصول هذه السفينة، وقد انطلق الهوى مع الإنسان ﴿**حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا**﴾ (الكهف: ٧١). فأخبره أن السفينة ﴿**لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ**﴾ (الكهف: ٧٩) في بحر الشهوات حتى أتى رسول الهدى ﷺ، فأخرجهم من الظلمات إلى النور؛ لأن من مهمته أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومهمة الهوى والشيطان أنهم ﴿**يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (البقرة: ٢٥٧).

وصاياه عليه الصلاة والسلام

أوصى - عليه الصلاة والسلام - الصحابة بوصايا متنوعة، فأوصى واحدًا منهم كما في الصحيح: «**لا تغضب.. لا تغضب.. لا تغضب**».

فأوصاه - عليه الصلاة والسلام - بما يناسب شخصه.

قال بعض أهل العلم من المحدثين: إنما اختلفت وصاياه - عليه الصلاة والسلام - لاختلاف الناس وأحوالهم.

وأوصى - عليه الصلاة والسلام - رجلاً وهو عبد الله بُصر كما في الترمذي: «**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله**».

وفي حديث آخر صحيح: «**أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**».

وهذا الحديث رواه ابن سلام، وهي وصية.

وأوصى - عليه الصلاة والسلام - عند أحمد أبا أمامة فقال: «**عليك بالصيام فإنه لا عدل له**».

وأوصى معاذًا في سنن الترمذي قال: «**تعبد الله لا تشرك به شيئًا**».

وذلك لما سأله عن شيء يقربه من الجنة ويباعده عن النار.

ووصاياه - عليه الصلاة والسلام - كثيرة، مرة في المعتقد، فقال لأبي ذر:

«**لا تشرك بالله ولو سحقت وحرّقت**».

ومرة في العبادة، فقال لمعاذ كما في أبي داود:

«**قل: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**».

ومرة في الدعاء، كما قال في الصحيح لأبي بكر:

«**يا أبا بكر، قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**».

ومرة في الخُلق، كما مر معنا في حديث أبي ذر في نهيه ﷺ عن الغضب.

ومرة في التفكير في آيات الله - عز وجل - يوم قال لأبي جريّر الهُجَيمي:

«**أنا رسول مَنْ إذا أصابتك سنة فدعوته كشف الله عنك هذا القحط**». أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

وصية التقوى

هناك آيات في القرآن توصي بتقوى الله، وهي وصية الله للأولين والآخرين، ولما سأل أبو القاسم المغربي ابن تيمية شيخ الإسلام أتى بهذه الوصية في المجلد العاشر.

قال سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ**﴾ (النساء: ١٣١). فهي وصيته سبحانه: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (يونس: ٦٢،٦٣،٦٤).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ (الأحزاب: ١).

فلا يأنف أحد من أن يقال له: اتق الله.

قال بعض الفطناء: «إذا رأيت الرجل يأنف من قول الناس له: اتق الله، فاعلم أنه قد باع نصيبه من الله».

وقال رجل لعمر: «اتق الله يا أمير المؤمنين».

قال: «لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فيَّ إذا لم أسمعها».

وتقوى الله - عز وجل - نَصَّ عليها الكتاب والسنة بأحاديث وبآيات سوف أشرح بعضها في هذه الأسطر.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ ﴾(البقرة: ٢٠٦).

قالوا: من يكابر على النصيحة فهو من جنس من تأخذه العزة بالإثم. أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

تعريف التقوى

اعلم أن أهل العلم قد اختلفوا في تعريف التقوى على أقوال كثيرة..

فمنهم من نظر إلى أصلها في الكتاب والسنة..

ومنهم من نظر إلى مردودها..

ومنهم من عرفها بمنطق أهل السلوك وأهل أعمال القلوب..

تعريف ابن تيمية للتقوى:

قال ابن تيمية: «هي فعل المأمور واجتناب المحظور» وهذا كلام جيد جميل، وهو كلام علمي شرعي سني، هي فعل المأمور واجتناب المحظور، ولو قال شيخ الإسلام: تصديق الخبر، ليتم التعريف، ولكن هذا يدخل - إن شاء الله - في تعريفه.

تعريف أهل السنة:

قال أهل السنة وهو تعريف مشهور لهم: «أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية، وهي أن تعمل بما أمر الله وأمر رسوله - عليه الصلاة والسلام - وأن تَنْتَهي عما نهى الله ونهى الرسول - عليه الصلاة والسلام عنه -».

تعريف ابن مسعود:

وأما ابن مسعود فقال: «تقوى الله أن يذْكَر فلا ينسى، وأن يُطَاعَ فلا يعصى، وأن يُشْكَر فلا يكفر».

تعريف علي بن أبي طالب:

قال علي فيما نسب إليه: «التقوى العمل بالتنزيل - وهو الوحي من الكتاب والسنة -، والرضا بالقليل، والخوف من الجليل، والاستعداد ليوم الرحيل».

هذه هي التقوى، لكن ييسرها وهي أن تعمل بالكتاب والسنة أمرًا، وتنتهي عنها نهيًا، وأن تصدق خبرها، فإذا فعلت ذلك فقد نجوت من عذاب الله في الدنيا والآخرة، ونجوت من الخزي والشقاوة.

كلام السلف في التقوى:

امتثل معاذ -رضي الله عنه- ذلك وقد شرحها هو كما ذكر ابن رجب عنه فقال: «التقوى هي أن تجتنب الشرك، وأن تطيع الله، وأن تخلص العبادة».

تعريف الحسن البصري:

قال الحسن البصري: «التقوى هي أن تؤدي ما لله عليك، وما للناس عليك من حقوق، وأن تجتنب ما نهى الله عنه» أو كما قال.

تعريف عمر بن عبد العزيز:

قال عمر بن عبد العزيز: «أما إنها ليست بقيام آخر الليل وبصيام الهواجر والتخليط بين ذلك - يعني بالسيئات -، ولكنها الانكفاف عن المعاصي».

تعريف طلق بن حبيب:

قال طلق بن حبيب - وهذا اعترف بتعريف شيخ الإسلام - قال: «هي العمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله».

تعريف أبي الدرداء:

قد ذكر أبو الدرداء لها تعريفًا آخر وهو: «أن تكون مراعيًا ما لله عليك من حقوق».

تعريف أبي هريرة:

وسئل أبو هريرة عن التقوى فقال للسائل:

أمررت بوادٍ فيه شوك؟

قال: نعم.

قال: ماذا فعلت؟

قال: تحفزت وانتبهت.

قال: فهذه التقوى.

خلّ الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقي

كن مثل ماشٍ فوق أر ض الشوك يحذر ما يري

أما وصيته - عليه الصلاة والسلام - بالتقوى فإنه أوصى بها في أكثر من ثلاثين حديثًا، فقال لأبي ذر: «**أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس الأمر كله**».. رواه ابن حبان في صحيحه.

وقال عند أحمد في «المسند» بسند صحيح، عن أبي سعيد أن الرسول ﷺ قال له: «**أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام**».

وقد امتثل معاذ هذه الوصية منه - عليه الصلاة والسلام - فقد ذهب إلى اليمن فلم يأخذ من مال المسلمين شيئًا، فلما عاد إلى المدينة قالت له زوجته: «أما أخذت مالاً نفعتنا به»؟

قال: إن عليّ ضاغط، قال ابن رجب يقصد: المراقبة والمحاسبة.

وهذا ذكره في جامع العلوم والحكم.

كأن رقيبًا منك يرعى مسامعي

وآخر يرعى مسمعي وجناني

ورأيت في ترجمة رجل من بني إسرائيل أنه اختفى في غابة، فأراد أن يفعل معصيةً، فقال: ما يراني أحد، ولا يعلم بي أحد، فسمع هاتفًا يقول:

﴿ **أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ (الملك: ١٤).

وأوصى بعض الصالحين ابنه قال:

أريد سفرًا، قال:

«اتق الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين، فهو لا تخفى عليه خافية، سبحان الله العلي العظيم».

محمد ﷺ في بيته الطيني في المدينة تدخل عليه خولة بنت ثعلبة فتشكو إليه زوجها، والله فوق سبع سماوات يخبره بشكواها، وعائشة في البيت نفسه لم تسمع بذلك، فيقول:

﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ (المجادلة: ١).

فهذا هو اللطيف الخبير الذي هو قريب - سبحانه وتعالى - يرى ويسمع ويبصر.

أحد العُبَّاد اسمه حبيب أبو محمد، كان يبيع ويشتري، فكان يبيع الدرهم بدرهمين ربًا، ولكنه جاهل ناسك عابد، فمر بصبيان قالوا: أنت المرابي أنت حبيب المرابي - ذكره ابن رجب - قال: «سبحانك يا رب فضحتنا أمام الناس».

قال: فتاب إلى الله - عز وجل - من الربا، وسأل أهل العلم ثم تصدق بأمواله، فعاد إلى الصبيان فقالوا: مرحبًا بك يا أبا محمد.

قال: سبحانك أنت الذي تمدح، وأنت الذي تذم.

وهذا كلام جيد ويوصف به - سبحانه وتعالى - فإن مدحه زين وذمه شين.

أتى بنو تميم إلى الرسول - عليه الصلاة والسلام - بعد الظهيرة وطرقوا بابه وقالوا: اخرج إلينا يا محمد فإن مدحنا زين وذمنا شين، يقولون: نحن إذا مدحنا مدحنا، فاحذر ذمنا، وحاول أن تكسب مدحنا، قال عليه الصلاة والسلام:

ذلكم هو الله، الذي مدحه زين هو الله، والذي ذمه شين هو الله.

فقال الله سبحانه وتعالى:

﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾ (الحجرات: ٤).

وإلا فالمادح حقيقة هو الله، فإذا أثنى الله على العبد بقلوب العباد فمدح العبد، وإذا ذم بقلوب العباد فإن العبد مذموم مسبوب؛ ولذلك تقال في بعضهم آلاف القصائد وهو مذموم عند الله، ويهجى بعضهم بآلاف القصائد وهو ممدوح عند الله، فالحب من عنده، والبغض ينزل من السماء ما يأتي من الأرض.

أتبع السيئة الحسنة

وقوله ﷺ: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**».

معنى ذلك أنك إذا قدحت في مسمى التقوى الذي أوصى به الرسول ﷺ فإن عليك بالعلاج.

قال عليٌّ فيما ذكره الغزالي في «الإحياء»:

عجبًا لكم عندكم الداء والدواء!!

قالوا: ما هو الداء، وما هو الدواء؟

قال: الداء الذنوب، والدواء الاستغفار.

ونحن عندنا دواء من صيدلية محمد ﷺ، صحي ولا يتعالج به إلا الربانيون الذين كلما عثروا أو مرضوا عرضوا أنفسهم على محمد ﷺ فعالجهم، ولكن ما استخدمناه..

إذا مـــرضنا تداوينا بذكـــركم

ونتـــرك الذكـــر أحـــيـــانًا فننتكس

فهو علاج يصرفه ﷺ.

قال: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**»:

دل على ذلك القرآن.

قال المولى سبحانه: ﴿ **وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ (آل عمران: ١٣٣).

يروى عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه سئل:

كيف تكون الجنة عرضها السماوات والأرض؟

أين السماء والأرض والجنة عرضها السماوات والأرض؟

قال: أين الليل إذا أتى النهار؟..

وهذا قياس صحيح أصلي، فأين الليل إذا أتى النهار؟!

قال: ﴿ **عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (آل عمران: ١٣٣،١٣٤).

هذا صحيح: فمن يعفو ويحسن يدخل الجنة، ولكن اسمع هذا:

﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾ (آل عمران: ١٣٥،١٣٦).

فليفعل عبدي ما شاء

في الصحيحين، قال: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أذنب عبد ذنبًا فلما أذنب قال: يا رب أذنبت ذنبًا فاغفر لي، فغفر الله له، ثم أذنب ذنبًا فقال: رب**

اغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فغفر له، فأذنب ذنباً فقال: يا رب اغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال الله: علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب إلا أنا فليفعل عبدي ما شاء».

هذا في الصحيحين بهذا اللفظ والمعنى عند أهل العلم حتى لا يفهم فهمًا خاطئًا: معناه كما قال النووي: أن عبدي ما دام أنه كلما أذنب تاب واستغفر فإنه سوف ينجو، وليس المعنى أن عبدي هذا أو أن العبد مهما كان - اسم جنس - أن هذا العبد يذنب الذنوب فإن الله سوف يغفر فهذا لا يكون، ومن فعل ذلك أو ظن ذلك أو اعتقد ذلك فقد تمنى على الله الأماني.. ﴿**لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا**﴾ (النساء: ١٢٣).

سهر ابن عباس ليلة كاملة في الحرم يقرأ ويردد من صلاة العشاء إلى صلاة الفجر: ﴿**لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا**﴾ (النساء: ١٢٣).

قال عطاء: «والله لقد رأيت إلى جفنيه كشراك النعلين الباليين من البكاء، لأنه يفهم القرآن».

ورأيت في سيرة أبي بكر أن الرسول ﷺ قرأ عليه الآية والصحابة جلوس، فقرأ قوله سبحانه وتعالى: ﴿**لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا**﴾(النساء: ١٢٣).

فتماط أبو بكر حتى سمع لظهره نقيض.

قال ﷺ: «ما لك يا أبا بكر غفر الله لك؟

قال: يا رسول الله، كيف العمل بعد هذه الآية؟ يعني كيف النجاة؟

فقال: غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض؟.

ألست توصب؟.

أما تصيبك الحمى؟

قال: بلى يا رسول الله.

قال: فوالذي نفسي بيده لا يصيب المؤمن هم ولا وصب ولا غم ولا حزن ولا مرض حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من سيئاته».

ما أصر من استغفر

في الترمذي والسند ليس بالقوي: «**ما أصر من استغفر، ولو عاد في اليوم سبعين مرة**»، ومعناه صحيح لكن سنده ليس بالقوي.

فإن العبد لو ارتكب - مثلاً - ذنبًا في يوم، ثم استغفر وتاب على ألا يعود غفر الله له، ثم عاد فكتب عليه الذنب، ثم استغفر وتاب غفر الله له، ثم عاد ثم استغفر وتاب غفر الله له، وهكذا، لا أن المعنى أن يضحك على الله كما يضحك على الصبيان، ويلعب على الله كما يلعب على الولدان، فإن بعضهم يقول: أذنب ثم أتوب، فإذا غفر الله لي أذنب ثم أتوب وهكذا، وهذا من قلة وعي بعض الجهلة.

يروى أن بعض الجهلة في بعض المناطق نزل في غدير في يوم رمضان، فلما غاص في الماء شرب، ولما خرج قال لزميله: الله لا يعرف حيلات الرجال.

روى الطبراني بسند ضعيف عن عائشة، قال حبيب بن الحارث:

«**يا رسول الله، إني رجل مقراف للذنوب**»... يعني من طبيعته أن يقترف الذنوب، والله هو الذي خلق الأنفس، لأنه يقول سبحانه وتعالى: ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ**﴾(النساء: ٣٢).

فهو أعلم بنا سبحانه.

قال: يا رسول الله، إني رجل مقراف للذنوب.

قال عليه الصلاة والسلام: تب إلى الله.

قال: فأعود.

قال: تب إلى الله.

قال: فأعود.

قال: تب إلى الله.

قال: إلى متى يا رسول الله؟

قال: حتى يكون الشيطان هو المحسور».

التائب من الذنب كمن لا ذنب له

أما حديث: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**».

فقد رواه ابن ماجة وحسنه حافظ الدنيا ابن حجر بشواهده، وشرح هذا ابن تيمية في مختصر الفتاوى وأيده، وقبل الكلام، وكأنه والله أعلم يتحمس لمعناه ومعناه صحيح، فإن من تاب من الذنب ليس له ذنب.

قال بعض العلماء: «من العار أن تعير من كان في العار ثم تاب للواحد القهار».

ولذلك من الخزي والعار على الإنسان أن يعير أناسًا بذنوب كانت في الجاهلية، كرجل مثلاً كان يشرب الخمر وكان مشهورًا بذلك، ثم تاب وأناب وأصبح في الصف الأول في الروضة، وأصبح تاليًا لكتاب الله وداعيًا إلى الله، فإذا أمر قال: اسكت أنت كنت تشرب الخمر!

سبحان الله! عمر بن الخطاب كان يعبد الصنم، وهو أفضل من مسلمي الكرة الأرضية في هذا الوقت كلهم.

ومن الذي له الحسنى فقط؟

ومنهم من قتل مئة نفس وتاب الله عليه.

ومنهم من غش وخان وغدر وتاب الله عليه.

المؤمن واهٍ راقع

ويروى عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه قال:

«**المؤمن واهٍ راقع فسعيد من هلك على رقعه**».. رواه الطبراني في «الكبير» وفيه ضعف؛ لأن في سنده سعيد بن خالد الخزاعي وهو ضعيف.

ومعنى الكلام: «**المؤمن واه راقع**».. واه يعني دينه كالقربة، فتجد له ثلوماً، وتلك الثلوم لا يخلو منها أحد، حتى يقول ابن الجوزي في «صيد الخاطر»: «لا يخلو المرء من جروح، لكن الله الله لا تكون الجروح في الوجه».

فكل يوم ونحن في مقاتلة مع صف الشيطان حتى يأتي النوم، فاحذر أن يأتي الجرح في الوجه.

إن اللبيب إذا شكا من جسمه

مرضين مختلفين داوى الأخطر

وقال: واهٍ واقف بالاستغفار وبالعمل الصالح والمكفرات.

قال: من هلك على رقعه، أي من مات وهو راقع فالحمد لله، فهذا السعيد.

أما من مات على وهيه وعلى خلقه فهذا في خطر.

ويل لأقماع العقول

قال - عليه الصلاة والسلام - فيما ذكره أهل العلم عنه:

«**ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر لكم، وويل لأقماع العقول، ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون**».. رواه أحمد في «المسند» والبخاري في «الأدب المفرد» والخطيب في «تاريخ بغداد» وسنده يقارب الحسن.

أما قوله - وهذا الشاهد -: «**اغفروا يغفر لكم**» سامحوا الناس يسامح الله لكم، والجزاء من جنس العمل.

وأما أقماع العقول فهم الذين يستمعون القول فلا يدخل الكلام قلوبهم ولا يتعظون به؛ لأن المؤمنين إذا استمعوا القول اتبعوا أحسنه.

لا كبيرة مع الاستغفار

قال ابن عباس - ولا يصح مرفوعًا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام -:

«**لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار**».

والمعنى أن صاحب الكبيرة كلما استغفر وأناب وتاب غفر الله له، وأن صاحب الصغيرة إذا أصر عليها وداوم عليها واستمر أصبحت كبائر، أو يهلك صاحبها بها.

وجاء في السنن أن الرسول ﷺ وصف صاحب الصغائر بقوم ذهبوا في الخلاء فجمعوا حطبًا صغيرًا، فجمع هذا عودًا وهذا عودًا، وهذا عودًا ثم أججوا نارًا عظيمةً، فالصغائر تجتمع على العبد حتى تهلكه والعياذ بالله.

الفرق بين الاستغفار والتوبة

فرق شيخ الإسلام ابن تيمية بين الاستغفار والتوبة فجعل المكفرات عشراً:

الأولى: الاستغفار.

والثانية: التوبة.

وبعض الناس يجعل الاستغفار التوبة، وأنا أقول كلمة:

إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، فإذا جمعت الاستغفار مع التوبة فتفترق، فالاستغفار يعني شيئًا، والتوبة تعني شيئًا آخر، وإذا ذكر الاستغفار وحده في القرآن فيدخل فيه التوبة.

وإذا ذكرت التوبة وحدها في القرآن يدخل فيها الاستغفار.

وقد أفاد ابن تيمية:

أنه قد ينفع الاستغفار بلا توبة، وهذا سر بيني وبينكم لا تخبروا به أحدًا!، فلو أخبرتم به أحدًا تهالك الناس في الذنوب بحجة أنهم يغفر لهم بالاستغفار، لكن ابن تيمية أفاد: أنه قد ينفع الاستغفار بلا توبة، يعني أن الذي يذنب فيقول: أستغفر الله، أستغفر الله نفعه.

وفي عيون الأخبار لابن قتيبة:

أن رجلاً في الكوفة حل معبده أعراب فقالوا: لا تسكن معنا إلا بالاستغفار فإنه لا ينزل القطر (المطر) إلا بالاستغفار، وهذا صحيح ومصداقه في سورة نوح:

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ (نوح: ١٠،١١).

وقد قحطت مزرعة أنس في البصرة، واشتد ظمؤها، وذبل ورقها، فجلس بجانب المزرعة يقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله.

قالوا: أتستغفر والزرع قد مات!، قُمْ صلِّ.

قال: الاستغفار معه القطار (المطر).

قالوا: فما انتهى إلا وغمامة روت مزرعته حتى أمرعت.

فوائد الاستغفار

إن المستغفر لا يهلك:

قال جعفر الصادق: لو نزلت صاعقة من السماء لأصابت الناس جميعًا إلا المستغفر..

﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الأنفال: ٣٣).

المتاع الحسن للمستغفر:

قال أهل العلم: ومن أراد المتاع الحسن فعليه بالاستغفار..

﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ (هود: ٣).

والاستغفار ليس كما يرى بعض الناس أن يكون باللسان فقط ويفعل باليد كمن يسرق من السوق ويقول: أستغفر الله، ويسحب الغرض ويقول: أستغفر الله، أستغفر الله.

أو كمن يشرب الخمر والكوب بيده ويقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، فهذا كذاب واستغفاره يحتاج إلى استغفار.

رأى علي بن أبي طالب رجلاً يستغفر الله وقلبه في وادي سمائل فقال: استغفارك هذا يحتاج إلى استغفار.

وقال أحد الصالحين: أستغفر الله من قولي أستغفر الله.

لكن على كل حال لا بد من التقوى، ولا بد من الاستغفار بأن تستحضر في قلبك أن تقول: أستغفر الله.

قد تكون أستغفر الله غيبة، ويكون الدعاء غيبة

قال بعض أهل العلم: وقد تكون أستغفر الله غيبة، فقد دخل أحد الناس الواشين النمامين على أحد السلاطين، قال السلطان لهذا الواشي: ما رأيك في فلان؟

قال: أستغفر الله، قصده نكاية بذاك، فهي غيبة عليه وزرها، فهذا الواشي ما قصد أستغفر الله، قصده انتبه له.

وقد يكون الدعاء غيبة، وقد يكون سيئة، كقولهم إذا ذكر أحد الناس: هدانا الله وإياه، فإنك اغتبته. ذكر ذلك شيخ الإسلام في فتاويه.

قال سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ﴾(النساء: ١٧).

قال أبو العالية من أئمة أهل السنة: من عصى الله فهو جاهل؛ ولذلك يغفر لمن عصى الله ثم تاب وأناب.

مسائل في التوبة

أولاً: شروطها

- **العزم على ألا تعود:**

وذلك أن تعزم من هذا المكان وهذا الوقت ألا تعود إلى ما أخطأت.

● **الندم على ما فات:**

دائمًا تتقلب وتتأوه، فإن وله النادمين وتأوه الباكين أحب إلى الله - عز وجل - من زجل العابدين.

وقال عمر: اقتربوا من أفواه التائبين فإنهم يلقنون الحكمة.

مَن يتألَّى على الله؟

في الحديث الصحيح: «**إن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان من العصاة**».

قال الله: «**من الذي يتألَّ عليَّ؟.. أشهدكم يا ملائكتي أني غفرت لهذا، وأحبطت عمل هذا، فليستأنف العمل**».

فذاك مبتهج يفخر بعمله، وذاك انكسر فغفر الله له.

وقد رأيت في سيرة عيسى - عليه الصلاة والسلام -: «أنه ذهب إلى بيت المقدس ومعه رجل من العصاة من شرَّاب الخمر، فأراد عيسى - عليه الصلاة والسلام - أن يدخل بيت المقدس.

قال السارق وهو شارب الخمر: مثلي لا يدخل بيت المقدس لأنني أدنسه.

فأوحى الله إلى عيسى: «**يا عيسى، أخبره وبشره أني قد غفرت له ما تقدم من ذنبه**».

ما دام أنه انْكَسر أمام خالقه، ما دام أنه أقر واعترف فكان جزاؤه المغفرة.

وقفنا على الباب يا ذا الملك
وجئنا ببابك والملك لك

ذرفنا الدموع بدنيا الخشوع
وقلب من الحب قد سَبَّحَك

على الباب فقط، لا يفتح لك باب إلا بابه، وليس لك حبل أقوى من حبله، وما معك طريق إلا طريقه.

مصرع تائب

يقول علي بن الحسين زين العابدين: «قمت في آخر الليل أطوف بالبيت، فإذا شاب متعلق بأستار الكعبة يقول: يا رب من يقبلني إذا رددتني؟

قال: فجلست أبكي عند المقام.

قال: فسقط فذهبت إليه فإذا هو قد مات».

ومما يروى عن علي بن الحسين أنه قيل له: «قل لبيك اللهم لبيك - وهو حاج على الناقة - قال: أخشى أن ألبي وفي نفقتي شيء فيقال لا لبيك ولا سعديك».

قالوا: لبّ، فلبى فغشي عليه فسقط كما قال ابن كثير.

وقد قال الفرزدق فيه:

هَذا الّذي تَعرِفُ البَطْحاءُ وَطْأتَهُ،

وَالبَيْتُ يعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

هذا ابنُ خَيرِ عِبادِ الله كُلّهِمُ،

هذا التّقيُّ النّقيُّ الطّاهِرُ العَلَمُ

هذا ابنُ فاطمَةٍ، إنْ كُنْتَ جاهِلَهُ،

بِجَدّهِ أنْبِيَاءُ الله قَدْ خُتِمُوا

سَهْلُ الخَلِيقَةِ، لا تُخشى بَوَادرُهُ،

يَزِينُهُ اثنانِ: حُسنُ الخَلقِ وَالشّيمُ

ما قال: لا قطُّ، إلاّ في تَشَهُّدِهِ،

لَوْلا التّشَهّدُ كانت لاءَهُ نَعَمُ

يُغْضِي حَياءً، وَيُغضَى من مَهابَتِهِ،

فَمَا يُكَلَّمُ إلاّ حِينَ يَبْتَسِمُ

في كــفــه خــيــزران ريـحــهــا عـــبق

مـن كف أروع فـي عـــرنينـه شـــمـم

يكاد يمسكه عـــرفـــان راحـــتـــه

ركن الحطيم إذا مـــا جـــاء يســـتلم

مُـشْـتَـقّـةٌ مِنْ رَسُـولِ الـلـه نَبْـعَـتُـهُ،

طَابَتْ مَـغَـارِسُـهُ والخِـيمُ وَالـشّـيَمُ

رد مظالم العباد

فلا تأخذ أموال الناس، وتسرق أموال الناس وتحلف على ديون الناس وتقول: تبت إليك يا رب. أين التوبة؟

حقوق الناس مبنية على المشاحة، وحقوق الله مبنية على المسامحة.

فأنت إذا أذنبت مع الله من الأرض إلى السماء وتبت إليه غفر الله لك، وإذا أذنبت مع العبد بقي معك وزره يلحقك إلى يوم القيامة إن لم يتب الله عليك، فالعبد شحيح، أما الله فرحيم.

الشافعي حضرته سكرات الموت فلما ضاقت به الضوائق، وكان شاعرًا رفع المخدة وتلفت إلى السماء وقال:

ولما قـــسا قلبي وضـــاقت مـــذاهبي

جـعلت الرجـا مني لعـفـوك سلمـا

تعـــاظمني ذنبي فلمـــا قـــرنتـــه

بعـفـوك ربي صـار عـفـوك أعظمـا

ما أعظم عفوه سبحانه!

● **الثاني:**

فضل التائبين

قال ابن تيمية: أعظم المنازل منزلة التائبين، وقد تعجبت لهذه لأنه نقلها ابن القيم في مدارج السالكين حتى عدت إلى تفسير قوله سبحانه وتعالى:

﴿**لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ**﴾ (التوبة: ١١٧).

الله أكبر، أفنوا أجسامهم وأوقاتهم ودماءهم وأموالهم ودموعهم في غزوة العسرة في الشمس والجوع والظمأ، والله ينزل عليهم من السماء: ﴿**لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ**﴾.. يقول: أبشروا تبنا عليكم.

قال ابن تيمية: وختم الله حياة الرسول - عليه الصلاة والسلام - بـ:

﴿**إِذا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاس يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا**﴾ (النصر: ١،٢).

هل قال له: استبشر بالمنزلة العالية؟

هل قال له: ادخل الجنة؟

هل قال له: قصرك في الجنة كالربابة؟

بل قال:

﴿**وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ**﴾ (النصر: ٣).

نرى جهدك كبيراً، لكن استغفر.

نراك بذلت وأعطيت، لكن استغفر.

نراك منحت وقدمت وضحيت وفديت وتعبت وسهرت، لكن استغفر.

قال ابن تيمية: وختم رسول الله ﷺ الصلاة بالاستغفار، فالمصلي يسلم من الصلاة - وهى صلاة لله وليس لأحد - ثم نقول: أستغفر الله ثلاثًا.

وختم الله الحج بالاستغفار:

﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ، ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٩٨،١٩٩).

هذه أسرار في دين نبينا محمد ﷺ يفهمها أهل العلم، كشيخ الإسلام وغيره.

فرح الله بالتائب

أما فرح الله بالتائب فيكفي هذا الحديث:

«**لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم كان في فلاة ضاعت منه ناقته عليها طعامه وشرابه**»..

انظر الوصف الدقيق، والرسول ﷺ تربوي يعلم الناس بأمثال؛ ولذلك يقول أهل التربية ومن ألف في فن الخطابة: إذا أردت أن تلقن للناس المعاني فشخصها بالصور.

فلو قال الرسول ﷺ: «**لله يفرح بتوبة عبده**» لنسيت العبارة، لكن قال: كالرجل.

تصوروا الرجل أمامكم في الصحراء، وفي الصورة معه ناقته والناقة واقفة وعليها الطعام والشراب، فلما ضاعت وبحث عنها فلم يجدها نام جائعًا ظمآن، فلما قام في الصباح وجدها عند رأسه، فمن شدة فرحه قال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح.

والذي يظهر أنها وقعت، والله أشد فرحًا بتوبة العبد إذا عاد إليه.

الله لا يريد أن يعذب العباد، ومن ظن أن الله يريد أن يعذب العبد فقد أساء الظن بالله، بل الله رحيم يفرح بتوبة العبد.

فإذا أردت أن تُفَرِّح الله وله فرح يليق بجلاله فتب إليه، حتى قالوا: «الله أفرح بتوبة العبد من شفاء الولد عند الوالد، ومن وجدان الضائعة عند الواجد، ومن حصول الماء عند الوارد».

مما يتاب منه

يتاب من الصغائر والكبائر من الذنوب، ومن الخطايا، بل قال أهل العلم: «يتاب من الكبائر ومن الصغائر وفضول المباحات».

وفي صحيح مسلم قال الرسول ﷺ:

«إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة»...

قال بعضهم: يغان: الغين غشاء يقع على القلب، ليس من الذنوب، ولكن من كثرة مخالطة الناس ومن مكالمة الناس، فلصفائه ﷺ، ولتقواه ظهر الغين عليه.

أما نحن فغانت وغانت وطبعت وأصبحت كالجبال، لأن الثوب الأبيض تظهر فيه النقاط، أما الثوب الأسود فلو طليته بالقار ما أثر فيه.

يابن الذين سما كسرى لجمعهم

فجللوا وجهه قاراً بذي قارِ

والمستجير بعمرٍ عند كربته

كالمستجير من الرمضاء بالنارِ

قيل لابن الجوزي: ما الأحسن عندنا الاستغفار أم التسبيح؟

قال: الثوب الوسخ لا بد له من الغسل قبل الكي.

فالتسبيح مثل الكي، وأما الغسل فإنه الاستغفار.

فنحن نحتاج إلى غسل واستغفار، فلا بأس أن نسبِّح.

التوبة من التقصير

يتاب من التقصير، فإن الله - سبحانه وتعالى - يرفع رسوله ﷺ دائمًا منزلة، فكان يقول: «إنه كان يستغفر من المنزلة التي كان فيها قبلها عليه الصلاة والسلام».

وهناك طرفة ذكرها صاحب «الوابل الصيّب» في مسألة من دخل الخلاء ثم خرج وقال: غفرانك.

وفي الصحيح أن الرسول ﷺ كان يقول: غفرانك إذا خرج من بيت الخلاء..

إذًا ما هو السر في أن المسلم إذا خرج من بيت الخلاء قال: غفرانك؟

لأهل العلم رأيان:

الرأي الأول:

غفرانك في التقصير في تركنا للتسبيح في أثناء قضاء الحاجة.

انظر إلى الأولياء لله حتى في أثناء قضاء الحاجة ما سكتوا؛ بل استغفروا.

الرأي الثاني:

قيل: غفرانك ما أدينا شكر النعمة، أطعمتنا وأخرجت الطعام ولو بقي الطعام قتلنا.

باب التوبة مفتوح

باب التوبة مفتوح للتائبين، وقصص التائبين كثيرة، حتى إن الرجل الذي قتل مئة نفس غفر الله له.

وبعض الشباب ممن دلس عليه الشيطان يقول:

أنا لا يمكن أن يتاب علي.

أنا ليس لي توبة.

أنا ما تركت خطأ إلا وارتكبته.

فنقول له:

هل أنت أكثر جرمًا ممن قتل مئة نفس معصومة وتاب إلى الله وتاب الله عليه؟ ولو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرت الله غفر لك.

أخطار في طريق التائبين

أولاً: تعاظم الذنب

من الأخطار التي تواجه التائبين والعابدين والعائدين إلى الله: تعاظم الذنب.

بعضهم يحبط نفسه ويصاب بإحباط، ويظن أن الله لا يغفر له أبدًا، فيترك التوبة، حتى إن بعضهم ترك العودة إلى الله والإنابة والتوبة بسبب أنه قال:

الله لا يمكن أن يغفر لي، وقد ظن بالله ظن السوء.

فالله - سبحانه - يغفر لمن تاب وأناب، وهذا الإحباط من الشيطان.

ثانيًا: التسويف

فإذا قلت لأحدهم: تب إلى الله قبل فوات الأوان.

قال: سوف أتوب.

سوف أفعل إذا تخرجت.

إذا كَمل شبابي.

إذا حصنت نفسي بزواجي.

إذا .. إذا .. فتأتيه سكرات الموت، ويقبضه ملك الموت، فيعود إلى الله خاسرًا نادمًا.

ثالثًا: تزيين الشيطان ورفقة السوء

الشيطان يزين لصاحب المعصية معصيته.. ﴿ **أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا** ﴾ (فاطر: ٨).

ورفقة السوء يزينون، فإن كثيرين - على سبيل المثال - ممن وقع في شرب الدخان إنما هو بالتزيين.

فيقول الصاحب ساحب: يا أخي ما يضرك أن تجرب الليلة وما هي إلا سجارة، فجرب وإذا لم يعجبك هذا فتب إلى الله - سبحانه وتعالى - وحتى في القرآن ما سمعنا على آية تنص على الدخان، ثم إن هناك كثيرًا من الناس يشربون الدخان، وهو تكييف.

فيأتون من هذه المداخل حتى يتورط في شرب الدخان، ثم يجرونه إلى المعاصي واحدة تلو الأخرى، فجلساء السوء أعدى من الجرباء.

الحسنات يذهبن السيئات

قال - سبحانه وتعالى - في محكم التنزيل:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (هود: ١١٤).

وسبب نزول هذه الآية: أن رجلاً من الأنصار ضعفت نفسه البشرية ولمس امرأة أجنبية، لكنه فر إلى الشيخ إلى المعصوم يخبره بالذنب، ويقول: هلكت.

فقال ﷺ: ماذا فعلت؟.. فأخبره.

قال - عليه الصلاة والسلام -: «ما أعلم في ذلك حتى ينزل علي (يعني حتى يأتيني وحي أفتيك به)، فأنزل الله:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾.

قال: ألي يا رسول الله خاصة؟

قال - عليه الصلاة والسلام -: لك ولمن عمل من أمتي بعملك إلى يوم القيامة».

والصحيح أن هذه آية في الفرائض، ولله الحمد أنها في الفرائض.

فقال تعالى: **﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ ﴾**.. صلاة الفجر وصلاة العصر.

﴿ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ﴾.. صلاة المغرب والعشاء.

﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾.. ومن أدخل فيها النوافل فقد أصاب.

ركعتا التوبة

عن أحمد بسند صحيح أن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، أبا الحسن - رضي الله عنه وأرضاه - قال: كان الرجل من أصحاب الرسول ﷺ إذا حدثني عن رسول الله بحديث استحلفته فإن حلف صدّقته، وحدثني أبو بكر - من يستطيع أن يقول لأبي بكر: احلف - وقال: صدق أبو بكر، قال سمعت الرسول ﷺ يقول: «**ما من عبدٍ يذنب ذنباً فيتوضأ ثم يصلي ركعتين، ثم يستغفر الله من ذاك الذنب إلا غفر الله له**».

ثم تلا: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ (آل عمران: ١٣٥).

وتسمى هذه ركعتي التوبة، وهى ثابتة وصحيحة، وأرشد بها إخواني، فمن فعل سيئة أو خطيئة كبرت أو صغرت أن يذهب إلى الماء وليتوضأ وليصلِّ ركعتين، ثم يستغفر الله من ذاك الذنب.

ذنب كفارته الصلاة

في الصحيحين: «أن رجلاً أتى إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وهو في غزوة من الغزوات وقد أصاب هذا الرجل أمرًا يوجب حدًا عليه..

فقال للرسول ﷺ: لقد أصبت حدًا.

فسكت عنه - عليه الصلاة والسلام - فلما انتهى - عليه الصلاة والسلام - من الصلاة قال: **أين فلان؟**

قال: ها أنا يا رسول الله.

قال: **أصليت معنا؟**

قال: نعم.

قال: «**اذهب قد غفر الله لك ذنبك بصلاتك**».

هذا الحديث في الصحيحين، وهو ثابت وشرحه النووي.

ومن معاني هذا الحديث قيل: «إن الرجل كان يظن أن على هذا الذنب حدًا، ولكن لم يكن عليه حد، ولو كان عليه حد لأقامه ﷺ، لكن هذا الذنب ليس عليه حد وكفارته الصلاة وقد حصل».

وقيل: «بل كان هذا الذنب قبل أن تنزل الحدود، فجعل ﷺ كفارته الصلاة» والله أعلم.

وحديث علي في صلاة التوبة رواه أحمد في «المسند»، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

ممحاة الذنوب

في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات أيبقى من درنه شيء؟**

قالوا: لا، يا رسول الله.

قال: **فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الذنوب والخطايا**».. أو كما قال ﷺ.

قال بعض السلف: «تحترقون تحترقون ثم تصلون فيكشف ما بكم».

وهناك قال: «قوموا إلى ناركم التي أوقدتموها فأطفئوها بالصلاة».

غسل الخطايا بالوضوء

عند مسلم في الصحيح: «**من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره**»، وهذا في الصحيح عن أهل الصغائر، أما أهل الكبائر فلابد لهم من التوبة.

وعند مسلم في الصحيح: قال - عليه الصلاة والسلام - من حديث أبي هريرة: **ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟**

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة**».

وإسباغ الوضوء معناه: تعميم مواطن الوضوء بالماء، وإدخال الماء إلى البشرة، والوضوء على منهج السنة، أسبغ الوضوء، وخلل بين الأصابع، وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا.

وقيل: إن المكاره هي شدة البرودة، إذا برد الجو، فأسبغ الوضوء حتى في شدة البرد والثلج وشدة الشتاء، فبهذا الإسباغ على المكاره تكفر عنك الخطايا.

ولا يصح من قال على الجروح؛ لأن هناك رخصة لمن به جرح ألا يتوضأ عليه.

كثرة الخطا إلى المساجد

من مكفرات الخطايا كثرة الخطا إلى المساجد، فكلما بَعُدَ البيت عن المسجد كان الأجر والثواب أكبر، حتى إنه روي عن ابن عمر أنه كان يقارب خطاه إذا ذهب إلى المسجد حتى كأنه نملة، هكذا في الحديث؛ لأن كل خطوة ترفع درجة، وتحط سيئة ويكتب بها حسنه، وهذا فقه عجيب لابن عمر.

وفي الترمذي: أن رجلاً من الأنصار كان بعيد الدار عن مسجد الرسول ﷺ، فقال له أصحابه: لو اشتريت حمارًا تركبه إلى المسجد في ذهابك وإيابك.

قال: لا.. إني أسال الله أن يكتب لي ممشاي ورجوعي إلى بيتي، فأخبر الرسول - عليه الصلاة والسلام - بذلك، فقال:

«**بشروه أن الله قد كتب له ذهابه ورجوعه إلى بيته**».

وفي السنن: «**بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**».

«**وانتظار الصلاة بعد الصلاة**» أي إذا صليت انتظر الصلاة التي بعدها.

قالوا: انتظارها في المسجد، وهذا قيل، ولكن الظاهر والله أعلم أنه انتظارها بالقلب، ومراعاة الوقت.

وذكر الإمام أحمد عن عدي بن حاتم في كتاب «الزهد» قال: ولا دخلت علي الصلاة إلا كنت لها بالأشواق.

فالصالحون دائمًا ينظرون إلى الوقت، ويراعون الزوال، وينظرون إلى ساعاتهم: هل أذن؟ كم بقي على الأذان؟ كم يؤذن عندكم؟ قلوبهم معلقة بالمساجد.

وأحد السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم القيامة: «**رجل قلبه معلق بالمساجد**».

وداعٍ دعا إذ نحن بالخيف من منى
فهيج لوعات الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما
أطار بليلى طائرًا كان في صدري

كرامة أولياء

صاحبت أخًا كان يدرس معنا، وهو الآن في نيجيريا، وقد أسلم على يده آلاف الناس.

كان من المكثرين في قراءة القرآن، وإذا رأيته تذكرت بلال بن رباح، وكان فيه من الولاية ما الله به أعلم.

كان ينام إذا قرب ثلث الليل - وكان يخبرني سرًا من باب ذكر الأعمال الصالحة - ويقول لي: كأن من يوقظني بيده يقول: «قم لصلاة الفجر».

ويقول: في مرة كان في سفرٍ وسهر حتى قرب الفجر، واضطجع، وقبيل الأذان كأنه سمع هاتفًا يقول: «قم للصلاة»..

﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

سمها ما شئت كرامة أولياء أو غير ذلك، ولكن خذها كالوردة استنشقها ولا تعكها فتَفسد عليك.

وقد سمعت رجلاً آخر يقول: «إذا سمعت الأذان كأني على الجمر حتى أذهب إلى المسجد» فلله در هذا القلب الحي.

وقد كان نجار من الصالحين إذا سمع الأذان وهو رافع المطرقة رماها خلفه وألقاها، وذهب للصلاة مجيبًا دعوة الحق.

إجابة النداء

جاء في السنن: عن عائشة أن الرسول ﷺ كان يقطع اللحم معها - رضي الله عنها - يمسك وهي تقطع، أو يقطع وهي تمسك، فلما سمع الأذان قام كأنه لا يعرفنا ولا نعرفه، وألقى السكين..

وقل لبلال العزم من قلب صادق

أرحنا بها إن كنت حقًا مصليا

توضأ بماء التوبة اليوم مخلصًا

به تلقى أبواب الجنان الثمانيا

النور الرباني

تولى إمارة المدينة رجل من آل حزم، وآل حزم أسرة علم، أسرة عبادة وزهد، فلما تولى هذا الأمير الإمرة كأنه ترفه قليلاً، وقد كان بيته في العوالي، فكان يأتي في الظلمات إلى مسجد الرسول ﷺ، فوضع سُرجًا، يعني وضع مصابيح فيها زيت تضيء له الطريق.

فكتب له الخليفة عمر بن عبد العزيز - الخليفة الزاهد الراشد - رسالة قال فيها: «سبحان الله!.. أنسيت: العشيات»؟

أنسيت: «**بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»؟

قال: ذكرني أثابه الله، فأطفأ السُرج؛ لأن هناك نوراً يغنيه عن ذاك النور.. ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾ (النور: ٤٠).

فمن نوّر قصره وبيته بأنوار الكهرباء، ثم ترك أنوار رب الأرض والسماء لا نور له..

ومد بالنور في الأيدي قد اختلفت

على الصراط وهذا الجمع محتفل

يقول ابن المبارك في قصيدة له طويلة:

هل ينفع العلم قبل الموت صاحبه

قد سأل قوم بها الرجعى فما رجعوا

﴿ **قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً** ﴾ (الحديد: ١٣). يكفيكم نوركم الذي زعمتم في الدنيا.. ﴿ **فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ** ﴾ (الحديد: ١٣).

وهناك على الصراط قال: يقف فينطفئ نور المنافقين، فيقفوا في الباب حائرين؛ لأنهم بالوحي مااستضاؤوا، بل كذبوا فنالهم جزاء.

مااستضاؤوا بنور الوحي الذي بعث به الرسول ﷺ.. ﴿ **نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ (الشورى: ٥٢).

أين ما يدعى ظلامًا يا رفيق الليل أينا

إن نور الله في قلبي وهذا ما أراه

قد مشينا في ضياء الوحي حبًا واهتدينا

ورسول الله قاد الركب تحدوه خُطاه

من يركب في سفينته ﷺ يرَ النور، ويمتلئ قلبه بالنور، ومن يتخلف عنه لا يغنِه نور الدنيا.

فالذين لا يذهبون إلى النور في المساجد، نور الصلاة، نور المحاضرة، نور الدروس.. أين يجدون النور؟!

فمحمد ﷺ نور، والقرآن نور، والسنة نور، والإسلام نور، فهو نور على نور.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ - تأمل الوصف -

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ، رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ، لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (النور: ٣٥-٣٨).

نوره - سبحانه وتعالى - كمشكاة هذه المشكاة من السماء فليست للمعسكر الشرقي، ولا للمعسكر الغربي، وليست من دول عدم الانحياز، فالزيت نفسه يضيء فكيف النور؟!

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ﴾..

ثم قال سبحانه: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾.

وقف أبو تمام يحيي المعتصم في انتصاره، والوزراء والعلماء ورجال الدولة أمامه فقال:

ما في وقوفك ساعة من باس

تشفي غليل الأربُعِ الأدراسِ

إلى أن مدحه بقوله:

إقدامُ عمرو في سماحة حاتم

في حلم أحنف في ذكاء إياس

قال الطبيب الفيلسوف الحارث بن كلدة:

ما زدت يا أبا تمام على أن وصفت الخليفة بأجلاف العرب (الأعراب).

فتوقف أبو تمام قليلاً ليعتذر، فقال:

لا تنكروا ضـــــربي لـه مـن دونـه

مــثــلاً شــروداً في الندى والبـــاس

فـــالـلـه قـــد ضـــرب الأقل لنوره

مـــثـــلاً من المشكاة والنبـــراس

قال الطبيب الفيلسوف: هذا لا يعيش طويلاً، لأن عقله يأكل جسمه، أو يَقُدُّ جسمه قدّاً، أي: يقطع.

غفران الذنوب

في الصحيحين:

«**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**».

وفيه:

«**من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**».

وفي الصحيحين:

«**من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**».

وفي مسلم:

«**إن الإسلام يهدم ما قبله وإن التوبة تجب ما قبلها**».

وفي الصحيحين:

«**من قال: سبحان الله وبحمده في يومه مئة مرة حطت ذنوبه ولو كانت كزبد البحر**».

ثم قال عليه الصلاة والسلام:

«الركن الثالث من هذه الوصية: وخالق الناس بخلق حسن».

فلما انتهى من حقوق الله - عز وجل - على عبده ذكر حقوق الناس عليه قال: **«خالق الناس بخلق حسن».**

والله ذكر الخلق الحسن، وأصوله في القرآن كثيرة كقوله - سبحانه وتعالى - في رسوله ﷺ:

﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ (القلم: ٤).

﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾ (فصلت: ٣٤).

﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (آل عمران: ١٣٤).

﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ (الأعراف: ١٩٩).

﴿ **وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا** ﴾ (الفرقان: ٦٣).

﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

﴿ **وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ (البقرة: ٨٣).

وقد نظمت أبياتًا في هذه المعاني كثيرة، ومن ذلك ما قلته في أحد الفضلاء:

يغضي عن الفحشاء من خوف الردى

ويلين للإخوان والأصحاب

حسن الخلق

عن الترمذي وغيره قول الرسول ﷺ:

«ألا أنبئكم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقًا، الموطؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون».

والأكناف هي أطراف الشيء والأجنحة، يعنى يوطئونها للناس، ويألفهم الناس ويألفونهم كالزيارة والقرب والمساءلة.

وما رواه أحمد وأبو داود وابن حبان:

«**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**».

وهذا حديث حسن، وهو صحيح المعنى، فإن بعض الناس يحسن تعامله مع الآخرين وهو قليل الصيام وقليل النوافل، لكن يدرك أكثر مما يدركه كثير النوافل وكثير الصيام الذي يكون شديد الغضب وسيئ الخلق.

فبعضهم يصوم النهار ويقوم الليل، لكن إذا سلّمت عليه غضب فهذا كيف يصلح عمله؟!

وروى أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان:

«**ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، ثم ذكر أن صاحب حسن الخلق يدرك درجة الصائم القائم**».

الجزاء الفردوس:

وعند أبي داود بسند صحيح والطبراني في «الكبير» قال:

قال المصطفى ﷺ:

«**أنا زعيم - والزعيم الوكيل و الغريم والقائم بذلك والمتكفل - أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه**».

وأعلى الجنة الفردوس، وسقفها عرش الرحمن، ومنها تفجر أنهار الجنان، فمن حسن خلقه مسكنه أعلى الجنة في الفردوس، نسأل الله أن نكون منهم.

لا تغضب

نهى ﷺ عن الغضب، حتى إنه أوصى رجلاً فقال:

«**لا تغضب.. لا تغضب.. لا تغضب**».

قال بعض المطلعين من المربين أبلغ نظرية في الأخلاق نظريته ﷺ وهو يقول للرجل: لا تغضب، ولو اختصر الخلق في شيء لاختصر في كلمة: لا تغضب.

وإذا أردت أن توصي أحدًا بوصية في حسن الخلق قل: لا تغضب، بل ابسط وجهك، وابتسم للآخرين، ولا تكفهر، فقد قال أهل الطب: إذا عبس الوجه انعقدت تسع عشرة عضلة.

وإذا تبسم الوجه انطلق ما ينعقد إلا عضلة، فأنت توفر بهذا تسع عشرة عضلة، وبذلك منعت القلب من الاحتراق، ومنعت الوجه من العبوس.

والعبوس ليس في الإسلام، والعجيب أن بعض الناس يريد أن يظهر العبادة والدين والزهد في وجهه، فتجده يظهرها في ثوبه وفي وجهه ولكن قلبه ليس من ذاك، ودينه ليس من ذاك.

حتى إن ابن الجوزي يقول في، صيد الخاطر: «رأيت أناسًا يتزمتون ويظهر عليهم العبوس ويظهرون التعبد للناس، وإن القلوب تنفر منهم، ورأيت أناسًا يتبسمون ويمزحون، وإن القلوب تطوف بهم».

لأن الحب من الواحد الأحد وليس من الناس، فأنت لا تتصنع للناس.

أفدي ظباء فلاةٍ ما عرفن بها

مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

هكذا يكون التعامل عفويًا أن تعامل الله - عز وجل - وما عليك من أحد، ولكن عليك بحسن الخلق.

أفضل الفضائل

روى أحمد في المسند والطبراني في «الكبير»:

«**أفضل الفضائل أن تصل من قطعك، وأن تعطي من حرمك، وأن تصفح عمن شتمك**».

والحديث فيه ضعف، ولكن هذه الخصال من أفضل الفضائل، فليس الواصل بالمكافئ، فإن تصل من وصلك فذلك كل يفعله، حتى في عالم الحيوانات، وحتى في عالم الكفر، ولكن من كمال الفضائل أن تصل من قطعك.

وأن تعطي من حرمك، فكثير من الناس يعطون من أعطاهم، ولكن من حرمك من شيء وأعطيته، ومن شتمك تصفح عنه فهذا من أخلاق النبوة.

وروى أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة وابن حبان:

أن الرسول ﷺ سئل: ما أفضل ما أعطي المسلم، قال عليه الصلاة والسلام: «**حسن الخلق**».

تَفَكُّر

تفكر في نعمة الله علينا بالماء تجدها من أجلِّ النعم، وتذكَّر إذا عطشت لو منعت من الله كيف يكون حالك ولو قدمت لك مائدة فيها من كل ما لذَّ وطاب وليس عليها ماء لما راق لك شيء ونغصت عليك المائدة، والحمدلله الذي خلق لنا الماء ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾ (الأنبياء: ٣٠) وما أحسن الماء شربًا ووضوءًا وغسلاً وسباحة.

وقد كاد الماء أن يجف في بلادنا لذنوب العباد من قطيعة الرحم وشهادة الزور والظلم حتى إن الكاتب هيكل لما عيّن عندهم وزير للمياه قال: لماذا وزير للمياه بعدما انتهى الماء؟ لماذا يكون وزير للهواء بدلاً من الماء؟!!

وقد ذكر بعض المؤرخين أن أحد الناس كان محبوبًا عند الناس فلما تولى الوزارة استعدى الناس بسوء تصرفاته، فقال فيه الشاعر:

تولاها وليس له عدو وفارقها وليس له صديق

ومن الوزراء من أخذ الوزارة لتكديس الأموال، وتلميع شخصيته، فدار به الكرسي فسقط فذهب الجاه وبقي الحساب، وكلما تولى وزير سب الذي قبله ﴿**كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا**﴾ (الأعراف: ٣٨).

تهافت

حذار لأحد أن يغتر بالمنصب، فقد سقط بفرعون منصبه، ومنهم من هنئ ثم عُزي، ومنهم من لم يكمل فرحة الولاية حتى عزل، ومن الوزراء ابن مقلة قُطِّع ثم قتل ثم صلب، وابن بقية قتل ثم صلب، وابن الفرات عُذِّب ثم قتل، بل هذه حالة عامة أهل المناصب المتعلقين بالدنيا، فإنه يجري عليهم من النكبات ما لا يدور بالخيال، وما زلت أتعجب ممن يفرح بالمنصب فرح الأطفال باللعب، وعرفت أصدقاء كانوا متواضعين قريبين، فلما تولوا بعض المناصب تكبروا وشمخوا، وترى الواحد منهم يتكلم بتكلف وغرور وعجب؛ لأنه لا يستحق المنصب، وأنا أقول في نفسي: يا مسكين هذا الخليفة عمر بن عبدالعزيز كان يسرج الزيت بنفسه، بل أبو بكر الصديق كان يخدم المساكين، وعمر بن الخطاب كان يحمل الطعام للفقراء، وأنت يا مسكين لا تستحيي، علام تعجب وتتكبر؟

بنى أحدهم قصرًا ضخمًا وسيعًا فسيحًا وصب في بنائه المال صبًا وزخرفه وزينه وتأنق فيه ودعانا لرؤية القصر، وكان يطلعنا عليه جزءًا جزءًا وهو منبهر معجب تافه فوالله ما زادني له إلا مقتًا، وعجبت من جهله بالدنيا وغرورها وعدم انتباهه لسرعة زوالها وتقلبها بأهلها، هل هي دار خلود فُتُحَبُّ فيا حسرتاه على عشاقها، ونحن أفلحنا في المظاهر الكذابة الخادعة من قصور فسيحة، وسيارات فارهة وأخفقنا في تثقيف العقل والإبداع والعناية بالعمل النافع، الغرب يصنع وينتج ونحن نستهلك.

وقد رأيت البيوت في أمريكا وفرنسا وبريطانيا فإذا هي صغيرة على قدر الحاجة بلا إسراف ولا بذخ مع العلم أن مصانعهم تهدر وتعمل ليل نهار، فلماذا يا إخوان هذه المظاهر الزائفة والخداع المكشوف.

عندنا مثقفون يغطون جدران بيوتهم بشهادات تخرجهم، وما كتب لهم من تقدير وحسن سيرة مع صور الذكريات والإنجازات الوهمية، وإذا أحدهم أستاذ في قسم الجغرافيا، وحارس مرمى، أو في الصادر والوارد، الله أكبر يوم تشاهد هذه

الأمة كأنك أمام عبقرية الشافعي أو ابن رشد أو أنشتاين أو نيوتن، رحم الله امرءًا عرف قدر نفسه، وبعضهم ملأ مجلسه بشهاداته وإذا حضرت صلاة الفجر نام عنها؛ وماذا ينفع عمل باهت دنيوي مع مرض في الدين، بناء أجوف على شفا جرف هار ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ (المنافقون: ٤). يا عباد الله: النيات النيات، العمل العمل.

زرت أحد رجال التعليم وقد تقاعد من عمله، وقد زاد على السبعين، وهو يصور مقالات أدبية وقصائد، ويجمع مقطوعات نبطية، وعنده تحف مشغول بها من خرز قديم وعملة أثرية وحبات قمح من ستين سنة وغير ذلك، فعجبت كيف أشغل نفسه في هذه السن بأمور تافهة وما علم أن رجله على طرف القبر، وقد أزف الرحيل فأين تلاوة القرآن وتكرار الأذكار؟!! والمسألة توفيق من الله، وكان السلف إذا بلغ الواحد منهم ستين سنة اشترى كفنًا:

لَيَقبُحُ بِالفَتى فِعلُ التَصابي وَأَقبَحُ مِنهُ شَيخٌ قَد تَفَتّى

وينبغي لنا ألا نخادع أنفسنا بل أن ننهي مهزلة ضياع العمر، والزج بكبار السن في حفلات الرقص وتركهم في التوافه والفراغ والوحدة.

لا تصدق

لا تصدق الدراويش الذين يحذرون الناس من الكسب الحلال، وجمع المال الطيب، نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح، فلا تصغ إلى هؤلاء؛ لأنهم يجيئوون بأحاديث موضوعة، ويريدون أن يعيش الناس في حياة الفقر والعوز، وهم جاهلون بسيرة الرسول ﷺ وأصحابه وكان فيهم أغنياء نفعهم المال ونصروا به الإسلام، خطأ من الداعية أن يقول: اتركوا الدنيا بالكلية، تخلوا عن المال، فيصبح المال في يد الفجرة يسخرونه في الفساد، ويبقى الصالحون عالة يشحذون الناس، وإذا أراد أحدهم الزواج وقف بأوراقه عند باب الأغنياء شحاذًا، وإذا ركبه الدين تسوّل أهل الخير فأذل نفسه وأذهب دينه، الله الله في معرفة السنة في هذا .

ومن الدروشة تصديق بعض الساسة أنهم أتقياء بررة بالكلام فقط، بينما الأفعال تخالف، فتجد الظلم وأخذ الأموال بلا حق والتطاول والكِبر على الناس،

وتضييع أمور الدين ثم يخرج الواحد بكلمة يتغزل بالقيم العليا ويمدح الإسلام، وأنه دين العدل ولا بأس به فنصدقه ونصفق له ونهتف له بطول العمر ورفعة الذكر وعذاب القبر، كفى سخرية بالناس ولعبًا على عقولهم، الفعل يُصَدِّق القول أو يكذبه، لو حضر المسلم صلاة الفجر كان أفضل من يمدح صلاة الفجر بألف قصيدة، ثم يتغيب عنها، اقرنوا القول بالعمل وابتعدوا عن الدعاوى الكاذبة الهزيلة.

ومن الدروشة الارتياح لبعض الكتاب والمثقفين مع عدائهم للدين، إذا أظهر بعضهم كلامًا جميلاً وهو يبطن غيره، وقد اغتررت فترة من الزمن ببعضهم كمدحه لبعض تعاليم الإسلام ثم اكتشفت أنه حية رقطاء، فإذا أردت أن تعرف الرجل فاجمع كلامه أوله وآخره وكل ما كتب ثم احكم عليه بعدما تعرف منهجه، ووجدتُ بعضهم يجاملنا فإذا خلا صب جام غضبه على الدعاة ووصفهم بالدراويش ونحو ذلك، فابتعدت عنه، ومن السذاجة الركون إلى من في قلبه مرض؛ لأنه مهما جاملك فلا يزول من قلبه بغض الدين وأهله وكل تعليقاته ومزحه وسخريته لمن ينتسب إلى هذا الدين ﴿**هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ**﴾ (المنافقون: ٤) ولهذا تجده يستخدم لغة رمزية في كتاباته ليخفي مكره، فخذ حذرك، وانصر دينك ولا يأخذك هؤلاء الأوباش على غِرَّة.

موقف

دخل عليّ رجل، واغتررت بمظهره وتباكى عندي، وذكر لي أنه لن يتركني وحيدًا، بل سوف يقف معي وطلب مني مبلغًا من المال ليتاجر فيه لوجه الله، ويعيد الربح ورأس المال لي، ففر وتزوج بمالي، واختفى عني وماطلني، وضحك عليّ وصار كلامه كله هباءً منثورًا وانخدعت أنا به، فلا تنخدع بالمظاهر يا أخي وسوف يظهر لك الرجل عند الدرهم والدينار، وبعضهم يبيع ذمته بثمن بخس دراهم معدودة، وأعوذ بالله ممن يتستر بالدين، وقد عاملت بعض من ظاهره الخير فتمرد علي وماطلني، ورأيت من سوء معاملته عجائب؛ فكيف نقدم الإسلام للناس ونحن بهذه الحالة «طبيب يداوي الناس وهو عليل» فعندنا مرض هو فصل القول عن العمل.

رسالة إلى الرئيس

من: عائض القرني
إلى: الرئيس نيلسون مانديلا

تحية طيبة أيها الرئيس العظيم:

أنا أحد الملايين في مشارق الأرض ومغاربها، الذين قرؤوا سيرتك، وعرفوا جهادك، وأُعجبوا بصمودك، وتعجَّبوا من تضحيتك واستبسالك في سبيل مبدئك، ولأجل حريتك وحرية شعبك، حتى صرت نجماً في أفق الحرية، وزعيماً عالمياً في مدرسة النضال، ومنظِّراً عبقرياً في دستور حقوق الإنسان.

لقد أخذ الناس منك قصة الكفاح، واستفادوا منك رواية المجد وأنشودة الإصرار والتحدي، فصرت أنت أباً لكثير من المستضعفين الذين سُلبوا حقوقهم، واضطُهدوا في ديارهم، وحرمهم الاستبدادُ من العيش الكريم، فرأوا فيك مثلاً حياً، وقدوةً حسنةً في الصبر والإصرار والاستمرار، ورفض الظلم، ومواصلة البذل والفداء، حتى تُنال الحقوق.

أيها الرئيس العظيم:

إن الإسلام - دين الله الحق - دين عظيم، يحب العظماء، ويحترم المبدعين، ويحيي الشرفاء، وأنت أحدهم.

إنه دينُ المساواة؛ ساوى بين عمر العربي، وبلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي، إنه دينٌ يرفض الظلم، ويحرم الاستبداد، ويُلغي فوارق اللون والجنس واللغة، يقول الله - عز وجل -: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾** (الحجرات: ١٣).

أيها الرئيس العظيم:

إن الإسلام يحتفي بمثلك من العظماء؛ لأنه دين يقدِّر الفضيلة، ويعظِّم الصبر، ويحثُّ على العدل، وينشد السلام، وينشر الرحمة، ويدعو إلى الإخاء.

أيها الرئيس العظيم:

لقد حصلتَ على المجد الدنيوي، ونلتَ الشرف العالمي، وأحرزتَ وسام التضحية، ولبست تاج الحرية، فأضفْ إلى ذلك: الظفر بطاعة الله وبالإيمان به، واتباع رسوله ﷺ، ولا يكون ذلك إلا بالإسلام، فأسلمْ تسلم، أسلمْ تنلْ العزَّ في الدنيا والآخرة، والفوز في الأولى والثانية، والنجاة من عذاب الله. أسلمْ - أيها الرئيس العظيم - لتحييك الأرض والسماء، ويرحِّبَ بك مليار ومائتا مليون مسلم، وتفتَّح لك أبواب الجنة.

أيها الرئيس العظيم:

إنك مكسبٌ للإسلام، ورصيدٌ للمسلمين، وما أجملها أن تنطلق من فمك كلمة الحق والعدل والسلام والحرية: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، وهي أعظم جملة أنزلها الله على الإنسان، وهي سرُّ سعادة الإنسان ونجاته وفرحه ونصره.

أيها الرئيس العظيم:

كلما قابلتُ في بلاد الإسلام علماء وزعماء وأدباء وحكماء قالوا: ليت (نيلسون مانديلا مسلم)، فأرجوك وآمل منك أن تعلنها قويةً مدويةً خالدةً: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، حينها سوف يصفِّق لك عبادُ الله في القارات الست، وتحييك مكة، وتفتح لك الكعبة أبوابها، وتشيد منابر المسلمين باسمك الجميل. أنت صبرت في الزنزانة سبعاً وعشرين سنة حتى كسرت القيد، وانتصرتَ على الظلم وسحقت الطاغوت، فسطِّرْ بإسلامك ملحمةً من الإيمان، وقصةً من الشجاعة، وصورةً رائعةً من صور البطولة.

أيها الرئيس العظيم:

والله لقد وجدنا في الإسلام - نحن المسلمين - قيمة الإنسان وكرامته، وذقنا حلاوة الإيمان ولذة الطاعة، ومتعة العبودية لله، وشرف السجود له، ومجد اتباع

رسوله، ولأنك عزيز علينا، أثير في نفوسنا - لتاريخك المشرق - فنحب أن تشاركنا هذه الحياة السعيدة في ظل الإسلام، والفرصة الغامرةَ في رحاب الدين الخالد.

أيها الرئيس العظيم:

إن المُثل العليا التي تدعو إليها سوف تجدها مجتمعة في الإسلام، والرحمة التي يخفق قلبك بها سوف تلمسها في الإسلام، والعدل الذي تدعو إليه سوف تسعد به في الإسلام.

إن الإسلام يحب الصابرين وأنت صابر، ويحترم الأذكياء وأنت ذكي، ويبجِّل العقلاء الأسوياء وأنت عاقل سوي، ويحتفي بالشجعان وأنت شجاع.

أيها الرئيس العظيم:

لقد عشت معك أياماً جميلة عبر مذكراتك: (رحلتي الطويلة من أجل الحرية)، فوجدت ما بهرني من عظمتك وصبرك وبسالتك، فقلت: ليت هذا الإنسان الفاضل الألمعي مسلم، ووالله لا أجد ديناً يستأهلك وتستأهله غير الإسلام، ولا أعرف مبدأً يكرم مثلك إلا الإسلام؛ لأنه دين الفطرة، يشرح الصدر، ويخاطب العقل، ويهذِّب النفس، ويزكي الأخلاق، ويكرِّم الإنسان، ويعمر الكون.

أيها الرئيس العظيم:

أنا أخاطبك من مكة، من جوار الكعبة؛ حيث نزل القرآن وبُعث محمد ﷺ، وأشرقت شمس الرسالة، وكُسر الصنم، وحُطِّم الطاغوت، وأُعلنت حقوق الإنسان، وأُلغي الاستبداد، ونُشر العدل والسلام.

يقول ربنا وربك - جل في علاه -: ﴿**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ**﴾.

أيها الرئيس العظيم:

إن الحياة قصيرة متعبة، فما بالك إذا كانت حياة مثلك من العظماء؛ إذ قضيت ما يقارب النصف من عمرك مظلوماً مسجوناً، وهناك حياة الأبد والخلود في حياة

النعيم التي ينالها المؤمنون بالله المتبعون لرسله، وأرجو ألاّ تفوتك هذه السعادة والفوز، وكما يقول الفيلسوف الشهير ديكارت: «إن الحياة مسرحية رأينا المشهد الأول؛ مشهد الظالم والمظلوم، والغالب والمغلوب، والقوي والضعيف، فأين المشهد الثاني الذي يكون فيه العدل؟!»، فأجابه علماء المسلمين بقولهم: «المشهد الثاني هو يوم الحساب في الآخرة، يوم تُنصب محكمة العدل إذ لا حاكم إلا الله؛ ليوفي كلَّ نفسٍ بما كسبت، ويحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون».

وفي الختام أسعد بأن أهديك كتابي: (لا تحزن) لعلك تجد فيه إجماع العلماء والحكماء العباقرة على أن السعادة في الإسلام.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يشرح صدرك - أيها الرئيس - للإسلام.

وتقبل تحيات المسلمين رجالاً ونساءً وشيوخاً وأطفالاً في كل أصقاع الأرض.

وتقبلوا تحياتي،،،

د. عائض عبدالله القرني